

مذبحة القلعة وغياهب غوانتنامو

أسرار شاهد عيان



وليد محمد حاج
معتقل سابق بغوانتنامو

مذبحة القلعة
وغياهب غوانتنامو

جميع حقوق الطبع محفوظة للمؤلف
الطبعة الثالثة

و. م مذبحة القلعة وغياهب غوانتموا / وليد محمد حاج علي.

الخرطوم: مطابع السودان للعملة، ٢٠٠٩

٢٠٢ ص؛ إيض ٢٤ سم

ردمك: ٥-٦-٩٢١-٩٩٩٤٢-٩٦٨

١- السجون

٢- السجون الحربية

أ. العنوان

رقم الإيداع: (٢٠٠٩/٣٣٠)

٣٦٥,٤٨ وليد محمد حاج علي، ١٩٧٤

توزيع

دار القمري

dar_alqimare@yahoo.com

٠١١٤٧٤٧٤٥٨٩ - ٠١١٤٧٤٧٤٥٦٨

مذبحة القلعة و غياهب غوانتنامو

أسرار شاهد عيان

وليد محمد حاج

معتقل سابق بغوانتنامو

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِيلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفِئْدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ [إبراهيم: ٤٢، ٤٣].

قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٦٠].

قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِئْتَهُ وَيَكُونَ الَّذِينَ لِلَّهِ فَإِنْ أُنْهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٣].

قال تعالى: ﴿لَا يَغُرُّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴿١٩٧﴾ مَتَّعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [آل عمران: ١٩٧، ١٩٨].

الإهداء

أهدي هذا الكتاب

إلى والديّ العزيزين:

اللذين ربباني صغيراً وصبراً على غيابي الطويل وأنا بعيد عنهما
في سجون الظلام.

إلى من نعمت بصحبتهم في خطوط القتال في خواجه غار،
وقلعة الجنك في شمال أفغانستان.

أولئك الذين قدموا أرواحهم فداءً لنصرة دين الحق.

إلى القابعين خلف القضبان في غياهب غوانتنامو ينتظرون
عدالة السماء.

إلى أولئك الذين أفرج عنهم وما زالوا يحملون بين جوانحهم
أبشع صور التعذيب الذي عرفته الإنسانية في حضرها.

إلى القابضين على الزناد لإعلاء كلمة الله في أفغانستان
والشيشان وفلسطين والعراق وكشمير والصومال.

وليد محمد حاج

فلئن عرف التاريخ أوسًا وخزرجًا
 فله أوس قادمون وخزرج



فلست أبالي حين أقتل مسلمًا
 على أيّ جنبٍ كان في الله مصرعي
 وذلك في ذات الإله وإن يشأ
 يبارك على أوصالٍ شلّو ممزّع

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
الآية	٥
الإهداء	٦
شعر	٧
الفصل الأول	١١
المقدمة	١٣
في كنف الأسرة	١٦
في رحاب المملكة العربية السعودية	١٩
الرحلة إلى باكستان	٢٠
العبور إلى أفغانستان	٢١
في الخطوط الأمامية للقتال في خواجه غار	٢٢
الانسحاب إلى مدينة قندوز	٢٨
الفصل الثاني	٤١
محكمة قلعة الجنك سبعة أيام تحت النار	٤٣
الفصل الثالث	٧٩
بين أسوار سجن شفرغاند	٨١
قاعدة قندهار العسكرية	٨٥
الفصل الرابع	٩٧

٩٩	في غياهب غوانتناموار
٩٩	غوانتناموا أين تقع؟
١٠١	الوصول إلى غوانتناموا
١٠٥	كيف كانت تسير التحقيقات؟
١٢٧	الفصل الخامس
١٢٩	العيادة النفسية
١٣٣	نبذة عن إدارة المعسكر والجنود
١٣٦	المعسكرات
١٤٤	المحامون هم الورقة الأخيرة للأمريكان
١٥٠	حقائق لا يعلمها الكثير
١٦٢	بعض الرؤى الصادقة والكرامات
١٦٥	الفصل السادس
١٦٧	الخاتمة
١٧٠	الأشعار
١٧٥	المصادر والمراجع



الفصل الأول

- ✽ المقدمة.
- ✽ في كنف الأسرة.
- ✽ في رحاب المملكة العربية السعودية.
- ✽ الرحلة إلى باكستان.
- ✽ العبور إلى أفغانستان.
- ✽ في الخطوط الأمامية للقتال في خواجه غار.
- ✽ الانسحاب إلى مدينة قندوز.

الفصل الأول

□ المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله الأولين والآخرين وقيوم السماوات والأرض وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وخليته وأمينه على وحيه، أرسله إلى الناس كافة بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين ساروا على طريقته في الدعوة إلى سبيله، وصبروا على ذلك وجاهدوا فيه حتى أظهر الله بهم دينه، وأعلى كلمته ولو كره المشركون، وسلم تسليمًا كثيرًا أما بعد:

لا شك أن المواقف والتجارب التي تمر بالإنسان تدفعه بأن يوثقها وهي من الأمور المهمة التي لا بد من تسجيلها وتوثيقها لتتناقلها الأجيال جيلاً بعد جيل وتبقى بالتالي جزءاً مهماً من حلقات التاريخ، وعليه فإنني أسجل لك أيها القارئ هذه المواقف والتجارب التي عشتها عن كذب لأكشف لك الستار عن الجوانب المظلمة من سياسة أمريكا في العالم الإسلامي الذي سبب الكراهية ومنطلقها هو حقد الكفر على الإسلام.

ومن الطبيعي أن يكون لكل فعل رد فعل وأن تنشأ مقاومة مسلحة في العالم الإسلامي للتحرر من الاحتلال المدجج بأحدث أنواع الأسلحة ومن الطبيعي أيضاً أن يكون العداء عاماً وثابتاً وأحسب أن السؤال الكبير المتداول بين أوساط المسؤولين الأمريكيين «لماذا يكرهوننا؟» يجيء رده على أنهم تجاهلوا كل التقارير التي حذرتهم من مغبة الظلم واستغلال الشعوب المسلمة ونهبهم لثروات بلدانهم

وتكريس الفقر والبؤس في أرجائها، وفي أكبر عملية تزيف وتزوير في التاريخ، عمد الإعلام الغربي والأمريكي على وجه الخصوص بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر إلى وصم مقاومة الاحتلال ومناهضة الاستغلال بالإرهاب وبناء على هذا الخلط المتعمد بنت إدارة بوش خططها للحروب الاستباقية تحت مزايم مكافحة الإرهاب وقامت بأفعالها العدوانية بغير أدلة أو بادلة مسبقة الصنع ضد الإمارة الإسلامية في أفغانستان والعراق و انتهجت سياسة حمقاء قائمة على التهديد بالقوة العسكرية والتلويح بالعدوان المسلح ضد دول إسلامية، ورفعت شعارات هي أبعد ما تكون عن الإيمان بها حول غياب الديمقراطية المدعاة وحقوق الإنسان المزعومة لدى العرب والمسلمين ولم تكتف بذلك بل راحت تكيل الاتهامات للمسلمين بأنهم شعوب متطرفة ومتخلفة وهمجية ووصل الأمر إلى حد التطاول على الإسلام والتمادي على رسوله ﷺ ومقدساته وقيمه وتدفقت حملة غربية مغرضة صفراء مدعية أن الإسلام هو مصدر الإرهاب والتطرف ويتخذ من القتل وسيلة لتحقيق غاياته، لقد عمقت إدارة بوش كراهية المسلمين للسياسات الغربية الأمريكية، كيف لا وقد استخدمت هذه الإدارة كل إمكانات الدول العملاقة المتجبرة في العالم ليس للإنحياز لإسرائيل وضد الحق والعدل فحسب وإنما لتوجيه قواها العسكرية والإعلامية والمخابراتية الجبارة لتحطيم وتدمير أبسط مقومات الحياة في بلاد المسلمين وسلب خبراتهم وثرواتهم.

كما عمدت على إزالة أنظمة بعينها في كل من العراق وأفغانستان وقبضت على الأبرياء وزجت بهم في معتقلات قندهار وغوانتنامو وأبو غريب والسجون السرية في أوروبا والبلدان العربية وغيرها.

وبما أنني كنت واحداً من أولئك الذين زج بهم في تلك المعتقلات في كل من «شفرغان» و«قندهار» و«غوانتنامو» فقد عايش فيها كل أنواع القهر والإذلال التي

مارستها أمريكا لانتهاك كرامتنا متجاهلة كل الإنفاقيات والأعراف الدولية التي تنص على صيانة حقوق الأسرى.

ها أنذا أسرد لكم أيها القراء في هذا الكتاب كل التجارب والمواقف العصبية التي عشتها في أفغانستان ومعتقل غوانتانامو في كوبا، جمعتها لكم مجردة من أي تزيف أو محاولة لليّ عنق الحقيقة، فأرجو أن تعذروني علي هذه الصياغة للأحداث التي جاءت تفاصيلها خالية من جمال الأسلوب وحسن السبك ودقة المعني فأتمنى أن تتقبلوها على علاقتها فأنا لست بكاتب محترف بل أنا شاهد علي العصر أقول ما يمليه علي ضميري وأسأل الله تعالى أن يوفقني وإياكم ويهدينا إلى سواء السبيل.

وليد محمد حاج محمد علي بلال

التاريخ: ١٥ مايو ٢٠٠٨م

□ في كنف الأسرة

لا أعرف كيف أبدأ ولكن سأحاول وأستجمع طاقتي وأفكاري إلى أقصى حد حتى أعتصر آخر كلمة موجودة في الذاكرة أقول:

نشأت في أسرة بسيطة في شمال السودان وبالتحديد في محلية البرقيق^(١) تلك القرية الوداعة التي ترقد علي أكناف نهر النيل العظيم، حيث تحدّها من ناحية الجنوب مدينة «أرقو» ومن ناحية الشمال مدينة «كرمة» ذات الحضارة العريقة ومن ناحية الشرق يمتد على محازاتها مشروع البرقيق الزراعي ومن ناحية الغرب جزيرة أرتقاشا^(٢) مهد آبائي وأجدادي الأول.

كان مولدي في عام ١٩٧٤م، حبوت على تراب هذه القرية الآمنة المطمئنة، تفتحت عيني على معالمها وأزقتها وحواريها وتعودت أذناي على سماع أبواق البصات واللوارى الصاعدة والهابطة من وإلى الخرطوم وهي تحمل المسافرين وشحنات التمر والفول المصري، كذلك تعودت أذناي علي جلبيه وضوضاء السوق وصياح الباعة والحيوانات والعربات وحركة الرائحين والغادين من المارة الذين يفدون إليه من أطراف القرية، نظرت عيني أول ما نظرت من معالمها البارزة «الدفوفة»^(٣) تلك القلعة الرابضة على مشارفها وهي تسد الأفق بلونها الداكن وعلوها الشاهق كلما أنظر إليها ترجع بي الذاكرة إلى جذور التاريخ وأحس بروعة المكان الذي يملأ نفسي راحة وأماناً.

تبسط الشمس أشعتها الذهبية بحنان على صدر هذه القرية وتصحو من إغفائها في الصباح الباكر لتغسل وجهها بماء النيل وتفتح عينيها على سحر الطبيعة المتجلي

(١) البرقيق: إحدى محليات الولاية الشمالية - السودان.

(٢) جزيرة أرتقاشا: إحدى الجزر القابعة في أحضان نهر النيل بالولاية الشمالية.

(٣) الدفوفة: بناية أثرية شهيرة كانت تستخدم كقلعة لملوك النوبة.

في الشيطان والجزر المتناثرة حولها في أحضان النيل ، إنها قرية تمنحك المشاعر الرقراقة والحنان الدفاق، تفتح صدرها وقلبها للقادمين إليها في ألفة عميقة وترحاب شديد و«الدفوفة» بشموخها الأسطوري وعظمتها المهيبة تمثل علامة بارزة ومعلماً مهماً تصافحها العيون قبل الدخول إليها .

نعم عشت في هذه القرية طفولتي الباكرة وشربت من مائها العذب وتشبعت بعبق جروفها الندية وورثت عزة وكبرياء آبائي وأجدادي النوبة وأرومتهم^(١) الشامخة شموخ نخيلها الباسقات التي تعانق السماء رفعة وعلوا وأنا أنعم في حجر أم حنون تكفلت بتربيتنا أحسن تربية، علمتنا الصبر والكفاح والتضحية والاعتماد على النفس وحب الخير للناس منذ نعومة أظفارنا وأنا سادس سبعة أبناء، أما الأب فقد تعود علي حياة الهجرة والاغتراب منذ بواكير عمره في مصر ولبنان والكويت وحرّم نفسه من حضن الوطن ودفن العشيرة لأجل راحتنا وبعد ثلاثين عاماً من الهجرة والاغتراب ألقى عصا الترحال في رحاب الوطن أوائل التسعينات من القرن الماضي وأستقر في ضاحية (الحاج يوسف القديمة - المايقوما)^(٢) حيث كانت الأسرة قد سبقته في صيف عام ١٩٨٣م .

قدمت إليها- أي الحاج يوسف - مع الأسرة، كنت حينها صبيّاً يافعاً لم أبلغ مبلغ الرجال بعد، بدأت أخطو أولى خطواتي في مدارج العلم والمعرفة، كانت المحطة الأولى (مدرسة الشعبية الابتدائية) بحي الشعبية في مدينة بحري بعدها تحولت إلى (مدرسة الحاج يوسف الابتدائية القديمة) ومنها صعدت إلى المرحلة المتوسطة ثم الثانوي (بمدرسة بحري الحكومية العريقة)، في رحاب هذه المدرسة

(١) أرومتهم: يعنى أصلها .

(٢) الحاج يوسف المايقوما: إحدى مدن محلية شرق النيل التابعة لولاية الخرطوم .

بدأت أبني أولى صداقاتي وأرسي قواعد وجسور التواصل مع أصدقائي وزملاء الدراسة، بدأت أتعرف على نمط الحياة الجديدة في المدينة وأنشعب بتجارب جعلت ذهني يتفتق رويدًا رويدًا على هذا الأسلوب الجديد من حياة المدينة الصاخبة بكل ما فيها من تناقضات، أخذت أشرب بمفاهيم وأفكار تختلف عما حملتها من حياة القرية حيث التقاليد والأعراف والنظم الصارمة وبساطة العيش وطيبة الأهل وتسامحهم وروح المودة والترابط الأسرى المتين وما إلى ذلك من المثل والقيم النبيلة، طفقت أنسم عيير الحياة المدنية وأنا ما زلت أحمل بين جنبي تلك الروح القروية التي أعتر بها، كان لابد أن أتجاوب إذن مع هذا المجتمع المدني والتفاعل مع سرعة إيقاع الحياة فيها لأنني صرت جزءً من منظومة أفرادها، هكذا أخذت معالم شخصيتي تتشكل في خضم هذه الحياة.

جلست لامتحان الشهادة السودانية، أحرزت نسبة أهلتني لدخول كلية الشريعة والقانون في جامعة أم درمان الإسلامية، انتظمت في العلم ولزمت قاعاتها ردحًا من الزمن وأنا أقبل علي العلم والمعرفة بروح وثابة وحماسة لا تحدها حدود وعقل متفتح للتحصيل والتلقي، لكن شاء الله أن تكون هذه الروح الوثابة وتلك الحماسة أن تخبو رويدًا رويدًا وتلاشت تمامًا ولم تعد لهما في الذاكرة مكانًا، تسألني أيها القارى ما السبب؟ أقول لك: أن هناك عاملًا قد برز علي حياتي وأخذ يطرق علي تفكيرى بقوة قادنى هذا العامل إلى التفكير في ترك قاعات الدرس والاتجاه إلى طريق الهجرة الاغتراب مثلى ومثل معظم الشباب، كرست معظم وقتي وجهدى لتحقيق هذا الهدف الذي كان يقف وراءه جمع المال واقتناء المنزل والسيارة وبناء أسرة جديدة والإنفاق علي الوالدين وإخواني ورعايتهم، دفعتنى الظروف الإقتصادية الضاغطة لاسيما بعد رجوع الوالد من بلاد الغربة والاستقرار بأرض الوطن إلى ذلك الطريق.

أخيراً تحصلت علي تأشيرته دخول إلى أراضي الحرمين الشريفين التي تعتبر نقطة تحول كبيرة في مسيرة حياتي الروحية والاتجاه إلى منحي آخر ما كنت أتوقعه، حزمت أمتعتي وودعت أهلي علي عجل وأنا في طريقي إلى أرض المطار كانت تلك الرؤى والأحلام تتزاحم بذاكرتي وتدفعني دفعا في الماضي قدما لارتداد آفاق طالما كنت أحلم بها، هذه كانت غايتي المنشودة وقناعتني التي توصلت إليها ولكن يبدو أن أقدار الله كانت تنسج لي في الخفاء أحلاما ما خطرت يوما علي بالي حيث كنت أعد نفسي لشئ والله تعالي يعد لي شيئا آخر في رحم الغيب ف سبحانه الله المدبر للأمور والمتصرف فيها وكيف لا! وهو القائل في محكم تنزيله ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١).

قبل وصولي إلى أرض الحرمين لم أكن أنتمي لأي حزب سياسي أو أعتقد مذهبا معيناً كنت مسلما عاديا أؤدي شعائري الدينية التي تلقيتها من بيتي.

□ في رحاب بلاد الحرمين:

بعد أن وطأت قدماي أرض الحرمين الشريفين، تعلمت في رحاب هذه الأراضي المقدسة أمورا فقهية ومسائل شرعية تزودت بها في مراحل حياتي المختلفة، أنخرطت أطرق أبواب العمل وأنتقل من مكان إلى مكان وفجأة عاودني الحنين إلى الوطن ومواصلة دراستي الجامعية التي قطعتها، شاورت الأهل في ذلك لكن وجدت رفضا كان هذا الرفض نعمة كبيرة علي، رجعت أنتقل من عمل إلى عمل ومن مدينة إلى أخرى إلى أن قضيت زهاء الثلاث أعوام ونصف في أراضي الحرمين الشريفين، قررت العودة مرة أخرى إلى الوطن لكن هذه المرة لإكمال

(١) البقرة - الآية رقم ٢١٦.

أسعار الفنادق قيل لى : أن تكلفة اليوم يتراوح ما بين ١٠ إلى ١٥ ريال سعودي يا للهول والنصب والإحتيال!!!

بعدها قررت الرحيل من هذا البلد والعودة إلى بلدي للزواج من غير أن أتصل بجماعة الدعوة ولكن أين المفر من أقدار الله .

تعرفت علي رجل يتكلم اللغة العربية في أحد المساجد، رويت له ما حصل لي، أبدت له بانني أريد نشر الدعوة، بعد أن أستمع إلى باهتمام قال لي : إذا أردت نشر الدعوة فأذهب إلى أفغانستان فهي بحاجة إلى الدعوة، قلت له لا املك تأشيرة دخول، قال مبتسمًا : الأمر سهل، وبعد الانتظار لعدة ساعات ركبنا السيارة وهي تشق بنا المدن والقرى إلى ان وصلنا إلى مدينة تسمى «كويتا»^(١) في الحدود الأفغانية، ودخلنا مضافة^(٢) وجدت فيها مناظر عجيبة، أناس مبتورو الأيدي والأرجل ومصابون في رؤوسهم، خيل لي في بادي الأمر أنها مستشفى ولكن فيما بعد علمت بأنها مركز يتجمع فيه جرحي قوات طالبان ومن ثم يتم توزيعهم إلى المستشفيات، مكثت عدة أيام معهم منتظرًا الدخول إلى أفغانستان.

□ العبور إلى أفغانستان:

أخذتنا الشاحنات وتوجهت بنا إلى الداخل وهي تحمل من تعافى من جراحه إلى مراكز تجمع قوات المجاهدين في مدينة تسمى «قندوز»^(٣) تبعد حوالي ألف كيلو متر من «كويتا» كانت الرحلة طويلة وممتعة تمتد أمامك الطريق، تصعد بك إلى الجبال تارة وتهبط بك إلى سهول خضراء تارة أخرى، ترى وسط هذه السهول

(١) كويتا: مدينة حدودية بين أفغانستان وباكستان.

(٢) مضافة: بمعنى بيت الضيافة.

(٣) قندوز: مدينة في شمال أفغانستان وكانت تعتبر من أقوى المعاقل لطالبان.

والوديان حدائق الكروم والرمان والتين وأنواع شتي من الفواكه وتهب عليك بين
الفينة والأخرى نفحات طيبة تفوح من أرجاء الوادي وتدغدغ المشاعر وزخات
المطر المتواصل تبعث فيك النشاط والحيوية، ربما وقع نظرك علي فلاح ممسك
بمحراثه يجره ثور وهو يعد أرضه في همه ونشاط وحوله أطفال يمرحون في براءة
علي ضفاف مجارى الماء وربما ترى قطعان الضأن والماعز تتهاذى وسط هذه
الخضرة وقد تمر أمامك الطيور أسراباً أسراباً والسحب الداكنة تعبر الأجواء
وتمضي نحو المجهول في عجل كسفن بلا أشعة وتظهر لك من بعيد سلاسل جبال
«هندوكوش»^(١) تسد الأفق وتشرئب بقممها الشاهقة نحو السماء كأنها تتضرع إلى
الله وقد توشحت أعاليها بثوب أبيض ناصع من الثلج، تدخل من عقبة إلى عقبة
ومن نفق إلى نفق ومن قرية إلى قرية، أكثر ما ترى الناس يمتطؤون الخيول والبغال
وعمائهم مسدولة علي أكتافهم، فيا لها من مناظر خلابة تملأ النفس روعة وجمالاً.

□ في الخطوط الامامية للقتال في «خوجة غار»^(٢):

وصلنا إلى شمال أفغانستان وتحديدًا مدينة «قندوز» إحدى معازل قوات طالبان،
وأنا في هذه المدينة إذ قرأت رسالة موجهة إلى المسلمين كافة علي لسان امرأة
شيشانية تقول فيها أنهم لا يحتجن رجالا للدفاع عن حرمة المسلمين في تلك
البقاع ولا أموالا للدعم والمساندة ولكن نحتاج فقط منكم إرسال أقراص منع
الحمل حتي لا نحمل من هؤلاء الروس السفاحين، كانت تلك الرسالة قد هزت
ضمير العالم الإسلامي وحركت مشاعر النخوة والرجولة لما يحدث في ديار

(١) هندوكوش: سلاسل جبلية ضخمة تخترق أراضي أفغانستان وتمتد إلى الدول المجاورة.

(٢) خوجه غار: مدينة صغيرة تقع على نهر جيحون وكانت الخط الفاصل بين قوات طالبان
وقوات مسعود شاه وحلفائه من الروس والفرنسيين.

المسلمين، كنت واحدًا من الذين أطلعوا علي تلك الرسالة فتأثرت بها مما جعلني أغير طريقى من الدعوة إلى إعداد نفسي للتدريب وبالتالي الانخراط للجهاد في الشيشان، التحقت بقوات حركة طالبان للتدريب علي حمل السلاح ومن ثم التوجه إلى جمهورية الشيشان مجاهدًا في سبيل الله ومدافعًا عن بيضة الإسلام ومرابطًا فيها لإعلاء كلمة الحق، نذرت نفسي لهذا الحلم السامي وبالفعل توجهت إلى «خوجه غار» وهى منطقة تتخللها هضاب وتلال وأودية جافة، مبانها عبارة عن منازل متناثرة مشيدة من الطين والقش بعضها مهدمة وبعضها مهجورة وذلك بسبب كثرة الحروب، هي منطقة متاخمة لطاجكستان يفصل بينهما «نهر جيحون» الذي ينحدر من قمم الجبال العالية مندفعًا بقوة هائلة أتخذت قوات طالبان من هذه المنطقة مركزًا عسكريًا وخط أول للقتال، في هذه المنطقة بدأت أولي خطواتي لطريق الجهاد حيث سكنت في الخنادق، ولم أكن العربي الوحيد بل كانت هناك عدة جنسيات عربية وغير عربية، في أول وهلة دخولي إلى هذه المنطقة حدثت حادثة كانت من المثبتات لى والدوافع التي جعلتني أزداد إصرارًا علي المضي في هذا الطريق، دعني أيتها القارئ الكريم أسرد لك تفاصيل تلك الحادثة وما فيها من كرامات وعبر وعظات.. هجم العدو علي خط النار الأول من جهة المجاهدين العرب وكان في هذه الأثناء.. إثنان من المجاهدين العرب هما عبد الله المكي وعزام النجدي يتآسان داخل أحد الخنادق وفجأة وقع انفجار قوي بالقرب منهما وأعقبه سلسلة من الانفجارات الأخرى المدوية، فزع عزام ولم يكن نتيجة لخوف، حاشا وكلا ولكن انتقل في برهه من الزمن بروحه إلى عالم مثالي ملئ بالتجلي والصفاء الروحي، رأى صاحبه عبد الله المكي نورًا يشع من قدم عزام، عاد عزام من عالمه الروحاني وغطى قدميه سريعًا كانت هذه الحادثة لها وقع في نفس عبد الله المكي، وبعد أخذ ورد لما حصل خرجا من الخندق لينظرا سبب الانفجارات

بينما هما كذلك فإذا العدو قد أقبل متجهًا صوب المركز المجاور لهما، في هذا الأثناء تقابل عبد الله المكي مع أحد الإخوة المرابطين ويدعي مصعب العودلى حكى له رؤيا قد رآها في المنام قال: «كأنني في مدينة جده دخلت إلى فندق وكان به سبع غرف فوجدت غرفتي مختلفة عن بقية الغرف» وطلب من عبد الله المكي أن يفسرها له، فقال له عبد الله: «ترجع إلى مدينة جده وتقتل»، أما عزام كان يقف أمام باب الخندق يوم الجمعة في ذلك الوقت يذكر الإخوة من أكتار الصلاة علي الرسول ﷺ وقراءة سورة الكهف والتحسين بأذكار المساء، وكان شابًا ورعًا أحسبه من الصالحين ولا أزكي علي الله أحدًا.. فإذا بقذيفة تنطلق من جهة العدو وتمزقة أشلاء، وجدنا الجزء الأعلى من جسمه ودفناه أما الجزء الأسفل فقد وجدناه في اليوم الثاني ودفناه أيضًا لكن في مكان آخر.. وبذلك سمي «بذى القبرين».

وبعد شهر من هذه الحادثة وأنا أتجول في التلال والوديان وجدت أجزاء أخرى متناثرة من جسمه، أخذت قطعة وشممتها ولم أجد فيها أي رائحة كريهة مثل ما يحدث للجثث وظلت كل هذه الفترة محفوظة من الوحوش والهوام «سبحان الله». دارت رحى الحرب وكان النصر فيه حليفنا وتم بعون الله دحر العدو المدعوم من قبل الروس و الفرنسيين، بعد يومين زار عزام صديقة عبد الله المكي في رؤيه مناميه فقال له عبد الله: «ماذا حدث لك يا عزام؟» فقال له: «حين وقفت أمام باب الخندق وأذكر الإخوة بالأذكار فإذا بي أرى قذيفة منطلقة نحوي - ومعلوم أن الإنسان لا يتمكن من رؤية القذيفة المنطلقة لسرعتها التي تفوق سرعة الصوت عندئذ أيقن أنه قد أصبح في عداد القتلى لذلك رآها «فسبحان الله» فالميت يرى عند احتضاره ما لا يراه غيره ويسمع ما لا يسمعه الآخرون - ثم قال لم أحس إلا وأنا من فوقكم وأشهد رحي المعركة تدور وحاولت النزول لكي أشارككم ولكن

وجدت نصف جسدي مفقودًا، فجاء ملك ورفعني إلى ملك آخر ثم إلى آخر إلى أن وصلت إلى السماء»، سأله عبد الله: «أين أنت الآن يا عزام؟» قال: «أنا في الجنة»، قال له عبد الله: «أريد علامة بأنك في الجنة حتي أخبر إخواني المجاهدين»، فأراه أنهار الجنة وثمارها، فقال له عبد الله: «زدني فأحضر له مصعب العودلي ذلك الشاب الذي حكى رؤية لعبد الله من قبل وكان قد قتل هو الآخر في نفس اليوم الذي قتل فيه عزام، فقال له مصعب: «أنا وعزام كلانا في الجنة وعزام درجته أعلى من درجتي، أما رؤيتي التي فسرتها آنفًا فقد أصبت في تفسير بعضها وأخفقت في تفسير بعضها الآخر، أصبت بأنني أقتل وأخفقت في تفسير رجوعي إلى جدة والغرف السبعة وهي ترمز لسبعة قتلي وكان هؤلاء السبعة هم عزام، ومصعب، وخمسه باكستانيين». فقال عبد الله لعزام: زدني فأحضر له أبو معاذ الكويتي وكان قد قتل في البوسنة من قبل فذكر له اسمه الحقيقي ثم بين له بأنهم سوف يصابون ببلاء عظيم وكشف له بعضًا من ذلك البلاء، بعد ذلك جاء عزام بورقة بها أسماء تبلغ الأربعين وقال له: «إن هؤلاء سوف يقتلون و طلب منه ألا يخبر أحدًا من إخوانه بما جاء في الورقة من أسماء».

استفاق عبد الله المكي بعد ذلك من نومه ولم يستطع كتمان ما رآه وذكر للإخوة المجاهدين تفاصيل هذه الرؤيا العجيبة وأخبر كل واحد منهم بأنه ضمن الأربعين، والأعجب من ذلك أنه اشترك اثنان في اسم واحد وادعي كل واحد منهما بأنه هو المعني حتي جاء عزام مرة أخرى إلى عبد الله المكي وحدد صاحب الاسم بأنه فلان ابن فلان، وجاء عزام مرة أخرى في المنام لعبد الله المكي وأعطاه ورقة بها أسماء مائة أخ سوف يقتلون ولكن عبد الله المكي لم يتمكن من قراءة الأسماء على حد قوله، أما كيف قتل الإخوة الأربعين.. تلك قصة أخرى سوف أرويها لكم.

لا شك أن غزوة الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م كانت نقطة تحول كبرى في

خارطة العالم حيث غيرت مجرى السياسة الدولية بأسرها في العالم وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية.

أشارت أصابع الاتهام إلى تنظيم القاعدة الذي يتزعمه الشيخ أسامة بن لادن بتدبير هذه الغزوة، وهدد المعتوه بوش بالانتقام وطلب من جميع الدول وخاصة الدول العربية والإسلامية التعاون معه للانتقام مما سماه بالجماعات الأصولية الإرهابية التي أرغمت أنف أمريكا في الوحل وهتكت سيادتها، صرح في وسائل الإعلام المختلفة بأنه «من لم يكن معنا فهو ضدنا» وأخذ يعد العدة لتغيير أنظمة بعينها في دول مسلمة باعتبارها أنها محتضنة وراعية لهذه الجماعات الأصولية معلناً في كلمة حماسية بأنها (حرب صليبية) ولاحقاً سحب كلمة (حرب صليبية) بعد أن أخبره اللوبي اليهودي المتحكم بمفاصل الدولة ومصنع القرار بأن هذا التصريح سوف يجر عليهم وبالأخص ويشير مشاعر المسلمين كافة ويوقظ الخلايا النائمة من شباب الإسلام ضد اليهود والنصارى، ونتيجة لضغط اللوبي اليهودي عليه غير شعاره إلى الحرب ضد الإرهاب، فهو لم يكن يعلم عاقبة ما تفوه به.

أول ما فعله بوش هو أن وجه قواته العسكرية نحو الإمارة الإسلامية في أفغانستان التي كانت تحت قيادة حركة طالبان بزعامة الملا محمد عمر مجاهد وحليفه الشيخ أسامة بن لادن زعيم تنظيم القاعدة والذي تبنى الدمار الذي لحق بأمريكا في سبتمبر ٢٠٠١م.

وجدت أمريكا مساعدات وإستجابات من أغلب الأنظمة والحكومات العربية والإسلامية لا سيما الدول المجاورة لأفغانستان مثل باكستان التي فتحت قواعدها وأراضيها لغزو أفغانستان، بدأت الطائرات الأمريكية تنطلق من قواعدها في باكستان وغيرها من دول الخليج مستهدفة المدن الأفغانية، فبدؤوا بالعاصمة كابل وقندهار وجلال آباد، وأخذت ترمى أطناناً من القنابل الفتاكة على تلك المدن،

كما أن أساطيلها الرابضة في السواحل كانت تنطلق منها طائرات محملة بأحدث انواع الأسلحة المدمرة لتدك المدن والقرى وتحيلها أثراً بعد عين .

بعد أن سقطت المدن الرئيسية في الجنوب والشرق والغرب توجهوا أخيراً في شمال أفغانستان، في هذه الفترة كنت ضمن قوات طالبان في الجبهة الشمالية، جاءت الطائرات الاستطلاعية لتكشف أماكن تجمعات المجاهدين، كان أغلب الإخوة الأربعون الذين أخبرتك عنهم سابقاً كانوا موجودين خلف التلال أي في الخط الثاني يعدون أنفسهم للصلاة، أثناء اصطفاقيهم لأداء الشعيرة جاءت الطائرات الأمريكية وألقت أطناناً من القنابل العنقودية عليهم فقتلوا جميعاً وتمزقت أجسادهم الطاهرة إلى أشلاء، جاء أمير الجماعة ومعه مجموعة من المجاهدين لإخلاء المكان من الجرحى والقتلى فإذا بالطائرات تعود مرة ثانية وتلقى أطناناً أخرى من القنابل العنقودية فلحق بهم أمير الجماعة (عبد السلام الحضرمي) ومن معه أيضاً، كان هؤلاء القتلى من ضمن الأربعين اسماً التي ذكرها عزام في رؤيته، ولم يبق من هؤلاء الأربعين إلا خمسة مجاهدين، اثنان منهم أحياء إلى يومنا هذا ويتنظرون دورهم والثلاثة الباقين كانوا رفقائي في القلعة وغوانتانامو و قتلوا مؤخراً وهم (يوسف الشهري: قتل في الحدود اليمنية) (ياسر الزهراني: قتل على يد الأمريكان في معتقل غوانتانامو) (وضاح الأيبي: قتل أيضاً على يد الأمريكان في معتقل غوانتانامو)، فالإنسان لا يعرف متى وأين يموت مصداقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(١).

(١) سورة لقمان الآية رقم (٣٤).

□ الانسحاب إلى مدينة قندوز:

عند حضور القوات الأمريكية إلى شمال أفغانستان كان خطتهم عدم قتل العرب المجاهدين في صفوف طالبان، كانوا يريدون أن يأخذوهم أحياء، جاءت الطائرات الاستطلاعية لتكشف أماكن التجمعات ثم عادت بعدها جاءت المقاتلات تحمل في جوفها الجحيم لتصبها علي الميامن والمياسر لكسر جانبي خط القتال والالتفاف عليهم من الخلف وحصرهم في مكان واحد حتى يتسنى لهم السيطرة على الموقع وأسر أكبر عدد منهم، ولكن هذه الخطة باءت بالفشل لأن أمير الجماعة (غريب الصنعاني) الذي استلم القيادة بدلا عن عبد السلام الحضرمي عندما علم بهذه الخطة قام بسحب قواته والخروج من هذه المصيدة، بعد خروجنا جاءت الطائرات الأمريكية تحلق فوق التلال التي انسحبنا منها وجاءت أيضا قوات التحالف بقيادة فهم شاه (أحد قادة مسعود شاه) من جهة الميمنة والميسرة التي أخترقت ودخلوا وهم يعتقدون بأننا ما زلنا في مواقعنا، واصلنا الانسحاب من هذه المنطقة واتجهنا نحو آخر معقل لطالبان الا وهي مدينة قندوز التي ما تزال صامدة في وجه الأعداء، واصلنا طريقنا بين الجبال والتلال ومعنا عدة جنسيات، طاجيك، بنغال، باكستانيين، والإخوة العرب من اليمن، بلاد الحرمين، ليبيا، الجزائر، والمغرب وغيرها، أثناء انسحابنا كان بعضنا يتخلص من الأمتعة الثقيلة حتي نخف في السير، و إذا أعطينا وصفاً دقيقاً لهذه المنطقة المشهورة بكثرة التلال والوديان يمكن ان تقول بانه يبدو كمثل «طبق البي» نصعد في تلة ونهبط منها في تلة أخرى ونحن نسير في شكل جماعات، كل فوج مع أميره إلى أن وصلنا مع مغيب الشمس إلى ممر جبلي ضيق ينتهي إلى سهل منبسط، عند وصولنا إلى نهاية الممر سمعنا أصوات وهمهمات تحت جناح الليل سألنا: من أنتم؟ من أنتم؟ عندما لم نجد الإجابة منهم ظننا بأن العدو قد قطع علينا الطريق، كنت في مقدمة المجموعة توقفنا

برهة عند سماع هذه الأصوات فإذا برصاصة مضيئة تمر من أمامي، أخذنا نرد عليهم وهم يردون علينا فترة من الزمن، رأيت بأم عيني أحد الإخوة يهوى في وادي عميق بسبب قذيفة (أر- بي- جي) مرت من أمامه، قتلوا منا عددًا، استمر الاشتباك حتي سمعنا صراخًا من الجانب الآخر ينادي توقفوا.. توقفوا.. إخوانكم.. إخوانكم تبين لنا فيما بعد بأنهم إخواننا الأوزبك وقد سبقونا إلى هذا المكان عن طريق آخر، في هذا الاشتباك المؤسف قتل منا سبعة إخوة وهم (عثمان الحضرمي ابن عم عبد السلام الحضرمي، أبو زيد البدري من المدينة، أبو تراب النجدي يسكن الرياض وهو كان يصرخ وينادي توقفوا توقفوا، وعبد الله التونسي يسكن ألمانيا.. وجرح منا البعض وقتل منهم واحد وعشرون أخ أوزبكي وجرح بعض منهم، كادت تحدث كارثة لولا لطف الله علينا.

في هذه الأثناء أحسنا بأن العدو قد علم بالخديعة وخروجنا من المصيدة فأسرع للحاق بنا، تركنا القتلى في مكانهم وحملنا الجرحى في إحدى الشاحنات التي كانت مع الأخوة الأوزبك، بينما نحن نسير فإذا بنا نرى فوق هذا السهل سيارات ومدرعات تتحرك تحت جناح الليل كاشفة الظلام أمامنا بأنوارها الساطعة، كانت المسافة بيننا وبينهم حوالي خمس كيلو مترات تقريبا.

بعد أن أدينا صلاة العشاء، جمع الأمير (غريب الصنعاني) الإخوة وقال: العدو من خلفنا ومن أمامنا والطائرات الأمريكية تحلق فوقنا لتكشف مكاننا ومعنا جرحى تنزف دماؤهم وهم بحاجة إلى تلقي العناية الصحية فمن يبايعني على الموت من أجل إخواننا وفتح الطريق لمرور الجرحى؟ أبدى الجميع استعدادهم وبعد المبايعة، وضع خطته بأن جعل للإخوة ميمنه وميسرة ومقدمة ووضع اثنين في المقدمة للاستطلاع وأمر الجميع بوضع طلقة في (بيت النار) أي تعميم السلاح ليكون جاهزًا، تحرك الجميع تحت جناح الظلام تاركين خلفنا أخواننا الذين قتلوا

في الاشتباك الخاطيء، بعد أن سرنا قليلاً جاء العدو من خلفنا ووجد القتلى وأسر بعض الإخوة الذين تأخروا عن الركب، استطاع أحد الإخوة أن يلقي عليهم قنبلة يدوية كانت بحوزته فأصابهم رعب وأحدث إرتباكاً في صفوفهم فنجى الإخوة من الأسر.

بينما نحن نقطع الفيافي والوديان ونصعد تلة ونهبط من أخرى رأينا شاحنة، كان بإمكاننا أن نستولى عليها ولكن أمر الأمير غريب الصنعاني بأن نتركها تمر حتى لا ينكشف لهم موقعنا إذا اشتبكنا معهم، فمرت من أمامنا وهي تشق الوادى، كان الوقت قبيل الفجر فأردنا أن نأخذ قسطاً من الراحة، جلسنا في بطن الوادى وكان البرد قارساً، لم نستطيع الجلوس أو النوم فأمر الأمير بالتحرك، كان هذا أول يوم من انسحابنا من (خوجة غار).

بدأ قرص الشمس يرتفع رويداً رويداً وبسطت أشعتها علي الجبال والوديان وأنقشع الظلام، فإذا بنا نجد أنفسنا قد ضللنا الطريق والطامة الكبرى بأنه ليس معنا دليل والطريق أمامنا طويل يصعد بنا تارة الى أعلى التلال ويهبط بنا تارة أخرى إلى السهول، وبينما نحن في هذه الحال إذ سمعنا أحد الأخوة يهتف قائلاً: بأن هذا الطريق يؤدي إلى قندوز ويبدو أنه كان قد مر من هذا الطريق من قبل، أخيراً تنفس الجميع الصعداء، عرفنا فيما بعد بأن هذا الطريق قد مرت به المدرعات الثقيلة التابعة لقوات طالبان التي سبقتنا عند الإنسحاب.

كان الامير غريب الصنعاني حقيقة رجل ذو كفاءة عسكرية عالية وخاض غمار معارك كثيرة مع صغر سنه (٢٣ سنه) كان يدرك بحسه العسكرى بأن أى تأخير في هذا الإنسحاب ليس من الصالح، لذلك كان يسرع بنا وإذا أردنا أداء شعائر الصلاة ينبهنا وهو يخطو خطوات سريعة ويقول: تجهزوا للصلاة ويقف، ونصلى ونكمل أذكار الصلاة والباقيات الصالحات أثناء سيرنا، أتذكر في هذه اللحظة أنه كان معنا

أخ أفريقي أو جمايكي لا أدري بالضبط واسمه عبد الله البوسنوي كان يعيش في مكة وكنيته (بابا) تورمت قدماء ولم يستطع مواصلة السير قال لنا: أتركوني وسلاحي أواجه مصري تركنا له سلاحه ولم يكن معه زاد فلا أدري أهو قتل أم أسر، وأيضاً فقدنا عكرمه وهو من حضرموت شقيق أبو هاجر الحضرمي وافترق منا بعض الاخوة منهم من وصل الى قندوز بعد أيام ومنهم من أسر ورحل إلى غياهب غوانتانامو بعدنا.

كنا نتجنب أثناء سيرنا القرى والبلدات حتى لا يغدروا بنا أو يخبروا الأعداء عن مكاننا، بعد أن قطعنا مسافة بعيدة وجدنا مكاناً شبه آمن بين التلال وقد بلغ منا العطش مبلغاً، هنا قال الأمير غريب الصنعاني: أريد منكم عشرة رجال لا يتوقفوا عن السير حتى نصل قندوز نأتى بالسيارات والطعام، توجه العشرة بمن فيهم الأمير نحو قندوز ولكنهم أخطؤوا الطريق الصحيح وظلوا يتيهون بين الجبال والسهول لا يعرفون أي فج يسلكون وقد بلغ بهم الجوع والعطش مبلغاً عظيماً، بينما هم كذلك إذ حصلت لهم كرامة، وجدوا حماراً محمولاً على ظهره طعام كثير وماء والأغرب من ذلك أنه لم يكن هناك راعي ولا قرى مأهولة بالسكان فأكلوا وشربوا.

قلقنا عليهم عندما طال بيننا وبينهم الأمد كان في هذا الوقت قد حدثت حادثة طريفة كنت سببها وتتمثل هذه الحادثة بأننا عندما أمرنا بالانسحاب من (خوجة غار) أخذت سلاحى وفتحت حقيبتى وأخذت معجون الأسنان الذى كان لا يفارقنى، أثناء استجمامنا للراحة تحسست جيبي فإذا به المعجون، أخذت بعضاً منه ووضعتة في فمى فما أن وضعتة حتى امتلأ فمى ريقاً كثيراً، تذكرت إخوتى وما هم فيه من التعب والعطش، صرت أعطى كل واحد منهم المعجون حتى ينعموا بما نعمت به، أتذكر منهم عبد الرحمن السليمانى وكنيته مصعب العربى يسكن بالطائف بحى الشطبة نسأل الله أن يتقبله وبالفعل أحس كل واحد منهم بما أحسست به مما

جعلهم يطلبون المزيد، وبالهول ما حصل بعد برهه جف المعجون في فمهم والتصقت شفاههم وفقدوا بقية البلل الذي كان في فمهم ولم يتمكنوا من فتح أفواههم ونادوا على بصعوبة قائلين: ماذا فعلت بنا يا (زول)؟ فلم أستطع الإجابة لأنى أنا الآخر صرت مثلهم لا أستطيع الكلام، لن أنسى هذا الموقف الطريف وهم كذلك.

أينا ونحن على هذا الحال أهالى بعض القرى مقبلون نحونا من بعيد، وعندما اقتربوا منا أخذوا يطلقون علينا الرصاص ونحن لا نبالى بهم من شدة التعب وزخات الرصاص تمر من فوقنا وحولنا إلى أن طلب الأمير الثانى (عبد العزيز العمري كنيته عطيه الزهراني نسأل الله أن يتقبله) أن ننزل إلى جوف الوادى فنزلنا وتفرقنا فيه وأثناء تفرقنا في بطن الوادى حدثت شجاعة نادرة من أحد الأخوة اليمنيين وكان صغيراً في السن يدعى (سيف الوائلى)، كان من أشهر الرماة بيننا ومعروف في قريته بهذه الصفة، كان هذا الفتى سائراً إذ وجد أمامه أشخاصاً على بعد مائتين متر تقريباً. هاتفوه قائلين: أقدم.. أقدم نحن من قوات طالبان هنا نصحه أحد الإخوة الباكستانيين قائلاً: لا تذهب إليهم فهؤلاء كذابون منافقون خونة، لم يسمع كلامه وتقدم نحوهم صاعداً التلة، عندما اقترب منهم أيقن بصدق نصيحة الباكستاني وتدارك الموقف بسرعة نزل من التلة بسرعة وذهب إليهم من الخلف وكمن في مكان وراهم يلبسون قبعات الأعداء المعروفة (البكول) فأطلق عليهم عدة رصاصات فأردى إثنين منهم قتلى ثم أخذ سلاحهما وعاد إلينا والقبة على رأسه والسلاح الذي أخذه من هؤلاء الأعداء في يده فما كان من الأمير إلا أن وهبه إياها لما قام به.

اختلفت الإخوة حول المكوث في مكاننا أم التقدم إلى الأمام لملاقاه الأمير الصناعى والأخوة العشرة، بعد التشاور قررنا التحرك وقد أخذت الشمس تميل

نحو المغيب، دخلنا في ليلة ليلاء فيا لها من ليلة طويلة مرت ثقيلة! كنا نتربص بهجوم الأعداء في أى لحظة، نسير في طرق ملتوية ومتشعبة وزمهير البرد الشديد يلسعنا، والإرهاق والتعب أخذ منا كل ماخذ إلى أن ظهرت خيوط النهار الأولى من اليوم الثالث.

كان معنا مجاهد أمريكي يدعي «جون ووكر» ماكنت أعرف انه أمريكي إلا بعد أن وصلت إلى غوانتانامو، كان هذا الأمريكي مريضاً لا يستطيع السير إلا مسنوداً على أكتاف الإخوة يتناوبون عليه، كنت واحداً ممن كان يسنده إلى أن وصلنا مدينة قندوز حيث لزم الفراش الأبيض في المستشفى، كنت أظن أنه شيشاني حيث كان هناك شيشانيان معنا ويحمل أحدهما نفس ملامحه، لذا ظننته شيشانياً وفي غرف التحقيق في غوانتانامو كانوا يكثرون السؤال عنه، كنت أؤكد لهم بأنه لم يكن معنا أمريكي وأنا أجيب عن سؤالهم بصدق ما أقول لكن الأمر كان خلاف ذلك، فالرجل علي حسب ما رأيت فيه صفات الورع والتقوى والشجاعة والثبات علي الجادة - وأحسبه والله حسيبه ولا أزكي علي الله أحداً - هذا الرجل عندما ألقي القبض عليه فيما بعد في (قلعة الجنك)^(١) قال لرجال الصحافة والإعلام: نعم أنا أمريكي مسلم جئت إلى هنا مجاهداً لإعلاء كلمة الله وأنا متحسر بأنني لم أرزق الشهادة مع بقية إخواني ومن أراد ان يتحصل علي صورته فليدخل في موقع الأسرى في النت : www.asra-al.com لم يصدق الأمريكيان بوجود واحد من بني جلدتهم في صفوف المجاهدين. أثناء هذه الرحلة كنا نرى علي جوانب الطرق وبين الوديان سيارات محروقة ومدرعات مقلوبة وشاحنات معطلة فارقها أهلها، وصلنا عند نقطة تقاطع طرق، نظرنا من على البعد شاحنة متربصة في موقع كمين،

(١) قلعة الجنك: قلعة مشهورة تقع في شمال أفغانستان تحديداً في مدينة مزار شريف، انشئت منذ خمسمائة عام.

تقدمنا نحوها حذرين، عند اقترابنا تبين لنا أنها معطلة وحولها أواني متناثرة وملابس وبراميل يبدو أن أصحابها رحلوا عنها عندما اشتد بهم العطش والجوع. كان الإخوة في قمة العطش قطعوا (أنابيب الريدياتر)^(١) وشربوا ماءها الصدي وبعض الإخوة -أكرمك الله- شرب بوله، وبعضهم أكل الحشائش ليخفف من وطأة العطش وكنت واحد منهم، بعد أن وجدت بللاً في حلقي قلت: للإخوان مداعباً، الآن قد عرفت لماذا لا ترفع الأنعام رأسها من الحشائش لأنها تجد أكثر مما نجده من اللذة في مضغ الحشائش.

وصلنا بعد عناء وجهد شديدين إلى مفترق طرق يتفرع منه طريقان، أحدهما طريق واسع على يميننا والآخر طريق ضيق علي يسارنا، أحترنا أي الطريقين نسلك، تشاورنا فيما بيننا، طلب الأمير (عطيه الزهراني) منا أن نسلك ميامتنا تيمناً لسنة الرسول ﷺ، أخذنا جهة اليمين أي الطريق الواسع «عرضه حوالي مائة متر»، رأينا شاحنة مقبلة نحونا تأهبنا للاستيلاء عليها لكن عدلنا عن رأينا وتركناها تمر كسابقتهما، حاولنا تشغيل جهاز اللاسلكي وكان خارجاً عن شبكة الإتصال أخذناه وصعدنا به إلى أعلى قمة ومعى مجموعة من الشباب (حفظهم الله)، كان كلما نصعد إلى أعلى نسمع الأصوات رويداً رويداً حتى وضحت الأصوات وهي كانت تأتينا من مركز القيادة من قندوز، حددنا لهم موقعنا، علمنا فيما بعد أن الطريق الذي سلكناه طيلة هذه الفترة طريق لا يؤدي إلى قندوز وإنما يؤدي إلى طاجكستان وهو المعروف بطريق الشاحنات، بدأنا نطلق وابل من الرصاص إلى أعلى ليهتدوا إلينا ويعرفوا مكاننا بالضبط، فجأة ظهرت الشاحنات من بين التلال والوديان وهم يهاثفوننا قائلين بأننا نراكم، هنا سجدنا شاكرين الله والدموع تخضب لحانا من

(١) الريدياتر: خزان الماء الذي يبرد ماكينة السيارة.

شدة الفرحة، وصلوا إلينا بعد أن رأينا الموت بأم أعيننا وسط هذه الجبال والوديان الموحشة. احتضنونا ودخلنا في عناق طويل يدل على الأخوة الصادقة والمحبة الخالصة لله، فقدموا لكل واحد منا ثمرة معها نصف كوب من الماء ورفضوا أن يعطونا المزيد حتى لا يؤدي كثرتهم إلى مضرة، لم نأكل ونشرب ونستريح منذ ثلاثة أيام فما أقساها من رحلة!

ركبنا معهم الشاحنات رافعين جهاز اللاسلكى عسى ولعل مجموعة ضالة عن الطريق من الإخوة تلتقط الإشارة، أخيراً وصلنا مشارف مدينة قندوز قبل أن ندخل في الطريق المسفلت الذى ينتهى بك إلى داخل مدينة قندوز حيث مقر قيادة قوات طالبان، كان في انتظارنا قوات طالبان ومعهم المدرعات المنتشرة على طول الطريق وهم يلوحون لنا وتغمرهم الفرحة والسعادة، بخروجنا من هذا البلاء.

عرفنا شهامة وتضحية الصنعانى ورفاقه وهذا قل ما نجده في مثل هذه المحن تجلى ذلك في الأمير غريب الصنعانى منذ أن فارقنا لإحضار الشاحنات رفض أن ينعم بالطعام والشراب وأن يهنأ بالنوم والراحة وإخوانه ظمأى وجوعى يهيمنون على وجوهمهم بين الفياقى والجبال، وبعد إلحاح كثير من زملائه تناول قليلاً من الماء والطعام، الله الله من رجال عظماء ذكرونا بالصحابه رضوان الله عليهم.

عند وصولنا إلى مدينة قندوز علمنا بسقوط مدينة كابول وجلال أباد وقندهار وبقية المدن الأخرى ولم تبقى إلا قندوز وكانت هي المعقل الوحيد لقوات طالبان. وجدنا المدينة في حالة إستنفار، المدرعات تخرج منها إلى محيطها ومنصات إطلاق الراجمات تنصب حولها لتكسر الحصار المضروب من أفراد قوات الجنرال الأوزبكي عبد الرشيد دستم من جهة وأفراد قوات مسعود شاه من جهة أخرى، كانت الطائرات الأمريكية في هذا الأثناء تقصف البيوت والأسواق وأماكن تجمع الناس بعنف لكي يجبروا السكان على إخراج الإخوة العرب منها، كانوا يسقطون

عليهم منشورات فيها صورة الشيخ «أسامة بن لادن» ومعه صور بعض العرب ويكتبون فيها بلغة الأفغان نحن الأمريكان لا نريدكم أيها الأفغان بل نريد العرب، فإذا أخرجتم لنا العرب من مدينتكم نتوقف عن قصفكم ونعتبركم أصدقاء لنا، لكن الشعب الأفغانى في قندوز رفض هذا النداء وقالوا: لن نسلم أى عربى مجاهد فهم يعتبروننا أحفاد الصحابة ويجب إكرامنا وإذا خرج بعض الشباب العرب إلى السوق لشراء بعض الأغراض وعرفهم البائع أنهم عرب يرفض أن يأخذ الأموال قائلاً له أجعلها في سبيل الله مع أنهم من أحوج الناس لها، وبعضهم إذا عرف أنه عربى حن عليه وقال له: أنتم مساكين يا عرب مطاردون في كل مكان لأنكم تجاهدون أعداء الله ولكن كما ترانى أنى شيخ كبير في السن لا أستطيع مساعدتكم ولكن خذ هذه الأموال واجعلها في سبيل الله.

لما كان عدد المجاهدين العرب والجنسيات الأخرى كبيراً أعدت حكومة طالبان معسكرين لنا لتأخذ قسماً من الراحة وبعدها نعد أنفسنا للقتال وفك الحصار، كان من المفترض حدوثه ولكن احتارت قوات طالبان ماذا تفعل؛ لأنها محاصرة من ثلاث جهات بقوات الجنرال عبد الرشيد دستم الأوزبكي الأصل من جهه وقوات القائد مسعود شاه من جهة يساندها غطاء جوى كثيف بواسطة المقاتلات الأمريكية.

أيقنت قوات طالبان بأنها أمام حصار محكم من أذئاب أمريكا، لذا اضطرت إلى عقد اتفاق مع دستم وهم يعلمون بأن دستم همه الأول والأخير الاستيلاء على مدينة قندوز قبل دخول قوات مسعود شاه، كانت المنافسة شديدة بينهما على أن يدخل المدينة أولاً ينال الحظوة والأموال والمكافأة، فقوات دستم محسوبة على الأمريكان وقوات مسعود شاه تتلقى دعمها الكامل من روسيا وإيران وفرنسا على الرغم من أن الطرفين يتمتعان بالدعم الجوى الأمريكى المباشر.

كان الإتفاق بوساطة قائد بشتوني كان مع طالبان وتركهم وانضم لقوات دستم وكان في نفس الوقت متعاطفًا مع قوات طالبان، كان الإتفاق يقضى بمرور قوات طالبان من قندوز إلى مدينة (مزار شريف)^(١) التي كانت تحت سيطرة قوات دستم ومنها إلى مدينة (هيرات)^(٢) ومعلوم أن هيرات هذه كانت تحت إمرة قوات طالبان قبل سقوطها، وافق الجنرال دستم على عبور قوات طالبان بشرطين هما:

- ١- أن تترك قوات طالبان مدينة قندوز له ولا يأخذها قوات مسعود شاه.
 - ٢- أن يمر عبرها الأفغان، والباكستانيون، والأوزبك، فقط دون الإخوة العرب.
- رد عليه قادة طالبان بأنه ليس معهم عرب، قال دستم: أذن لا بأس.
- كانت خطه قوات طالبان أن يمر العرب مع أول دفعة تخرج ويكونوا متنكرين في زي الأفغان مع حلق رؤوسهم ويجعلوا في كل شاحنة نصفها عربًا ونصفها الآخر أفغانًا حتى لا يعرفوا العرب من الأفغان ويكون هؤلاء العرب بداخل الشاحنة والافغان بجانب الباب.

كان من شروط طالبان لدستم أن يحمل العابرون أسلحتهم الشخصية الخفيفة ويتركوا الأسلحة الثقيلة في مدينة قندوز.

تهيا الشباب للخروج، وفعلاً خرجت أول دفعة ومن بينهم (أبو أيمن اليمنى القصير الذي شهد جهاد الروس الأول قتل فيما بعد في القلعة نسأل الله أن يتقبله) ولكنها عادت أدراجها لظهور بعض المستجندات وبرجوعهم تغيرت الخطة برمتها لأنهم أحسوا بواذر الغدر من دستم، هنا رأت قوات طالبان التحالف مع القائد

(١) مدينة مزار شريف: تقع في شمال افغانستان وبها قلعة الجنك المشهورة.

(٢) مدينة هيرات: تقع في الحدود ما بين افغانستان وايران.

المستول عن مدينة (بلخ)^(١) وكان حليفًا لهم من قبل، أتفق الجانبان علي أن يمر العرب جميعًا متجاوزين مدينة مزار شريف المجاورة لبلخ وقد أحضرت قوات طالبان أربع شاحنات لأخذ المجاهدين والتوجه بهم إلى بلخ ليلاً ولكن كانت يد المؤامرة الخسيسة تنسج خيوطها في الخفاء من دون علم قوات طالبان والمجاهدين العرب، وذلك لكثرة المنافقين والخونة المندسين في صفوف طالبان، أحكي لك أخي القارئ تفاصيل هذه المؤامرة باختصار.

عندما تحركنا كان الدليل الذي يقودنا إلى بلخ قد باع هذا الإتفاق وقبض ثمنه، فبدلاً من أن يقودنا إلى بلخ قادنا إلى مشارف بوابة مزار شريف، تعجبنا من هذا التصرف وأجرينا بعده مكالمة هاتفية مع قيادة قوات طالبان وأخبرناهم بأننا أمام بوابة مزار شريف، وتفاجأوا هم أيضاً وأخذوا يسألوننا: لماذا انتم هنا؟ أثناء المحاورة بيننا علمنا منهم بأن الدليل قد خاننا.

جاءت طائرة أمريكية في هذا الأثناء وحلقت فوقنا وشكلت دائرة دخانية في السماء كدليل علي أننا محاصرون نزلنا من الشاحنات فإذا بالساحة مكشوفة عن ورائنا وعن يميننا وعن يسارنا، وعن أمامنا تقف بوابة مزار شريف علي بعد كيلومترات وحولها قوات دستم بكامل عدتها وعتادها.

أخذنا أهبة الإستعداد للاشتباك معهم علي الرغم من أننا في منطقة مكشوفة ليست بها متاريس ولا سواتر نحتمي بها، رأينا من على البعد عن يميننا ويسارنا أرتالاً من الدبابات خلفها قوات مشاة تقف وتنتظر الإشارة.

في هذه الأثناء انطلقت مجموعة أفغانية إلى جهة البوابة لإجراء مفاوضات مع دستم، استمرت المفاوضات زهاء الأربع ساعات، وبعد أخذ ورد وافق دستم علي

(١) مدينة بلخ: مدينة مجاروه لمدينة مزار شريف.

مروونا عبر مزار شريف إلى هيرات وكان يعلم علم اليقين بأننا مجاهدين عرب لأن الخونة سربوا إليه أخبارًا عن وجود عرب مع الأفغان في الشاحنات فقال لنا: لا أسمح لكم بأن تعبروا ومعكم الأسلحة فعددكم كبير وأخشى أن تستولوا على المدينة، لذلك يلزم عليكم تسليم أسلحتكم على أن أعطيكم إياها بعد خروجكم من المدينة.

هنا حصل خلاف بيننا، أغلبنا رفض فكره تسليم السلاح وقليل وافق على التسليم وبعد مشاورات وأخذ ورد واتصالات بالقيادة في قندوز جاءت الأوامر بتسليم السلاح لأن الأمر لا يحتمل الرفض مع هذا الحصار المحكم وقالوا لنا إذا رفضتم أمر تسليم السلاح سيقطع الطريق أمام قواتنا القادمة والتي ستمر من هذا الطريق وقالوا: إن حضورنا إلى هذا المكان كان خطأ.

في بادئ الأمر رفض المجاهدون تسليم أسلحتهم، بعد هذه الورطة قال أمير المجاهدين العرب (غريب الصنعاني) سلموا أسلحتكم طالبًا من بعضنا أن يأخذ القنابل معهم. سلمنا أسلحتنا، فبنا له من موقف عصيب! فقد بكى كثيرون من بعد تسليم أسلحتهم وهي تتراكم أمامهم كالجبال.

شاهدنا ونحن نصعد على ظهر الشاحنات سيارات مقبلة نحونا فيها كاميرات قناة CNN وبعض القنوات الأخرى وهم يتزاحمون لتصويرنا، وكذلك رجال الصحافة والإعلام العالمي والمحلي كل يريد أن يحظى بهذا السبق الإعلامي.

تحركت الشاحنات نحو البوابة الرئيسية وأمامنا سيارات دستم، عند دخولنا بوابة مزار شريف كان في انتظارنا سكان المدينة عن بكرة أبيهم وكانوا يصرخون في وجوهنا ويظهرون سعادتهم لأننا سلمنا أسلحتنا، حلق الرجال لحاهم وخلعت النساء حجابهن، فسبحان الله! فقد كانوا قبل أيام ملتزمون بالشرع وهامهم يستقبلوننا بالشتائم واللعنات. ونحن نشق طريقنا وسط هذه الجموع الغفيرة الناقمة

علينا إلا من رحم ربي، كان بعضنا يحس بالخيانة وبعضنا الآخر يشك وقليل من كان يصدق، أخبرنا أحد الإخوة الأوزبك وقال توجد قلعة عند نهاية المدينة فإذا تجاوزناها فسنكون في سلام وإلا فالخطر سيصدق بنا.



الفصل الثاني

✽ محملة قلعة الجنك سبعة أيام تحت النار.

أثناء إجراءات التفتيش وقع دوى انفجار قوى نظرنا مكان الانفجار فوجدنا ضابطًا ذا رتبة كبيرة وبعض جنده ممددون في الأرض وأجسامهم مضرجة بالدماء وبالقرب منهم جثة أبو أحمد السوداني علي الأرض، علمنا بأن أبا أحمد قد فعلها، حيث فجر نفسه بقنبلة كانت بحوزته.

أبو أحمد هذا رجل أسمر اللون وفيه صفات النبيل والكرم والشجاعة وتظهر فيه علامات التقوى والورع وهو علاوة على هذا رجل خلوق كثير الصمت وقد خاض غمار معارك كثيرة عرفته ساحات الوغى، بالشكيمة وقوة البأس، نسأل الله تعالى أن يتقبله، كان لا يثق في نوايا الأعداء من أول يوم تسليمنا للسلاح، أما القائد الكبير الذي قتله فقد كان مطلوبًا لدى طالبان منذ زمن بعيد فقد كان هذا القائد قد قتل كثيرًا من أفراد قوات طالبان والآن أخذ جزاءه على يد هذا البطل المغوار، رأينا أصحابه يبكون وينوحون عليه كالنساء وهو يرغب كالبعير يطلق أنفاسه الأخيرة، أخذ الغضب يملك أصحابه وهموا أن ينتقموا منا بفتح نيران بنادقهم ليشفوا غليلهم ولكن جاءتهم أوامر من أسيادهم الأمريكان بعدم قتلنا.

بعد هذه الحادثة صدر أمر من الأمريكان لرجال دستم بتشديد إجراءات التفتيش فأسرعوا بإدخالنا إلى قبر تحت الأرض عبر سلم لولبي أنزلونا جميعًا وعددنا يبلغ خمسمائة مجاهدًا وحشرونا في خمس غرف بها صالة كبيرة وممرات ودهاليز دامية الظلام. إذا أخرجت يدك لم تكد تراها، وبها طاقات ونوافذ صغيرة في الأعلى، مساحتها حوالي ٢٠ ط ٢٠ سم تتخللها قضبان طولية وعرضية بصورة محكمة بحيث أنك تعجز تمامًا إذا حاولت تحطيمها ويأتيك من خلالها ضوء الشمس ضئيلاً من مسافة بعيدة جدًا، بينما نحن في هذه الحالة إذ أخذ أحد الإخوة يتحسس قنبلة كانت بحوزته استطاع أن يفلت بها من التفتيش، أخرجها للإطمئنان عليها ولكن

شاء الله بأن ينفك صمام الأمان فانفجرت وسط جموع الإخوة فقتلته هو وأحد الإخوة الباكستانيين وحكيم التعزى (وكنيته مقاتل التعزى) أحد المقاتلين البارزين، كان هذا قضاءً وقدرًا، نسأل الله أن يتقبلهم.

سمع رجال دستم دوي هذا الانفجار وهم في الخارج، ظنوا بأننا نريد التخلص من حياتنا فطفقوا ينادون علينا قائلين لا تقتلوا أنفسكم، لا تقتلوا أنفسكم، بيننا وبينكم عهد وميثاق سوف تخرجون غدًا من هنا وتذهبون إلى هيرات كما وعدناكم، فقط أنتم هنا للتفتيش وأصبح الإخوة ما بين مصدق ومكذب.

كانت هذه الليلة الأولى من ليالي القلعة فيا لها من ليالي عصيبة! رأينا فيها الأهوال وعاشنا فيها مواقف بطولية نادرة وقوة إيمان وثبات على الحق وشوق للشهادة وملاقة الله تعالى كما ظهرت فيها كرامات سأسرد لك تفاصيلها كل في موضعه إن شاء الله.

□ اليوم الأول السبت ١٠ رمضان ١٤٢٢ هـ عصرًا:

طلب رجال دستم بأن نخرج إليهم إثنين إثنين وهم في الطابق العلوي، خشينا أن تؤدي هذه الطريقة للتعرف على العرب، فكرنا في أن يكون أحد الإثنين عربيًا والآخر باكستانيًا أو أفغانيًا وعند الحديث والحوار يلتزم العربي جانب الصمت ويتكلم الباكستاني أو الأفغاني حتى لا ينكشف أمر العرب.

كنا لا ندرى ما يحدث لهم هناك، فالذى كان يحدث في الطابق العلوي أن الأخوين عندما يخرجان من الباب ويغيبا عن الأنظار يهجم عليهما خمسة من كلاب دستم المدججين بالسلاح ويضربونهما ضربًا مبرحًا ويخلعون منهما كل شيء ساعات، حافظات، نقود، أحذية، عمام، نظارات سترات واقية للبرد ويتركون لهما الملابس الساترة فقط «السروال الأفغاني والقميص» ثم يعيدون الكرة في

التفتيش بعد أن يقيدانهما بالعمائم في العضد ويشدون يديهما إلى الخلف حتى يؤدي ذلك إلى إيقاف الدم في العروق، هذا ما كان يحدث لإخواننا في الخارج. وتتوالى العملية على هذه الوتيرة ونحن لا نعلم ما يحدث في الخارج، خشيت بأن يعرفوا أن هناك جنسيات أخرى غير الباكستانيين معهم وأنا كنت الأسمر الوحيد بينهم بعد رحيل أبو أحمد السوداني وخشيت أن أكون سبيًا في انكشاف أمر بقية الإخوة العرب، فكرت في حيله لثمت وجهي بالعمامة وخرجت مع باكستانيين إثنيين أحدهما كان مصابًا والآخر صحيح، طلبت من الأخ المصاب أن يستند عليّ، ادعيت بأنني أمارضه في حين يتولى الباكستاني الآخر الحديث معهم وألتزم أنا جانب الصمت لأنني لو تكلمت العربية سينكشف أمرى وأمر بقية الإخوة العرب، ولكن باءت خطتي بالفشل لأنهم مجرد أن وصلتهم نزعوا لثامي وتفاجؤوا بلوني الأسمر فصاروا يصرخون عريان.. عريان.. عريان وجردوني من كل شيء إلا إزاري وردائي وأسرعوا في تقييد عضدي والركلات واللكمات تتوالى عليّ من كل جهة وهم مستمرون في صرخاتهم عريان عريان كأنهم وجدوا ضالتهم في شخصي وأنا أقول لهم: نهى عريان.. بلوشى.. بلوشى.. بلوشى والمقصود لست عرييًا لست عرييًا إنما أنا بلوشستاني وقلت بلوشستاني لأن بلوشستان قبيلة باكستانية يميل لون أفرادها إلى السمرة، المهم أخذوا يتناوبون علي بالضرب والصراخ إلى أن خرجت إلى الساحة.

وجدت إخواني الذين سبقوني مقيدين يتألمون من شدة وطأة القيد عليهم وكل واحد يتمنى أن يرخى له القيد قليلاً حتى يرتاح مما هو فيه من الآلام بسبب احتباس الدم في العروق، بعضهم أغمى عليه بعضهم خدرت أيديهم لفترة طويلة وأعداء الله لا يبالون برجاءاتهم اليائسة. كان يقف أمامهم أمريكي ضخمة الجثة يتدلى من علي رقبتة سلاح (3G) وفي يده دفتر يسجل عليه البيانات، كان أول ما وقع عليه نظري

هذا المنظر وأنا خارج إليهم، قادوني الى ضابط كبير، أشار إليهم الضابط أن يجلسوني في مقدمة صفوف الإخوة المقيدين، أتذكر أنني جلست قرب أحد الإخوة القطريين يدعى أبو ثابت، سألته بصوت خفيض ما الأمر؟ رد علي بصوت أخفض من صوتي قائلاً: أسكت.. أسكت لا تتحدث العربية، عند انتهائه من كلامه رأيت الأمريكي يتجه نحوي وقف أمامي مباشرة وأنا أتلوى من شدة الألم سألني ما اسمك؟ احترت بأي لغة أجيبه، فإن تكلمت بالعربية سينكشف أمري، وفجأة خطر ببالي أنني أجيد اللغة النوبية وهي لغة أجدادي الدناقلة في شمال السودان، شرعت أكيل عليه الشتائم واللعنات بالنوبية وهو ظل يردد: ما اسمك؟ ثم يردف سائلاً: من أى البلاد أنت؟ وأنا مستمر في الشتائم واللعنات والإخوة المقيدون حولي يضحكون رغم الآلام ومندهشون من هذه اللغة ومن أين جاء بها هذا السوداني! فهم سلفاً يعرفون أنني أتحدث العربية، ثم يواصل هذا الأمريكي أسئلته ويقول: كم عمرك؟ وأرد عليه بأقزع أنواع السباب وهو يتخيل بأننى أجيب على أسئلته، ويواصل.. أنت نيجيرى، مالي، سودانى، وعندما يش منى سمعته ينطق بكلمة أفريقي ويسجلها في دفتره ويذهب لغيرى.

تأكدت تمامًا مما يحصل بالخارج، أخرجوا أغلب الشباب من القبو ووضعوهم في شكل صفوف هيئة الواحد منهم وهو جاث على ركبتيه ويديه مقيدتان ومشدودتان إلى الخلف كهيئته وضع الجنين وهو في بطن أمه، فإله من منظر مؤثر يندي له الجبين ويشير في النفس الشفقة والرحمة. إنتهكت آدميتنا بهذه الطريقة المهينة التي لا تحدث حتى على الحيوانات. رأيت وأنا في هذه الحالة بعض الأفراد يقودون الأمريكي المجاهد جون ووكر وهو ما يزال بلباس المرضى؛ خصصوا له مكانا وعليه الأغلال وكان بعيدا عنى قليلا، لا أذكر إن كان جالسًا على الأرض أم على مقعد كانت كاميرات الـ CNN وغيرها موجهة نحوه وبعض

الأمريكان يحققون معه، وفي مكان قريب من البوابة أيضا رأيت سليمان الشيشاني (قتل فيما بعد في روسيا بعد أن خرج من غوانتانامو) وكان فيه ملامح من جون ووكر وأيضا يحققون معه، وكان تحقيقهم معهم يختلف عنا باعتبار أنهما غربيان وتفاجأ بهما الأمريكان لاسيما جون ووكر.

كانت ساحة القلعة مليئة برجال دستم والمخابرات الأمريكية والقنوات الفضائية المختلفة وأفراد من الصليب الأحمر (الأسود) الدولي، ضربت حولنا ثلاثة أطواق من الحراس المدججين بالسلاح، الطوق الأول حولنا مباشرة يليه الطوق الثاني، أما الطوق الثالث فهم القناصة الذين كانوا ينتشرون فوق أسوار القلعة.

خرج جميع الإخوة من القبو إلا (الأسود الأوزبكية) كانت تشم رائحة الخيانة من أول لحظة -لأنهم يعلمون صفات الجنرال دستم تماما، كيف لا؟ وهو من بني جلدتهم وقد حاربوه من قبل- ولم يخرجوا في بادئ الأمر بل اجتمعوا مع أميرهم وتبايعوا على الموت، اتفقوا على حيلة بأن يرسلوا أحدهم يستطلع الأمر وإن قبض عليه للتفتيش يرفع صوته عاليًا ليخبرهم بالحاصل حتى يخرجوا جميعًا للإشتباك، صعد الأخ إلى أعلى، قبضوا عليه وقيدوه وأخذوا ما معه هنا رفع صوته عاليًا حتى يُسمع بقية الأسود وأخذ يصيح بأعلى صوته قائلا: لماذا نقضتم عهدكم؟ ولماذا الخيانة؟ أنتم قلتم لنا ستذهبون إلى هيرات.. لماذا الخيانة؟

هنا قامت الأسود الأوزبكية قومة رجل واحد واتجهوا نحو ممر عبارة عن سرداب يؤدي إلى باب آخر يخرجك من تحت الأرض، وجدوا الباب موصدًا أمامهم، حاولوا تحطيمه ولكنهم لم يفلحوا، عادوا أدراجهم مره أخرى مندفعين كالسيل الجارف وهذه المره نحو باب السلم اللولبي صعدوا إلى أعلى واتجهوا نحو الحراس الذين كانوا يقيدون الإخوة وهجموا عليهم بكل ثقلهم، وأخذوا يلقون عليهم القنابل التي كانت بحوزتهم وسط تكبيرات تهز أركان القلعة، عندما

سمعنا دوى القنابل وأصوات التكبيرات امتلأت نفوسنا بالحماسة والتضحية للפקاك من هذا الوضع المذل ولكن أعداء الله لم يمهلونا وشرعوا يفتحون نيران أسلحتهم على المقيدين يحصدوهم بدم بارد يعاونهم في هذا أفراد من الاستخبارات الأمريكية.

وبخروج الأسود الأوزبكية إلى الساحة فُتحت عليهم نيران جهنم واشتعلت القلعة وأخذت تغلى كالمرجل واختلط الحابل بالنابل واختلط صراخ الناس وهدير الرصاص، ودوى القنابل والرصاص يتساقط على المقيدين من كل صوب والناس مابين قتيل وجريح وهارب وزاحف على بطنه وسط القتلى والجرحى وقذائف ال (آر-بي-جي) تخترق أجساد الإخوة المقيدين وغير المقيدين. كانت معركة شرسة قتل فيها الكثير من الإخوة من بينهم أميرنا غريب الصنعاني حيث استقرت إحدى القذائف (آر-بي-جي) في صدره.

فى غمرة هذه الأحداث الرهيبة رأيت بطولات نادرة وشجاعة وإقدام من بعض الإخوة مثل مثنى الحربى كان شاباً صغير السن وقد هجم على جندى للقضاء عليه ولكن لقى حتفه فى الحال، ولا أنسى طلحه المكى هجم على جندى أيضاً وهو مقيد وقد قتل هو الآخر أيضاً، رأيت أيضاً أحد الإخوة ويكنى بأبى العطاء اليمنى (طالب علم من مدينة تعز) استطاع أن يتحرر من قيده ويمتطي حصاناً أبيضاً ويشق جموع الأعداء محاولاً أخذ السلاح منهم ولكن عاجلوه بإصابة قاتلة.. الله.. الله من شباب قدموا أرواحهم فداء لنصرة الحق.

أرجع بك أيها القارئ مره أخرى إلى ذلكم الضابط الأمريكى (جونى مايك سبان) الذى كان يتولى التحقيق مع الإخوة فى الساحة، كان هذا الرجل ذو مكانة رفيعة ورقمًا لا يستهان به فى الإستخبارات الأمريكية، جاء إلى أفغانستان منذ ١٣ عامًا ليدرس العرقيات والثقافات الأفغانية وطبيعة البلاد وأخلاقيات أهلها وكان

يرفع تقارير دقيقة إلى الإدارة الأمريكية أولاً بأول، وعندما احتدمت المعركة بين الإخوة والحراس كان هو من ضمن الذين كانوا يفتحون نيران بنادقهم على المقيدين بلا رحمة.

كان يراقب هذا الموقف شاب يمنى صغير السن وهو في القيد ويدعى مهند التعزى (كان مسؤولاً عن الإعلام في شمال أفغانستان) وقد كان حافظاً لكتاب الله ومعلماً لنا، كان تقياً ورعاً عابداً زاهداً فيه نبل وشجاعة أهل اليمن أحسبه والله حسيبه. وجد مهند الإستخبارات في عراق مع أحد الإخوة على الأرض، كان يراقب كل هذا عن كثب لم يحتمل هذا الموقف ونهض ودار حول نفسه في لمحة عين ونزع مسدس الأمريكي المعلق في الجيب الخلفى وأفرغ ما به وجندله على الرغم من أن يديه كانتا مقيدتين، هنا لمحّه أحد الأمريكان الذي كان يقف على مقربة منه وقتله في الحال وقتل الأخ الآخر، كانت هذه أيضاً إحدى الملاحم البطولية النادرة حيث استطاع هذا الشاب أن يقتل عضواً كبيراً في الإستخبارات الأمريكية، كان يلعب بثعلب أفغانستان وبعد مقتله أطلق عليه (أسد القلعة). رأيت فيما بعد في غرف التحقيق في شاشات العرض تشيع جثمانه وكان يسير خلفه جورج بوش وهو يكفكف دموعه، رأيت هذا في معتقل غوانتانامو.

وبينما رعى المعركة تدور على هذا المنوال إذا بي أحس بطلقه تأخذ من لحم ظهري بأعلى الحوض، قلت في نفسى إنها ساعة الشهادة طفقت أهمل وأهمل، وبينما أنا كذلك سمعت أحد الإخوة الليبين (عبد السميع الليبي) وهو من الأسود الثائرة يهتف بأعلى صوته قائلاً: قوموا قومة رجل واحد ولا تموتوا ميتة الدجاج، فكبرنا وقمنا وصار كل واحد يفك قيد أخيه بأسنانه ويقوم هو بدوره بفك قيود الآخرين وهكذا تم فك قيود جميع الإخوة. بعدها تفرقنا، ذهب نصفنا نحو البوابة الرئيسية ونصفنا الآخر لجأ إلى وسط الأشجار داخل القلعة، كانت المجموعة التي

على الباب تظن بأن من هم تحت الأشجار قد قتلوا وكانت المجموعة التي تحت الأشجار تظن أن من هم عند البوابة قد قتلوا.

بدأت الساحة خالية إلا من القتلى الذين هم في قيودهم، انسحب رجال دستم إلى الأسوار العالية وبدؤوا يفتحون نيران أسلحتهم تجاه البوابة ونحن تحتهم مباشرة ولا يروننا، هنا استشعرت عظمة الله ولطفه بنا واستحضرت قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَكَّاءً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾^(١).

ساعتئذ جاءت طائرة أمريكية ضخمة كنا نسميها «الجاموسه» وألقت أطنانا من المتفجرات وسط القلعة، كنت من ضمن المجموعة التي احتمت بالأشجار، كنا نبحث عن منفذ يخرجنا من هذا الجحيم ولكن دون جدوى فالقلعة أسوارها عالية وسميكة لدرجة أن الدبابات يمكنها أن تتحرك من فوقها وفي كل ركن تقف أبراج شاهقة يتمركز حولها رجال الجنرال دستم، والجزء الأسفل من هذه الأسوار عبارة عن مخازن أسلحة كانت لطالبان قبل سقوط مزار شريف ثم استحوذ عليها دستم وهي مليئة بالذخائر كما أن بعض الغرف كانت تستخدم كاسطبلات للخيل. تتبع بعض الإخوة مجرى نهر صغير كان يمد القلعة بالمياه العذبة لسقاية الأشجار والخيل، حاول الإخوة الخروج منه إلى الخارج وقد نجح بعضهم. حصل هذا وهم فوقنا ولا يروننا والمعركة تدور رحاها بينهم وبين إخواننا الذين استولوا على البوابة وكان بإمكانهم الخروج عبرها ولكن علموا أن خروجهم سيوقع بهم في قبضة القوات التي تحيط بالقلعة من رجال دستم والأمريكان، لذلك فضلوا البقاء بالداخل مع استحكام السيطرة على البوابة.

رأيت عدة مواقف بطولية وشهامة نادرة لا أنساها أبداً، منها أنى كشفت ظهري للإخوة طالباً منهم أن ينظروا إن كانت هناك شظية أو رصاصة ظاهرة ليخرجوها

(١) سورة يس الآية رقم (٩).

وفي ظني أنني أشدهم إصابة حتى رأيت أحد الإخوة المغاربة ويدعى نجيب المغربي يحمل ذراعه اليمنى المكسورة وهي معلقة على الجلد فقط وهو يسأل ويبحث عن سكين أو زجاج أو أى شئ حاد لكى يقطعها وحين لم يجد مايريده وضعها تحت رجله وأخذ يشدها بكل قوته ليتخلص منها ولما فشل في ذلك أخذ يمدّها للإخوة طالباً منهم قطعها وبينما هو في هذه الحال إذ ألقت طائرة أمريكية قذائف شغلتنا عن قطع يده وكان هذا خيراً له، وفيما بعد تقابلنا في غوانتانامو فوجدت يده وقد تحسنت قليلا وبعد أن أفرج عنه أدخل إحدى المستشفيات في بلاده وأجريت له عملية جراحية ناجحة وعادت يده سليمة، سبحان الله! كان يريد شيئا والله تعالى يريد له شيئا آخر.

وموقف آخر حيث رأيت الإخوة عندما اشتدت عليهم زخات الرصاص وقذائف ال (آر - بي - جى) وأيقنوا بأن لا مفر لهم من الموت أخذوا الحجارة واتجهوا بها نحو أحد الأبراج وبدؤوا يرشقون الجنود لإجلالهم من مراكزهم ويرد عليهم الجنود بوابل من النيران وهم يختبئون مرة ويظهرون مرة أخرى من خلف البراميل و الجنود يتقون هذه الحجارة التي تتساقط عليهم كالمطر، واستطاع رجال دستم قتل عدد منهم (عطية الزهراني) أما البقية التي لم تصب أو تقتل انضمت إلى إخوانهم عند البوابة.

أما الموقف الثالث فكان من أحد الإخوة المغاربة الأوفياء حيث رأى صديقه (فاروق المغربي) مضرجاً بدمائه في منطقة مكشوفة، أخذ يزحف نحوه وعندما وصل إليه أغمض له عينه وقبله في جبينه ثم عاد إلى مكانه وهو لا يبالي بالرصاص المتساقط من كل مكان. فيا لها من صداقة ومحبة في الله! لله دره من رجل.

وجدنا نحن بين الأشجار قاذف (آر - بي - جى) مع قذيفته صوبناها نحو العدو المتمركز فوق الأسوار، حاولنا إطلاق القذيفة عدة مرات ولم نفلح وذلك لأن

القذيفة كانت رطبة فتركناه والرصاص يتساقط علينا من كل جوانب القلعة بطريقة عشوائية وقتلت عددًا من الإخوة أمام عيني.

وأذكر موقفًا آخر، في خضم هذه المعركة جاءت رصاصة طائشة على أخينا دحية اليمني (نسأل الله أن يفرج عنه من غوانتانامو) وسلخت جانب جبهته اليمنى وسقط بين الحشائش، ظننته قد قتل، فقلت لمن: حولى دحية قتل، فقام من فوره وقال: أنا ما قتلت يازول، وعلت وجوهنا ابتسامة سريعة.

هبط الليل علينا بأستاره المظلمة والقتال يدور والطائرات تقصف مواقعنا، في هذه الأثناء أخذت أزحف لأصل إلى إخواني عند البوابة قاطعًا الساحة الملتهبة التي تفصل بيني وبينهم، ومعلوم أن كل من يظهر في هذه الساحة يكون هدفًا سهلاً للعدو، لأن أرضها مكشوفة، سلكت جانب الساحة أخذت أزحف بين القتلى المقيدين ولا أرفع رأسي، وفجأة انفجرت إحدى الشاحنات التي أقلتنا وأنارت الساحة، وما كان مني إلا أن تظاهرت بأني ميت بين القتلى إلى أن هدأت النيران، وواصلت الزحف متوقعًا أن تقتلني رصاصة أو قذيفة طائرة في أي لحظة، أثناء زحفي وجدت نهرًا أمامي وبكل هدوء دخلت الماء وقطعته كالتمساح ورأيت أحد الإخوة (يوسف الشهري رحمه الله الذي قتل مؤخرًا في الحدود اليمنية السعودية) خلفي وفعل ما فعلت.

وقتئذ وجدنا الإخوة يحطمون أبواب المخازن القابعة تحت الأسوار بحثًا عن الأسلحة والذخائر بعد أن تمكنوا من تحطيم أبوابها وجدوها مليئة بمختلف أنواع الذخائر، وأخيرًا وجدوا مخزنًا في ركن قصي به مدفعًا هاون وذخيرة بكميات وفيرة، حملوا ذينك المدفعين ونصبوهما على أحد أركان القلعة على مقدار ٩٨ درجة، لأنك إذا أطلقتها بدرجة ٩٠ تنطلق القذيفة عموديًا وترتد إليك لتصيبك وأما إذا أطلقتها على مقدار ٩٨ درجة تقع إما فوق السور مباشرة أو خارجه، كانت هذه فكرة الأوزبك.

كان الأعداء يتمركزون حول الأسوار ودباباتهم تنتشر بكثافة وأعداء الله يحاولون التسلق بعد أن أجبرناهم على النزول، بدأ الأوزبك في تشغيل المدفعين وبقية الإخوة يجلبون لهم القذائف من المخازن المليئة بها، فتسقط فوق الأسوار وخارجها، حدث ارتباك في صفوفهم حيث كبدها خسائر فادحة في الأرواح والعتاد قتلنا حوالي ثلاثمائة عنصرًا منهم باعتراف الجنرال دستم، كما قتلنا حوالي خمسة عشر آخرين من عناصر القوات الأمريكية الخاصة المتعاونين معهم، فيما بعد سألنا أنفسنا مندهشين هل كان في إمكاننا قتل كل هذا العدد؟! سبحان الله! كنا نريد قتالهم حينما طلبوا منا تسليم السلاح لكن تراجعنا حين رأينا الطائرات تحوم فوقنا ودبابات العدو على يميننا ويسارنا والساحة مكشوفة وموقعنا صعب وليس في إمكاننا النيل من أحدهم لذا كان تسليم السلاح خيرًا لنا.

نعود إلى إخواننا في البوابة فقد أظهروا بطولات قلما تجدها عند الرجال، فقد ضربوا أروع الأمثال في الاستبسال والتضحية والثبات فقد ظهرت معادنتهم وقوة بأسهم وشكيمتهم، نصوا عند البوابة مدفع (BM)^(١) وكلما حاول العدو الدخول عبرها بمدرعاته الثقيلة ردوهم على أعقابهم صاغرين وبقية الإخوة يستخدمون سيارة بها سلاح مضاد للطيران «دشكا» (كان عليها خطاب اليميني نسأل الله أن يتقبله) لتطهير الأسوار من هؤلاء الأنجاس الخونة. ومن المواقف المشرفة التي تدل على الشجاعة أنه كان هناك سلاح خفيف «كلاشنكوف» مرتكز في إحدى فتحات القلعة ويقف خلفه ما يقارب العشرة، من الإخوة إذا قتل الرامي يحل محله آخر من هؤلاء العشرة حتى قتلوا عن آخرهم ولا أدري أسحب هذا السلاح من مكانه أم ترك؟ وحينها كنت مضربًا بدماي بين المدفعين حاولت أن أساعدهم في جلب القذائف

(١) BM: هي إحدى الصواريخ التي تطلق من منصه ثابتة على الأرض وتعرف عند العرب،

الراجمات أو الكاتيوشا. وعند الافغان الواحد منها تسمى BM.

ولكنني لم أستطع بسبب الإصابة، كانت الأرض تهتز من حولي ودوي المدافع يصك الأذان وأنا في هذه الحال كنت أسمع الإخوة يقولون لى: قم.. تحرك إلى الداخل، قم.. تحرك إلى الداخل، وأنا مصر على المشاركة بقدر ما أستطيع إلى أن جاءنى أحد الإخوة ويدعى أبو عيسى الجداوي واسمه فارس، (قد قتل فيما بعد) وحملني إلى داخل القبو.

حين دخولي القبو وجدت الغرف والممرات مليئة بالقتلى والجرحى والمكان مظلم ولا تسمع إلا ابتهالات الجرحى ولا تشم إلا رائحة المسك، لم أجد سوى عربي واحد وهو أبو ثابت القطرى الذى كان يقول لى إسكت ولا تتكلم العربية عندما كنا مقيدين في الساحة وقد قتل أيضا فيما بعد، سألته عن الإخوة العرب أشار إلى بأنهم في الغرف المجاورة، زحفت وسط الجرحى والقتلى حتى وصلت إليهم إتخذت مكانا في وسط الغرفة والمكان يلفه ظلام دامس ولا تسمع فيه إلا دوي المدافع والطلقات.. سمعت هاتفا من أحد الإخوة يخبرنى ولعله أبو الوليد المكي (نسأل الله أن يفرج عنه من غوانتنامو وهو صديق عمار المكي الذي قتل في القلعة) يقول: صديقى أبو يعقوب الأردنى بجواره وهو جريح هممت بأن أتحدث معه ولكن أجلته بسبب الإرهاق الشديد والأرق، بعد فتره أخبرنى أبو الوليد بأنه مات متأثرا بجراحه حيث كان مصابا إصابة بليغة بقذيفة اخترقت بطنه وأخرجت أحشائه، تحسرت بأننى لم أتمكن من الحديث معه في حينه وأسمع صوته، كان هذا الصديق قد أوصانى قبل دخولنا القلعة أن أخبر عمه المقيم في ألمانيا في حالة ما إذا قتل أن أخبر والديه في مدينة الكرك بالأردن، كان قد أعطانى اسم المدينة التي يقيم فيها عمه بألمانيا واسم المسجد الذى كان يتردد عليه ولكن في خضم هذه الأحداث المتوالية ضاع مني العنوان ولست أدري إن كان أهله قد علموا بمقتله أم لا. وفى غوانتنامو وجدت أحد أفراد الصليب الأحمر (الأسود) الدولي أردني

الجنسية ويقطن مدينة الكرك أخبرته عن مقتل أبي يعقوب الأردني ليلبغ أهله في الكرك، إلا أن رده كان عجيباً لم أتوقعه، قال لى لا أستطيع أن أخبر أهله إلا أن تحضر لي شهادة وفاة ولكن أنى لى أن أحضر شهادة الوفاة؟ فيا له من طلب مستحيل! أسأل الله أن يكون أهله قد علموا بمقتله وأن يثبت أفئدتهم.

□ اليوم الثانى الأحد ١١ رمضان ١٤٢٢ هجرية:

طيلة فترة الليلة السابقة لم يتوقف القتال والإخوة في مواجهة الطيران الأمريكي والجيش الدستمي إلى أن حل الظلام وهدأت الأحوال وقلت أصوات الرصاص نسبياً في هذا الوقت رتب الشباب أوضاعهم وتقسّموا إلى مجموعات الباكستانيين حول أميرهم والأوزبك حول أميرهم أيضاً وكلهم تحت إمرة أخينا الأمير عبد العزيز النعماني اليمني وذلك بعد مقتل أمير الجماعة غريب الصنعاني في الإشتباك الأول تلك. بدأ القتال بيننا وبين الأمريكان المدججين بالأسلحة والطائرات تقصف وتدمر بعنف والإخوة يحتمون من نيرانهم تحت أسوار القلعة الشامخة وكذلك رجال الجنرال دستم العملاء يفتحون النيران علينا وهم يقفون في خندق واحد معهم.

من المعلوم أن الأمريكان حين تحرك الإخوة وفكوا قيودهم وقتلوا أربعة منهم لاذوا بالفرار وفي صحبتهم عناصر الصليب الأحمر (الأسود) وبقي في الساحة أفراد من تلفزيون الـ CNN يصورون مشاهد القتال العنيف والقنابل تتساقط هنا وهناك والرصاص يمر من أمامك ومن خلفك وتحت أرجلك ولا تسمع إلا صوته ولا تشم إلا رائحة البارود. خرجت قناة الـ CNN بحصيلة ضخمة من المشاهد الحقيقية الحية للقتال حيث الجثث تتساقط والأجسام تتمزق وتتطاير أشلاؤها، الذى يرى هذا الفلم يظن بأنه نوع من أنواع الخدع السينمائية وفي واقع الحال هي

كانت أحداث حية وهي الآن موجودة لدى الإستخبارات الأمريكية A.I.C، وقد شاهدت بنفسى هذا الفلم في غرف التحقيق في غوانتانامو، وقد أشاد المحققون والضباط الأمريكان ببسالة هؤلاء الإخوة وشدتهم في القتال.

نرجع إلى موضوعنا وهو بداية اليوم الثانى، كنت ملقيًا على بطني بسبب الرصاصة الغادره التي جاءتني من الخلف واستقرت في بطني وما علمت بوجودها إلا بعد عامين حاولت أن أقف على رجلي مرارًا لأداء الصلاة ومعاونة إخوانى الذين يقاتلون في الخارج وليس معهم إلا القليل من السلاح، بينما القوات الأمريكية تستخدم سلاح القنص ذو المناظير الليلية، كلما أصيب أحد الاخوة أدخلوه إلى القبو، بين الفينة والأخرى كانوا يأتون بجريح حتى أخذ عدد المجاهدين يقل في الخارج، وإذا قتل أمير نصبوا آخر مكانه. طبعًا لم نأكل منذ أن دخلنا القلعة إلا قليلًا من الأرز وأخذنا جرعات قليلة من الماء، ولما اشتدت بنا وطأة الجوع عمد بعض الاخوة إلى خيل فذبحوه وطبخوه على أغصان الشجر ووزعوه على الاخوة، كان هذا آخر طعام ذقناه لمدة سبعة أيام.

أخذ يزداد عدد الجرحى شيئًا فشيئًا حتى ضاقت الممرات والغرف من جراء القتال المستمر وتساقط الاخوة باستمرار، والدعم والمساندة مستمرة من الأمريكان بالأسلحة الحديثة خاصة القناصات المحمولة عليها المناظير الليلية والطائرات التي ترمى أطنانًا من المتفجرات، مع ذلك استطاع المجاهدون أن يلقنوا العدو درسًا لن ينسوه من فتية آمنوا بربهم فهم صغار في الأعمار كبار في الأعمال، نعم والله لقد رأينا الشجاعة والبسالة من أناس لم نحسب لهم حساب، أخذ الأسود يواجهون هذه القوه بقوة الله ثم ببعض الأسلحة الثقيلة التي كبدت العدو خسائر فادحة. نعم استطاع هؤلاء الفتية السيطرة على القلعة ونصبوا على بواباتها صواريخ

S.P.G.Nay « كلما حاول العدو الدخول أو الإقتراب من البوابة أطلقوا عليه الصواريخ لتدمر دباباتهم فعلموا بصعوبة الإقتراب من ناحية البوابة الرئيسية.

بعد أن استتبت الأوضاع نسبيًا في القلعة تشاور الإخوة فيما بينهم بإعداد خطة للهجوم على مدينة مزار شريف مع تباشير الصباح الباكر أى صباح اليوم الثالث ليتحرروا من هذا الحصار المضروب عليهم وكذلك من أجل مناصرة إخوانهم الأفغان المحاصرين في مدينة قندوز. بعد أن فقدنا مائة وخمسون من المقيدين بقى في القبو مائتي مقاتل مائة منهم جريح ومائة قتيل. وضعت الخطة للهجوم ثم أرسلوا من يخبرنا داخل القبو بذلك ويطلب كل من يستطيع من الإخوة الجرحى المشاركة حدث كل هذا عند منتصف الليل على أن يبدأ تنفيذ الخطة مع بزوغ فجر اليوم الثالث، فجاء وقبل أن نستجمع قوانا جاءت فرقة قناصة أمريكية خاصة مزودة بأسلحة كاتمة للصوت ومنظار ليلي وأجهزة حديثة تكشف موقع أى هدف متحرك تحت ستار الظلام وأخذت تستهدف الإخوة وتصيبهم في رؤوسهم فقط، وبدأ الإخوة يتساقطون الواحد منهم تلو الآخر وهم لا يعلمون من أين يأتى الرصاص؟! فجاء توقف القنص وبقي قليل من الإخوة الذين لزموا مكانهم، وبعد أن انتهت الفرقة الخاصة من مهمتها جاءت الطائرات الأمريكية وحلقت فوق القلعة وبدأت في إطلاق الصواريخ والقذائف الموجهة بدقة في جميع أنحاء القلعة بما فيها المخازن الخاصة بالأسلحة وكانت تلك الأسلحة عجيبة في مفعولها، كانت تحمل مائه تمحى الأخضر واليابس من الأشجار الكثيفة بحيث بدت ساحة القلعة خالية من أى نبات، كانت الطائرات ترمي وتذهب في السابق، أما هذه المرة كأنهم قرروا الإبادة فصارت ترمى الأطنان من القنابل العنقودية مع الصواريخ الموجهة لكى تخترق أبواب المخازن، اشتعلت المخازن واحداً تلو الآخر بطريقة رهيبية، من شدة الإشتعال كانت النيران الكثيفة تضى مداخل القبو تلفح حرارتها من كان

بالقرب من الباب، كان أمرًا رهيبًا لا يستوعبه العقل ولا تصدقه العين، والأعجب من كل هذا أن المخازن كانت مليئة بذخائر الأسلحة الثقيلة دبابات و راجمات و هاوناتو صواريخ (ال BM و ذخائر دوشكا و وشلكا .. يا للهول! رأينا منظرا لم نصدقه ولم نراه من قبل أبدا، هل تصدق عزيزي القارئ عند إنفجار المخازن وشدة الحرارة والاشتعال وكثرة الانفجارات إنطلقت الصواريخ والذخائر الثقيلة والخفيفة وأخذت تدمر جدران المخازن وتنطلق إلى أعلي، منها التي تنطلق الى ناحية مزار شريف ومنها التي تنطلق داخل القلعة ومنها التي تنفجر في محيط القلعة ومنها .. ومنها، استمرت هذه الانفجارات عدة ساعات ولسان حالهم يقول علي وعلي أعدائي.

أرسل المجاهدون الذين في الخارج إلى إخوانهم الجرحى الموجودون تحت الأرض (القبو) يدعون من يستطيع حمل السلاح بأن يخرج للمشاركة حتى ولو كان مبتور الأرجل ويخبرونهم بأنهم قد تعرضوا لهجوم مباغت وفقدوا كثيرا من الإخوة. تحرك من استطاع من الجرحى للمشاركة، أتذكر هذا اليوم جيدا، كان يمارضني أحد الإخوة (محمدعبدالله الشنقيطي) من أبناء المدينة المنورة يبلغ من العمر ستة عشر عامًا وكان مصابًا في ظهره، حين سمع النداء انتفض ناهضًا كالأسد وقال لي: استميتك عذرا وخرج ولم يعد بعدها، علمت لاحقا بأنه قتل بعد أن أثنى في الأعداء، كذلك كان معنا تحت الارض فلسطينيان خرج أحدهما للمشاركة في القتال وقتل والآخر كان يطبب الإخوة ويداوي جراحهم وحين سمع بمقتل أخيه خرج هو الآخر وقاتل بضراوة حتى قتل، تأسفت لمقتله لأنه كان الوحيد الذي لديه خبرة في مداواة وتجبير الكسور والجميع مصابون إلا نفر أو نفرين.

الآن الإخوة الذين يقاتلون في الخارج صار عددهم قليلا جدا والقلعة كبيرة وقد

جاء المدد للأعداء يساندتهم غطاء جوي كثيف، دخلت المدرعات تتبعها حشود من الجند إلى ساحة القلعة والبقية الباقية من الإخوة بين حطام الأشجار وخلف الأبواب.

أتوقف هنا أيها القارئ حتى أوضح لك لماذا استعملوا كل هذه القوة؟ ولماذا هذا التوقيت بالذات؟ وكيف عرفوا خطتنا لمهاجمة مزار شريف؟

دعني أرجع بك إلى الوراء قليلاً، في اليوم الأول عند اندلاع القتال طبعاً حدث هرج ومرج واختلط الحابل بالنابل واضطربت الأوضاع، في هذا الوضع الهائج أخذ كل واحد يفكر في النجاة بنفسه من هذا الجحيم الذي فتح والرصاص يتوالى من كل الاتجاهات وكل يتوقع أن يقتل في أي لحظة، في غمرة هذه الأحداث اضطرب بعض الجنرالات من رجال دستم واحتاروا في امرهم وأى مكان يلجأون إليه، هرب أحدهم ودخل أول مدخل قابله ونزل بالسلم حتى وصل الطابق السفلي تحت الأرض (القبو) وجلس في ركن قصي يلفه الظلام ودخل أيضاً من الإخوة الجرحى من دخل وأخذ عددهم يتزايد وهذا الشخص يسمع ما يدور بين الإخوة ويتصل مع قاعدة بجهاز لاسلكي متطور جداً وينقل لهم ما يدور تحت الأرض وظل على هذه الحال حتى سمع من الإخوة خطة هجوم مزار شريف وعلى الفور أبلغ قيادته والأمريكان بما سيحصل، لم تكن نعلم ذلك لعدة أسباب:

أولاً: الظلام الدامس.

ثانياً: الجنسيات المختلفة واللغات المتباينة.

ثالثاً: كلنا جرحى ومشغولون بأنفسنا.

لم تكن نعرف بوجود هذا الرجل إلا بعد أن جاءت الطائرات في اليوم الثاني وألقت أطناناً من القنابل على المخازن وتسلسل اللهب وأضاءت بعض المداخل

والممرات تحت الأرض، في هذه الأثناء كان أحد الإخوة بجوار هذا الجاسوس ومع انبعاث الضوء لمح وجه الجاسوس فاذا هو حليق اللحية غير مألوف لديه بين الإخوة، فعمد إلى كشاف صغير ضئيل الضوء وسلطه على وجهه ليقطع الشك، بعدها تأكد تمامًا بأنه أحد رجال الجنرال دستم، وقبضوا عليه وفي أثناء التفتيش وجدوا معه آلاف الدولارات، وجهاز لاسلكي صغير الحجم متطور جدًا جدًا ومعه بطاقة تحمل هويته، ويبدو أنه كان ضابطًا كبيرًا في الاستخبارات وقيل أنه كان الرجل الثاني لدستم. في أثناء قصف الطائرات على القلعة وتدمير جميع ما فيها من بشر وحجر وشجر أصدر الأمير قرارًا بقتل الجاسوس خوفًا من أن يحصل اقتحام ومباغطة من رجاله بالتالي ينجو من قبضتنا.

نرجع أيها القارئ إلى ما وقفنا عنده فبعد أن أنجلي الموقف وقلت الحرائق تسلق عناصر الجيش الدستمي أسوار القلعة ودخلت الدبابات من الأبواب الرئيسية والطائرات تحلق فوق القلعة كالنسور، كان الإخوة الذين بقوا بعد التدمير في غرفة المطبخ وعددهم حوال خمسة عشر عنصرًا (كان من بينهم سمرقند) والبقية الباقية جرحى تحت الجدران، ياللهول! ترى الجثث بعضها معلقة على جذوع الأشجار وبعضها تطفو فوق الأنهار فياله من منظر مريع يثير الشفقة في قلب العدو قبل الصديق ولكن كل هذا يهون في سبيل إعلاء كلمة الله ونيل الشهادة طالما الغاية سامية ولا بد من بذل النفس والنفيس في سبيل تحقيقها ﴿إِنَّهُمْ فِتْنَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾^(١) فبشرى لهم.

تساءل الإخوة فيما بينهم ماذا نفعل؟ يجب أن نجد مكانًا نتحصن فيه قبل أن يهجم الأعداء ويحاصرونا، وفكروا ثم فكروا، ولم يجدوا حلًا، عندها تذكروا

(١) سورة الكهف الآية رقم (١٣).

قول الله تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَنَظُّوْنَ بِاللّهِ الظُّنُونَا ۝ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾^(١).

زحفت جحافل الأعداء وانتشرت داخل القلعة وأحكمت سيطرتها عليها تساندها فرقة من القناصة الأمريكية المخفية خلف الجدران المتهدمة، هنا اتفق الإخوة على عدم تسليم أنفسهم ومواصلة القتال حتى يلقوا الأجرة، أثناء تطهير المداخل والمخارج وجد الأعداء غرفة المطبخ التي يتحصن فيها الإخوة، تقدمت دبابة نحو باب المطبخ في هذا الوقت خرج أحد الإخوة وفي يده قنبلة قذفها في وجه الأعداء فقتل وقتل، أما بقية الإخوة في الداخل لم يكن معهم أى سلاح سوى كلاشنكوف لا يعمل بكفاءة عالية أى شبه معطل يرمى تاره ويتوقف تارة أخرى. كان بين باب غرفه المطبخ وباب السرداب الذى يؤدى إلى القبو عدة أمتار، وقف أحد الإخوة (من بلاد الحرمين) خلف باب المطبخ وهو يحمل سلاح الكلاشنكوف شبه المعطل ويريد أن يدخل به في القبو، استعد للإنطلاق والعدو مصوب فوهات سلاحه لقتل كل من يحاول الخروج، خرج الأخ كالسهم المنطلق وأخذ يعدو بكل ما أوتى من قوة والجميع يفتحون نيران أسلحتهم عليه، صدقنى أيها القارئ لن أستطيع أن أصف لك المنظر حسب رواية الأخ وكيف نجا من نيرانهم، تخيل أيها القارئ شخص يجري وما لا يقل عن ثلاثين أو أربعين فرد يطلقون الرصاص خلفه وعن يمينه ويساره وتحت أرجله ماذا تتوقع؟ المفترض أن يقتل في الحال ولكن المشيئة أرادت بالأخ أن يدخل عند إخوانه بذلك السلاح الذى أدخل الرعب في قلوب الأعداء ونفعنا فيما بعد، وبدخول الاخ المستبسل كانت نهاية اليوم الثانى وبداية اليوم الثالث.

(١) سورة الأحزاب الآية رقم (١٠).

□ اليوم الثالث الإثنين الموافق ١٢ رمضان ١٤٢٢ هجريه:

كان الأخ الذي تمكن من الدخول للإخوة في القبو آخر من رأى الشباب داخل غرفة المطبخ قبل أن يقتلوا بالطريقة البشعة التي قتلوا بها، عرفنا طريقة مقتلهم إذ صوبت الدبابات فوهاتنا نحو البوابات والنوافذ وشرعوا يقصفون ويقصفون فأحالوا أجسامهم الطاهرة إلى لحوم وأشلاء متناثرة.

أصبحت ساحة القلعة خالية من الأسود الثائرة والأبطال المغاوير. جمع الأعداء جثث الإخوة الذين قتلوا في اليوم الأول وهم مقيدون وكذلك أشلاء الجثث المتناثرة في غرفة المطبخ ووضعوهم في شاحنات وذهبوا بهم إلى الخارج ورصوهم صفًا واحدًا وصوروهم ثم وضعوهم في حفرة كبيرة بحضور أفراد من منظمة الصليب الأحمر الدولية (الأسود) حصل هذا أيضا للإخوة الذين قتلوا عن طريق فرقة القناصة في اليوم الثاني وذهبوا بهم أيضا إلى المقابر الجماعية، نظفوا الساحة تمامًا من الجثث حتى يفرغوا للبقية الذين هم في القبو وكان عددهم مائتا شخص ما بين قتيل وجريح بعضهم مقطوع اليد والرجل ومنهم إخترق الرصاص بطنه (نسال الله ان يحفظه) وبعضهم مشوه الوجه ومجدوع الانف والفم (صلاح الدين الحساوي) وبعضهم .. وبعضهم .. إلخ.

تخيل أيها القارئ هذا المنظر وهذه الصور البشعة والمشاهد المحزنة التي يندى لها الجبين وهم في ظلمات القبو ونحن موزعون في خمس غرف مفتوحة على صالة بها ممرات تؤدي إلى سلمين أحدهما لولبي والآخر ذو درج عادي داخل مبنى محصن غاية التحصين يتوسط القلعة، هذا المبنى بناء الروس إبان الاحتلال الروسى لأفغانستان وصمموه خصيصًا لمثل هذه الطوارئ، فالغرف الخمس التي ذكرتها لك غرفتان منها خصصناها للقتلى وغرفتان ومعهما الصالة للجرحى والغرفة الباقية أكرمك الله لقضاء الحاجة. في هذا اليوم أحسست ببعض النشاط، تحركت

رغم الآلام وأخذت أتجول وسط الجرحى والقتلى متلمساً الجدار وسط الظلام الدامس حيث لا تسمع إلا التهليل والإبتهالات والألسن تلهج بذكر الله والتضرع، واصلت السير إلى أن بلغت مدخل الصالة أى بداية السلم اللولبي من الأسفل وعن يميني ممر طويل يوصل إلى سلم الدرج، ومنها ينفذ عبر سرداب، هذا الممر الطويل به بابان غير باب السرداب وأمامي جدار، جلست في هذا المكان أى في ركن يصعد بك إلى السلم اللولبي أخذت السلاح الذى دخل به الأخ الذى من بلاد الحرمين لأحرس الجرحى والمكان كما قلت لك مظلم لا ترى سوى نافذة صغيرة في أعلى السلم اللولبي، نفذ ضوء ضئيل وأخذ يتسلل من تلك النافذة هنا عرفت بأننا في النهار، كنا نستعمل حاسة السمع فقط وكنا نتوقع أى واحد من الأعداء في أى لحظة، كنت أطلب من الإخوة إلترام الصمت لأتمكن من سماع وقع أقدامهم على السلم لأنهم إذا نزلوا دون أن نشعر بهم سيقضون علينا جميعاً، فهم بعد مقتل الجاسوس (ضابط الاستخبارات) انقطعت عنهم الأخبار والمعلومات، وأصبحوا لا يملكون أى معلومات بما يحدث في القبو، كانوا يظنون بأننا نملك قنابل وقذائف (G.P.R) لذلك تخوفوا من النزول إلينا ونحن لا نملك سوى السلاح الخفيف الذى لا يعمل إلا بصعوبة ولولا الله ﷻ ثم الأخ الذى دخل بالسلاح لكانت الفاجعة أكبر والخسارة أفدح.

نفعنا البابان اللذان كانا في الممر الطويل فيما بعد، فالعدو بعد أن تأكد من مقتل جميع من في الخارج استعد للإجهاز على البقية، نصبوا فوهة الدبابة على باب السرداب وأطلقوا عدة قذائف اهتزت الأرض عدة مرات ولكن هذه القذائف لم تصبنا لأن أبواب الممر حالت دون ذلك ووقفت سدّاً منيعاً أمام القصف، استمروا في التنصيف حتى تمكنوا أخيراً من تدمير البابين وظلوا على هذه الحال وبقيت الجدران هي الأخرى تعترض قذائفهم بعد تدمير البابين، سبحان الله! كأن

هذه الأبواب والجدران تقف بجانبنا لتحميننا، كانت أحياناً تأتينا الشظايا والدخان، طلبت من الإخوة الجرحى الذين كانوا في الصالة التحول إلى الغرفة مع أن الغرف ملاءى والجرحى يحتاجون إلى وضع خاص يناسب حالتهم ولكن ماذا أفعل؟ للضرورة أحكام، بعد محاولات استطعت أن أخلى المكان من بعض الجرحى القريبين من مرمى الهدف، فجأة جاء من النافذة العلوية للمسلم اللولبي وابل من الرصاص، انسحبت الدبابة وأستخدموا سلاح آخر أشد فتكاً ألا وهو إلقاء القنابل عبر النوافذ والممرات مع استمرار القصف، كنت أطلب من الإخوة الصمت كلما يقل القصف حتى لا يباغتونا بالدخول، والقصف يشتد مرة ويهدأ مرة أخرى وكل مشغول بنفسه، من كانت إصابته قاتلة يموت في مكانه ولا تحس به، هذا واستمر القصف إلى وقت متأخر من الليل حتى دخلنا في اليوم الرابع.

□ اليوم الرابع الثلاثاء الموافق ١٣ رمضان ١٤٢٢ هجرية:

علمت بعد عدة ساعات وبواسطة الضوء الضئيل المنبعث من النافذة العلوية علمت بأننا دخلنا في يوم آخر هو اليوم الرابع، رجعت إلى حراسة الإخوة وحالتي لا تسمح لى بالوقوف، سمعت صوت شئ ما يتدحرج من أعلى مقبلاً نحوى ويستقر أمامي بيني وبينه نصف متر تقريباً، اتضح لى بأنها قبلة يدوية تجمدت في مكاني وأنا ملقى على بطني وخلفي الجرحى وثوان معدودة وتنفجر... عندئذ تيقنت بأنني ميت لا محالة، وضعت كلتا يديّ على وجهي حتى لا تشوّه، صرت أهمل وأهمل، فجأة انفجر الصاعق فقط ولكن القبلة لم تنفجر، لم أصدق ما حصل، قبلة بيني وبينها نصف متر وأنجو؟! أمرت الإخوة بأن ينتقلوا من مكانهم سريعاً ويخلوا الصالة، قبل أن أكمل أوامرى فإذا بي أسمع نفس الصوت وقبلة أخرى تتدحرج هذه المرة وتندفع بسرعة قبل أن ألتقط أنفاسي من الأولى فإذا هي تستقر بجوار فخذي حيث كنت جالساً هذه المرة، وإذا أخذتها لا أجد مكاناً أرمي عليه

لأن المكان من حولي مكتظ بالجرحى وستصيبهم، وإذا حاولت أن أردّها إلى الأعداء طريقة جلوسى لم تكن تسعفنى، قررت أن أظل مكاني لأحجب الموجة والشظايا عن الإخوة بقدر ما أستطيع، ظللت أهمل وأهمل وأنا جالس في دهشة وذهول وفجأة سمعت صوت أضعف بكثير من الصوت الحقيقى للقبلة بعدها أحسست بالآلام وجروح طفيفة في فخذي فقد انفجر الصاعق أيضًا هذه المرة، ما هذا؟! قبل أن أشكر الله وقبل أن يهدأ روعي فإذا بالقبلة الثالثة أمامي مباشرة، قلت في نفسي هذه المرة هي نهايتي حتمًا، وضعت يديّ على رأسي أستقبل الموت راضيًا غير مدبر، ورحت أهمل وأهمل والقبلة لم تنفجر، الله الله إنها عناية الله ثم بسبب الرطوبة التي على القبلة. بعد هذه المحاولات بقليل فتحت نيران كثيفة علينا مرة أخرى، هذه المرة من الرشاشات لعمل تمشيط نهائي، توقعت اقتحامهم علينا، بالفعل سمعت وقع أقدام من أعلى السلم ويبدو بأن اثنين من جنود الأعداء المدججين بالسلاح كانا يدفعان أحداً أمامهما كستار ومن يدفعانه يقاوم ويصرخ محاولاً الرجوع وهما لا يباليان به، ساعثذ أحسست بقربهم ووجدت بأن الأمر يحتاج إلى سرعة وتصرف مع إتقان الرمي وهو أن تقف مختبئاً خلف الجدار وتخرج السلاح وترمي وترجع إلى مكانك دون أن تحدث صوتاً، وكان بإمكانني أن أفعل ذلك ولكن هي في النهاية مجازفة وظهري لا يسمح لي بذلك وليس لدينا إلا هذا السلاح الخرب. لم يُقدم أعداء الله على هذه الحيلة إلا ليتأكدوا بأننا نملك سلاح أم لا؟ لذا لجأوا إلى هذه الطريقة أي لستعمال الساتر البشرى، بأخذ أحد أسراهم ومحاولة النزول به للتأكد إن كان لنا سلاح نقاوم به أو للتأكد بأننا قتلنا عن آخرنا. طلبت من أخ بجوارى وقد كان سليم البدن بأن يأخذ السلاح ويرمى بالطريقة التي ذكرتها سابقاً، قلت له: المسألة مسألة موت أو حياة للجميع ويجب أن توهمهم بأننا نملك السلاح والقوة حتى لا يتجرأوا بالنزول إلينا وفعلاً أخذ مكاني

واستعد واقتربت خطواتهم، خرج ورمى ثم رجع في خلال ثانية، قتل هذا الأخ أحدهم وولى الاثنان الآخرين الأدبار مع إطلاق صرخة مدوية. استطاع هذا الأخ إدخال الرعب في قلوبهم والقيام بالمهمة على أكمل وجه ولو كان السلاح يعمل جيداً لقتلهم ثلاثتهم. أنزلنا القتيل من فوق السلم لعلنا نجد معه سلاح نتقوى به لكن لم نجد معه أى سلاح ولعله خالفهم في شئ أو كان أسير عندهم أو أفشى سرهم لذلك استخدموه كبش فداء، بعد هذا الحادث لم نسمع أصوات الأعداء سوى أصوات المجنزرات تتحرك لا ندرى إلى أين؟ أهى ذاهبة أم أنها تبحث عن موقع مناسب للتمركز والرمي.

هدأت الأصوات تمامًا، وبدأ على الإخوة التعب والإرهاق وذلك بسبب العطش فهم منذ ثلاثة أيام لم يذوقوا جرعة ماء أى منذ دخولهم القلعة مع العلم بأن بعضنا كان صائمًا، مات عدد منهم بالعطش ودخل ثلاثة أو أربعة على ما أذكر في هذيان وصاروا يتكلمون كلامًا غير مفهوم، أوقفت أحدهم وهو يهم بالذهاب إلى الخارج، فقلت له: أين أنت ذاهب؟ فقال لي: أنا ذاهب إلى المطعم (الكافتريا) في الطابق العلوي، قلت له بجذ وحزم: ارجع مكانك هنا لا يوجد مطاعم، وأحدهم كان قوله قريب من هذا، وفيما بعد ألتقينا في غوانتانامو ذكرت للإخوة قصة هذيانهم، أنكر بعضهم ماقاله ورد بعضهم لم أشعر بنفسى ولا أتذكر، ضحكنا عليهم كثيرًا (حفظهم الله).

ونحن في هذه الحالة العصبية جاءني أخ طاجيكي وقال لي: الإخوة في حالة صعبة والعطش بلغ بهم أقصى حد أريدك أن تأذن لى بالذهاب إلى النهر لأحضر بعض الماء، كان الوقت منتصف الليل تقريبًا وكان الأعداء قد ذهبوا بعد أن نصبوا حارسًا أمام المدخل في مكان مرتفع لحين عودتهم مره أخرى في الصباح، ترددت في السماح له في بادئ الأمر لخوفي من أمرين.

الأمر الأول: أن العدو ربما يفكر بذكاء وهو أن يحجز أو يقتل من يخرج ويدخل متخفياً في هيئة جاسوس أو فاتك مدعياً بأنه أحد الإخوة.

الأمر الثاني: أن أرفض ذهابه ويزداد موت الإخوة من شدة العطش، ماذا أفعل؟ والأمران أحلاهما مرّ، أخيراً سمحت له بالخروج مع أخذ الحيلة والحذر وأخبرته بكلمة سر تكون معروفة بيننا ليقولها من غير أن أسأله من أنت حينما يحضر، وإن لم يلتزم بهذا فسنطلق الرصاص فالأمر لا يحتمل دخول أحد من الأعداء على الجرحى، المهم اتفقنا على هذه الخطة وخرج ومعه إبريق وطلبت منه الرجوع بسرعة، عشت في فترة قلق رهيبه وتوتر وأنا في انتظار رجوعه، وبعد قليل سمعت وقع أقدام مقبلة نحوي، أخذت الوضعية المناسبة للرمي إن لم يكن القادم ذلك الطاجيكي وبفضل الله نادى من على بعد على حسب اتفاقنا المسبق، جاء ومعه الماء بعد أن شرب وارتوى، شرب الإخوة جميعاً من هذا الإبريق، هل تصدق أيها القارئ ما لا يقل عن ثمانين فرد شربوا من هذا الإبريق حتى ارتووا جميعاً، إنه لأمر يدعو إلى التفكير والتدبر بهذه الكرامة التي حصلت لنا. كان هذا الطاجيكي يتحلى بشجاعة نادرة فهو لم يكتف بجلب الماء فقط بل تسلل بين الأشجار وأجرى استطلاعاً سريعاً لمعرفة مواقع الحراسات ورأى أن مدخلنا هذا يتصب على مواجهته من الجهة المقابلة لنا حارس، بعد أن سمع الإخوة بخروج الطاجيكي وعدم انتباه الحرس لعل الله أعمى بصرهم أرادوا الخروج طلباً للماء ولو أدى ذلك إلى مقتلهم وخير لهم أن يقتلوا ويستشهدوا ولا يموتوا عطشاً على حسب قولهم، رفضت هذه الفكرة بشدة ورفعت السلاح عليهم وقلت لهم: كل من يحاول الخروج سوف أطلق عليه النار والسبب أنهم لا يعلمون ما ينتظرهم في الخارج، أما سماحي للطاجيكي بالذهاب هو أنني كنت متقيناً من أنه كان شجاعاً حذراً فطناً يتصف بالقوة والنشاط، وهمه أن يسقى الإخوة وحريص على الرجوع ويعرف طريقة

الدخول إلينا أى كلمة السر المعروفة بيننا . . والسبب الثانى هو خير لنا أن يقتل أو يؤسر أحد منا لا قدر الله بدلاً من مجموعة أفراد . منعتهم ليس لعدم الثقة بهم حاشا وكلا ، فكلهم أسود لا تكاد تفاضل أحدهم على الآخر ، وسبب آخر كنت أخشاه وهو أن يقبض على أحدهم ويجبر على كشف ما بنا من نقاط الضعف ويتم القضاء علينا ، منعتهم ليس لعدم الثقة كما أخبرتكم ولكن الذى رأيناه شئ لا يصدق ، قتلى عن يمينك وعن يسارك بعضهم فقد أنفه وبعضهم مبتور الأطراف وبعضهم أحشاؤه فى الخارج وبعضهم . . وبعضهم . . إلخ ، وكان المكان مليئاً بالدماء والعدو بين الفينة والأخرى يطلق قذائف والإخوة بعضهم دخل فى هذيان كما ذكرت آنفا والإنسان بطبيعته ضعيف ولا يقوى أمام مثل هذه النكبات إلا من كان قوى الإيمان وحين رفعت السلاح كان خوفاً عليهم وعلى بقية الجرحى وحتى لا يعرف العدو نقاط ضعفنا ، وخاصة أنه واهم بأننا نملك أسلحة وأصابه الرعب .

بعد أن رجع من كانوا يريدون الخروج إلى مكانهم جاءنى أخوين أحدهما من بلاد الحرمين (محمد سرور العتيبي قتل فى حادث سير بعد أن خرج من غوانتانامو فى الرياض وكان من المفترض أن يكتب عن هذه المذبحة لما لديه من معلومات كثيرة نسأل الله أن يتقبله) و الآخر ليبي وألحا على بأن أسمح لهما بالخروج لجلب الماء لأن الإخوة عطشى وقالوا لى بأن هذه فرصة لنا لنجلب الماء بإناء أكبر ، وافقت على خروجهما ، خرجا وجاءا بإناء أكبر مملوء ، ثم جاءنى آخران ترددت فى بداية الأمر فى إخراجهما ثم وافقت لهما بالخروج وذهبا وشربا وعادا بماء كثير وارتوى الجميع ، أصبح الطريق آمنا ربما الحارس نام من شدة التعب أو أعمى الله بصره وهو اللطيف بعباده ويكون معك فى الشدة والرخاء عندما تكون فى معيته حيث يقول الشاعر :

وإذا العناية لاحظتك عيونها نم فالمخاوف كلهن أمان

عاود الطاجيكي الكرة مرة أخرى وجاءني هذه المرة ومعة ثلاثة من الإخوة وقال لي: إذن لنا بالخروج نأتي بالماء ونستكشف المكان قبل بزوغ الفجر سمحت لهم، خرجوا ولكنهم تأخروا، سمعت صوت رصاص ووقع أقدام متجه نحو الممر فتهيأت. فإذا هو الطاجيكي يمسك يده، قلت له مابك؟ وأين البقية؟ قال لي: هوجمنا وقتل اثنان منا وأنا أصبت في ذراعي كما ترى ورابعنا قادم خلفي، خشيت أن يأتوا على إثرهم يطلبونهم ويجدوا البقية وتكون الكارثة، وقد كانت هذه ليلة عصبية عشناها رغم توفر الماء.

□ اليوم الخامس الاربعاء الموافق ١٤ رمضان ١٤٢٢هـ:

مازلنا تحت القبو صامدين صابرين محتسبين لله وما زال العدو يحاول جاهداً إيجاد ثغرة للقضاء علينا وجرب جميع ما عنده من حيل وأسلحة خبيثة وفتاكة وما أكثرها ولكنهم لم يفلحوا طالما عين الله ترعانا.

كانت جثث القتلى تتناثر في كل مكان والأرض تمتلئ بالدماء وبقايا الجدران المحطمة تتراكم فوق الجثث وأنين الجرحى ينطلق من هنا وهناك وقذائف الهاون تهز الأرض تحتنا هزاً والظلام الدامس يلف أركان القبو، لقد كان مشهداً رهيباً سيظل محفوراً في الذاكرة، ورغم كل هذا كان الإخوة منهم من يشعر بالسكينة والطمأنينة ومنهم من يهيئ نفسه للحاق بمن سبقوه من إخوانه ومنهم من يدعو الله أن يعجل له بالشفاء حتى يشحن في الاعداء، وقد حصلت للإخوة كرامات كثيرة سأذكرها لك كل في مكانه إن شاء الله. وبينما الرهبة تخيم على المكان إذ بنا نسمع حركة وجلبة في الخارج، أيقنا بأنهم يعدون أنفسهم للاقتحام علينا لكنهم لم يفعلوا إنما جاءوا بسلاح آخر عجيب ما كنا نضعه في الحسبان، سمعنا دوى انفجار رهيب أعقبه لهب كثيف وصل إلينا عبر الممرات وخيم فوقنا كالسحاب وأخذ يشب في

جسم كل من كان واقفاً من الإخوة، طلبنا منهم الانبطاح على الأرض واللهب يزحف في كل أنحاء القبو، بعض الإخوة اشتعلت أجسامهم وقد جردناهم من ملابسهم وبعضهم احترق شعر رأسه، استمر الحال لعدة ثواني ثم ما لبث أن اختفى اللهب، وقد استمروا في استخدام هذا السلاح مرة بعد مرة والمكان يتحول معه الى فرن كبير من شدة الحرارة ولكن بحمد الله وتوفيقه عرفنا كيف نتفاداه، ظنوا بأن هذا السلاح سيجبرنا على الخروج وتسليم أنفسنا، كما كانوا يظنون أو يخشون بأننا سنخرج إليهم في أي لحظة مهاجمين ولكنهم لم يكونوا يعلمون ما بنا من تعب وإرهاق واننا عزّل. لم تفلح بفضل الله هذه المحاولة ولم تأتى بأى نتيجة إيجابية لأننا لم نشعرهم بضعفنا وظللتنا متمسكين بهدوئنا ورباطة جأشنا، ولما أحسوا بذلك لجأوا إلى سلاح آخر يعتبر من أسرع الأسلحة في إزهاق الارواح من دون أي جراح ليشفوا غليلهم دون أن يراعوا آدميتنا خارجين عن قواعد وأدبيات القتال الشريف، استخدموا هذا السلاح الذي نعتبره سلاح الجبناء تخيل معي ايها القارئ نوع هذا السلاح سمعنا خرير مياه تتدفق من نوافذ غرف القتلى، هرعنا نحوها ونحن نجتاز وسط القتلى لسد المنافذ والفراغات والشقوق بين الأبواب وذلك باستخدام ملابسنا، لم نتمكن من سد هذه الثغرات بسبب قوة اندفاع الماء حيث امتلأت إحدى الغرف وأخذ الماء ينساب الى الصالة، مع ظهور أول دفعة نبهت الإخوة بالابتعاد عن الماء بقدر الإمكان وقلت لهم: لعل هذا الماء سيكهرب، وبالفعل أخذ الماء يضطرب ويحدث صوتاً كصوت الزيت المغلي عندما يصب عليه الماء ويهتز هزات سريعة مضطربة تتوقف وتعاود الكرة مرة أخرى، تأكدت حينها بأنه ماء مكهرب، وفي غوانتانامو لاحقاً سألت المحقق الأمريكي لماذا توقفتكم عن استخدام الماء المكهرب لقتلنا؟ أجاب جاءتنا أوامر بإيقاف العملية، هذا ما جعلني أقطع الشك بأنه كان ماءً مكهرباً. هكذا لم يتورعوا من استخدام كل أنواع الأسلحة القدرة لإجبارنا على الإستسلام ولكن خاب مساعيهم في كل مرة، قاتلهم الله.

□ اليوم السادس الموافق ١٥ رمضان ١٤٢٢هـ:

في هذا اليوم شعرت ببعض التحسن وبدأت أتحرك على قدمي بين الإخوة القتلى والجرحى أتفقد أحوالهم، في هذه اللحظة حطم العدو نافذة صغيرة في أكبر الغرف وألقى قنابل وسط القتلى والجرحى إمعاناً في التتكيل بنا، وقد قتل من قتل كما أن هذه القنابل أثارت هلعاً وسط الإخوة، وقد هرع بعضنا إلى الغرف الأخرى المكدسة بالقتلى والجرحى، وبعد أن هدأ روعنا وجدت صديقاً لي يكنى بعاشق الحور (اسمه أحمد الوظائف يسكن الطائف بحي الشطبة) وهو من بلاد الحرمين من أصل يماني ملقي على باب الغرفة الكبيرة وكان الإخوة الداخلون والخارجون يطأونه بأقدامهم دون أن يروه بسبب الظلام، سألته: لماذا أنت هنا؟ قم من طريق الإخوة حتى لا تصاب، طلبت منه أن يدخل إلى الغرفة وأنا لا أعلم بأنه مكسور الحوض، حيث جاء أحد الإخوة وأعانه على الدخول، حينها سكب العدو البنزين من النوافذ دون رحمة لأنهم رأوا أن هؤلاء الشباب أغضبوا سيدتهم أمريكا وهامهم يريدون أن ينتقموا لها، ولم نكن نعرف بأن هذا السائل في بادئ الأمر هو مادة البنزين إلا بعد أن انتشرت رائحته، وعلى الفور تداركنا الموقف حيث أحضرنا السلاح الوحيد «الكلاشنكوف» وأطلقنا الرصاص على المكان الذي يسيل منه البنزين وكانت المفاجأة أن اشتعل البنزين وخرجت ألسنة اللهب إلى الخارج بدلاً من الدخول إلينا وبفضل الله لم يحترق أحدنا. كان قصدهم من هذه الفعلة إجبارنا على الاستسلام تحت وطأة الاختناق فباءت هذه المحاولة بالفشل كسابقاتها والحمد لله رب العالمين.

ونحن على هذه الحال سمعنا أحداً من الأعلى ينادينا مخاطباً بلغة لم نفهمها فطلبنا من أحد الإخوة الأفغان أن يسمع ما يقول ويترجم لنا، كانت فحوى كلامه تتضمن التهديد بتدمير الغرف فوق رؤوسنا إذا لم نسلم المسؤول الذي معنا أي ذلك

الجاسوس الذي قتلناه، وقد اتفقنا على ألا نرد عليه والرجل ينادى ويصرخ، ويبدو حين قطع الإتصال بينهم وبين رجل الإستخبارات الجاسوس أنهم قد أحسوا بأنه في خطر وكانوا يشكون في أمره أقتل أم أسر؟ لذلك جاءوا مرة أخرى ونادوا وفي هذه المرة بلهجة وأسلوب آخر وطلبوا المفاوضة، كنا نعلم بأنهم أهل خيانة وغدر، قالوا لنا: الأمريكان في الخارج معنا ونريد أن نتفاوض معكم، وبعد إجراء مشاورات فيما بيننا قررنا الخروج إليهم، وأما إذا سألوا عن رفيقهم ننكر وجود أي رجل منهم بيننا وفي حالة معرفتهم بأن الضابط معنا ألا نخبرهم بما حصل له ونعتبره رهينة حتى الفراغ من المفاوضات والرجوع إلى القبو سالمين. كان من ضمن الإخوة الذين خرجوا للتفاوض أخ أفغاني (محمد الأفغاني) صغير في السن خاض معارك كثيرة من قبل ويتكلم اللغة العربية بجانب الفارسية والأردو، والبشتو، كان وسيطاً أو بمثابة مترجم ويخدم العرب من قبل قوات طالبان، كان مطلوباً لدى الجنرال دستم ورجال مسعود شاه، رغم صغر سنه إلا أنه كان يعتبر من العقول الخيرة بشؤون الحرب، وكنا قد رفضنا خروجه لكنه أصر وخرج ومعه أحد الإخوة العراقيين (علي العراقي) وأخ آخر من أهل اليمن (وضاح الأيبي) قتل مؤخراً في غوانتانامو)، اجتمعوا معهم بحضور الأمريكان، رجع العراقي واليمني أما الأفغاني فلم يرجع قيل أنه لم يذهب من أساسه وقيل أن إصابته كانت بليغة فذهبوا به إلى المشفى. كانت نتيجة المفاوضات أن يرجع هؤلاء إلى إخوانهم ويقنعوهم بالخروج وتسليم أنفسهم، ولما علموا بعدم تجاوبنا معهم جاءت الطائرات الأمريكية وشرعت تقصف وتهدم المبنى من أعلى حتى يتسنى لصواريخهم أن تصل إلينا في القبو، استطاعوا أن يسووا المبنى بالأرض ولكن رغم ذلك الصواريخ لم تستطع إختراق سقف القبو حيث كان المبنى مشيداً بصورة محكمة من قبل الروس وكأنه مصمم لمثل هذه الأحداث.

نعود بك أيها القارئ إلى أختينا عاشق الحور، سمعت صوته يأتي إلى من بعيد ينادي: يا أبا دجانة يا أبا دجانة وكان يحلو له أن يكتنني بهذه الكنية، أسرعته إليه فإذا به يتنفس بصعوبة لأنه اختنق بالبنزين الذي انسكب على رأسه ووجهه، أخذت قميص أحد الإخوة وبللته بقليل من الماء ووضعت على أنفه لمساعدته على التنفس واستعادة قواه، فجأه سمعت هتافاً من الإخوة في ناحية موقع الحراسة، هنا كان العدو قد لجأ إلى آخر سلاح تبقى في جعبته، حوّل مجرى النهر إلى داخل القبو، جاءنا الماء فظن الإخوة بأنهم سوف يلجؤون إلى وضع الكهرباء فيه كالسابق، تكدس جميع الإخوة في غرفة واحدة وأخذوا يعملون جاهدين على سد الثغرات التي يمكن أن يتسرب عبرها الماء إلى الداخل، كان اثنان أو ثلاثة على ما أذكر تعلقوا في الأبواب وحطام الجدران تجنباً للموت بواسطة الكهرباء، بعد هنيهة أحسنا بالماء يتسرب داخل الغرفة وينساب رويداً رويداً والإخوة يتراجعون إلى الخلف كل يصعد فوق أخيه والماء يزحف نحوهم، فقام الإخوة يودعون بعضهم ويقولون: دقائق يا أحباب ونجتمع في جنة الخلد، منهم من قام وشرب الماء وارتوى ومنهم من توضئ وقال: خير لي أن أصعق وأنا أصلي ومنهم من استلقى على ظهره وقال: ما أشد لسعة الكهرباء! أريدها أن تقتلني بسرعة. . كانت لحظات عصيبة بحق. . لم يتوقف الماء وأخذ يزداد ويزداد إلى أن بلغ الساق. . الركبة. . الخصر، هنا سمعت صوت عاشق الحور مره أخرى يناديني يا أبا دجانة. . يا أبا دجانة. . وأنا أقول للإخوة: قولوا لعاشق الحور أن يذكر الله، كان المسكين منزوياً في أحد أركان الغرفة ويحاول النهوض وقوته لا تساعد فوصل الماء إلى ترقوته وهو جالس، ما كنت أعرف حقيقة بأن حوضه مكسور وأنه عاجز عن الحركة ناداني المسكين عدة مرات وأنا أرد عليه من الغرفة المجاورة: اذكر الله. . اذكر الله. . وهو يحاول أن يقف مستنداً على الجدار يقف مرة ويقع مرة أخرى،

يحاول أن يسبح وحوضه المكسور لا يساعده والماء يرتفع والمكان مظلم ولا يجد من يعينه وظل على هذه الحال إلى أن فاضت روحه الطاهرة وبالتالي انقطع صوته، علمت لاحقاً بأنه كان مكسور الحوض هنا تملكني إحساس بالحزن العميق ولم استطع كبح جماح دموعي وكأنني أسمع صوته يرن في أذاني وهو ينادي يا أبا دجاجة يا أبا دجاجة، كان ذلك موقفاً مؤثراً له وقع عظيم في نفسي، ندمت على أنني لم أذهب إليه وهو في تلك الحالة، تالله لو كنت أعلم ذلك لبذلت في سبيل إنقاذه روحي، كيف لا وهو كان من أعز الأصدقاء وكان رجل ذو خلق نبيل يخدم الإخوة ويطبخ لهم ويبذل نفسه في سبيل راحتهم لله دره من رجل وسيظل هذا المشهد باقياً في ذكرياتي ما دمت حياً.

استمر الماء في التدفق من خلال النوافذ والأبواب والشقوق الموجودة في أعلى الجدران كالشلال الهادر، صرنا نساند العاجزين على الوقوف كل واحد على أخيه وأخوه إما مكسور اليد أو مصاب في الرأس أو مصاب في البطن أو الكتف... الخ. حقيقة تأزم الموقف واستفحل، اقترح مجموعة من الإخوة الاستسلام وشاركهم أحد الأمراء (قعقاع التبوكي) وكان مصاباً بإصابات بليغة في أماكن مختلفة، رفض أغلب الإخوة هذا الاقتراح عندئذ طلب الأمير المصاب أحد الإخوة ليحمله إلى مدخل القبو، حمله أخ يميني (إسماعيل الحضرمي يسكن المكلا صديق عكرمة الذي فقد وأبو هاجر الحضرمي) على ظهره وخاض به الماء إلى أن أوصله إلى مدخل القبو ومن ثم حاول أن يفلت من قبضة الأعداء أي اليميني (إسماعيل) بعد أن أوصل الأمير وتحين الفرصة للإفلات وفعلاً انطلق يعدو بكل ما أوتى من قوة ولكن المسكين أردوه قتيلاً في الحال.

الماء ما زال يرتفع ويرتفع إلى أن بلغ الترقوة، لا أستطيع أن أوصف لك هول ما حدث لنا في هذا اليوم ومهما بحثت عن مفردات اللغة فلن أستطيع أن أوصف لك

ما حدث، كانت جثث القتلى تطفو فوق الماء حولنا والماء بارد جدًا، اختلطت دماء القتلى وفضلات الغائط أكرمك الله بالماء فصار ملوثا - أما الإخوة الواقفون وعلى ظهورهم الجرحى لم يستطيع أحد منهم الصمود وماتوا غرقًا منهم من أصابه الاعياء والتعب وأخذ يشرق بالماء يغوص تارة ويظهر تارة أخرى ويظل على هذه الحالة إلى أن خرجت روحه، كان الموت يتخطفهم من حولنا ونحن لا نملك أي حيلة أو وسيلة لانقاذ أرواحهم، وكان الواحد منا يطئ بقدمه جثثًا مستقره في القاع دون أن نشعر ويشرب من هذه الماء وهو يقول: (بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شئ في الارض ولا في السماء وهو السميع العليم) كان كل ثلاثة أو أربعة من الاخوة يحتضنون بعضهم طلبا للدفئ والحرارة، ضاقت بنا الأمور أقصاها، بعدها عقدنا العزم على الخروج ومواجهتهم حتى يهلك آخرنا، تقدمت نحو بوابة السرداب ومعى السلاح الوحيد والإخوة خلفي والماء أخذ في الارتفاع، عندما وصلت إلى مدخل القبو وجدت منظرًا عجيبيًا وجدت الأمير (قعقاع التبوكي) الذي سبقنا منكفى على وجهه في الدرج الأول من السلم وجدار المدخل عن يمينه وعن شماله قد أحمر كالجمر من كثرة القذائف التي تمر بجانبيهما، كان المكان دافئًا حتى أنني اتجهت نحو أحد الجدران وأخذت أحتضنه لآخف وطأة البرودة وأستعيد قوتي لمجابهة الاعداء، رأى باقي الإخوة ما فعلته وشرع كل واحد يقلدني في نشوى وفرح، عندما أرتفع أصواتهم أحس بهم العدو وصار يفتح نيران الرشاشات في هذا الممر الضيق وقتل من قتل وهرع البقية إلى الغرفة المملأ بالماء مرة أخرى أتذكر حينما كنت في المقدمة جاءت قذيفه (G.P.R) وأصطدمت بأعلى السقف فوق رأسي مباشرة وأحدثت دويًا مروعا أحسست قلبي تحرك من مكانه وبلغ الحنجرة، شعرت بصمم أنسحبت الى الداخل وأنا أتحامل على نفسي

وليس معهم أي سلاح حتى يبعثوا في المكان نوعًا من السكينة والطمأنينة، طفقوا، يمدون أيديهم لسحبنا من الأسفل واحدًا تلو الآخر.

خرجنا إلى ضوء النهار ويا للعجب! لم نجد الأشجار الكثيفة في ساحة القلعة ولا الاسوار العالية الضخمة، كلها قد محيت عن الوجود والمبنى نفسه قد سوى بالارض وتحول المكان قاعا صفصفا.

أما حالنا ماذا تتوقع أن يكون؟ ماذا تتوقع منظر شخص ظل سبع أيام لم يغير ملابسه ولم يهذب شعره ولحيته ولا حتى ينظف جسده وهو بين الطين والوحل والدخان ورائحة البارود و.. و.. ألخ، كان مناظرنا ونحن خارجون لا توصف، ملابس متسخة وبالية وهيئتنا كهيئة الخارج من القبر وقد علاه الوحل والطين علا جباهنا ورؤوسنا وشعر الرأس يبدو كشوك القنفذ، تسارعت القنوات الفضائية لأخذ لقطات والعسكر يدفع رجال الصحافة والاعلام ويمنعهم من الاقتراب نحونا.

أخيرًا أسدل الستار وانتهت هذه الملحمة التي سطرها الشباب المجاهد الرافض لهذا الهوان، فضل لقاء ربه الكريم على حياة ملؤها الذل والخنوع وما خاب ولا خسر في اختياره بل هو خروج من هذا السجن الكبير إلى جنات الرضوان مع الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام وصحبة الكرام.

وهذه أحداث عايشناها ورأيناها، حفرت أخاديدًا في عقولنا وقلوبنا، أبطالها إخوة لنا، أفضل منا سبقونا الى ما كنا قد وضعنا أعيننا وتعاهدنا عليه.



الفصل الثالث

* بين أسوار سجن شفرغاند.

* قاعدة قندهار العسكرية.

الفصل الثالث

□ بين أسوار سجن شفرغاند^(١):

جاءوا بشاحنة بها حاوية (container) واستبدلوا ملابسنا بملابس أخرى شتوية وذهبوا بنا إلى سجن شفرغاند وقبل أن ندخل إلى السجن أنزلونا من الشاحنة وسلطوا على وجوهنا كشافات قوية، جاء الجنرال دستم بصحبة حراس أمريكيان، وقف أمامنا وأشار إلى ناحيتي، جاء أحد الحراس ضخم الجثة مفتول العضلات ورفعني بقبضة يده عاليًا وكان لسان حاله يقول للأعلام العالمي إن الذين يقاتلوننا ليسوا أفغان بل عرب وأفارقة، تسابقت الكاميرات لالتقاط هذا المنظر، بعده خاطبنا الجنرال دستم قائلاً: سوف أسلمكم إلى الأمم المتحدة، بعد الانتهاء من كلامه حشرونا في الشاحنة واتجهوا بنا إلى سجن شفرغاند والسيات تلهب ظهورنا، أدخلونا في عنبر مكتظ بالباكستانيين والأفغان الذين تم أسرهم أثناء خروجهم عبر قندوز إلى مزار شريف ثم إلى هيرات حيث غدر بهم دستم كما غدر بنا من قبل حيث جاءت الطائرات الأمريكية وألقت عليهم المتفجرات وهم داخل الشاحنات وقتلوا الآلاف منهم (مجزرة الحاويات) أما البقية فجاءوا بهم إلى هذا السجن، جمعونا كلنا في ثلاثة عنابر أولاً، ثم أخذوا يحشرون الإخوة الباكستانيين كل ثلاثين شخص في غرفة مساحتها متران في مترين، أما الإخوة العرب فكان كل خمسة عشر شخص في غرفة في نفس المساحة كنا أحسن حالاً من غيرنا.

قبل هذا كان دستم أرسل من يسأل عن الأمير عبد العزيز النعماني كان هذا الأمير استطاع أن يخلص قوات طالبان من حصار محكم قد ضرب عليهم من قبل، كانوا ساخطين عليه وصدورهم تغلي بالحقد والكراهية، أخذوه ومعه محمد

(١) شفرغاند مدينة في شمال أفغانستان وهي مسقط رأس الجنرال دستم وبها جيشه.

الأفغاني ذلك الفتى الصغير الذي حدثكم عنه وأحد الاخوة اليمينين (وضاح الأييني قتل مؤخرًا في غوانتانامو)، وضعوا ثلاثتهم في شاحنة وهم مقيدون في الأرجل والأيدي وأسرعوا بها أي الشاحنة صعودًا ونزولًا في الأسفلت لعدة مرات لترتطم أجسامهم بحافة الشاحنة في كل الاتجاهات وتزهق أرواحهم، مات الأمير ومعه محمد الافغاني تحت هذا العذاب، أما (وضاح الأييني) فقد صمد برغم ما به من جراح ونجا في آخر الدقائق، جاء يروي لنا هذا المشهد والدموع تغالبه، الله الله من رجال ضربوا أروع الأمثال في الثبات والتضحية، كل واحد فيهم كان يساوي جيشًا لوحده.

كان بعض الإخوة ذوي الإصابات الخطيرة قد نقلوا الى المستشفى كما جاءت فرق طبية لمعالجة الجرحى، كنا لا نشعر بالأم الجراح كل تلك الفترة التي كنا في القبو أما الآن وبوصول هذه الفرق الطبية شعرنا بالأم شديدة كاننا أصبنا بها في التو، إنها لأمر يدعو الى التفكير وهذه كرامة أخرى من الكرامات الكثيرة التي رأيناها. مكثنا في هذا السجن ما يقارب الشهر نعاني من سوء العناية الطبية والمعاملة القاسية وقلة الطعام ورداءة الخدمات علاوة على كل هذا وطأة الثلج ولسعات البرد القارص، فقد مات كثيرون منا بالبرد منهم الأمير القعقاع التبوكي (يمني) وضعوه في العراء خارج الغرفة ومعه عمر الحديدي (اسمه حسن الحديدي أصلة يمني يسكن مكة)، ماتا من شدة البرد.

وأذكر من ضمن ما أذكر أن جاءتني صحفية فرنسية من أصل مصري ومعها مصور لإجراء لقاء صحفى أشرت إليهما بأن يخرججا وأنتى غير مستعد للحديث وتحت إلحاحهما الشديد وافقت بشرط ألا يكون المصور موجودًا بكمرته، من خلال الحوار الذى دار بيننا علمت بأننا سوف نرحل إلى قاعدة أمريكية أنشئت حديثا في مطار قندهار.

قسموا الأسرى إلى قسمين، من كانت إصابة خطيرة أخذوه إلى مستشفى خدماتها لا بأس بها وأما البقية قد مكثوا في عيادة كبيرة داخل السجن، وكنت من ضمن مجموعة من بقوا في عيادة السجن نظرًا لاستقرار حالتى الصحية، أصدر مدير السجن قرارًا يقضى بنقلى إلى المستشفى، قلت: بأن حالتى الصحية جيدة ولا يتطلب نقلى إلى المستشفى وأن هناك من هو أولى منى بالذهاب جاءنى المدير يهدر كالبعير وصرخ في وجهي ثم طلب من أعوانه أن يأخذونى إلى هناك. كان ذهائى إلى المستشفى قد عاد إلى بخير كثير حيث سخرنى الله تعالى لأخ كويتى كان يعانى من إصابات بليغة بين فخذه، كان يتعب كثيرًا في قضاء حاجته، كان لا يجد العناية الطبية اللازمة والمعاونة من قبل الممرضين، عندها علمت بأن حضوري كان خيرًا لى وله، ألزمت نفسى لخدمته وظللت أمارضه طيلة فترة مكوثى بالمستشفى، كان الطعام في هذا المستشفى قليلًا ولا يكاد يسد رمقنا، وجدنا حيلة في الحصول على عشرين دولار من تلك الصحفية الفرنسية حيث اشترطنا عليها ألا نعطيها أى معلومات (سبق صحفي) إلا بمقابل مبلغ من المال، كانت حاجتنا ماسة للمال لاسيما نحن نعانى ما نعانى من المسغبة والجوع، أعطينا هذا المبلغ لأحد العاملين بالمستشفى ليشتري لنا طعامًا، أحضر ما كنا نطلبه من الطعام، وفى مره قلت للإخوة الذين هم معى في الغرفة، ندع الطعام إلى أن يأتى المساء لأن ليل الشتاء طويل والبرد كما تعلمون قارس والجسم لا يحتمل الجوع، لذا علينا تأخير العشاء وإبقاء جزء من الطعام لليوم التالى كنوع من الإدخار هنا رد على أحد الإخوة قائلاً: «لا إدخار بعد خوجة غار»، وقصة هذه العبارة المأثوره هى عندما كنا في خوجه غار ادخرنا موادًا غذائية كثيرة استعدادا لاستقبال شهر رمضان المعظم، وكلما يهم أحد الإخوة أن يأخذ بعضًا منها نقول له: هذه المواد لشهر رمضان لا تأخذوا منها، ظللنا نكرر هذه العبارة إلى أن جأت الطائرات الأمريكية وأجبرتنا على الانسحاب وتركنا كل تلك المؤن الغذائية خلفنا واستفاد منها غيرنا، هذا ما دفع

الأخ بأن يطلق هذه العبارة التي صارت مشهوره بيننا، نظرت من خلال النافذة في وقت العصر فرقة من الجنود الأمريكيان يتشرون في ساحة المستشفى وهم بكامل أسلحتهم ثم بعد ذلك دخلوا علينا في الغرف، كنت أول من أجرى على التفتيش الدقيق بواسطة أجهزة حديثة قيدوا يديّ بعصب وغطوا وجهي بكيس من قماش سميك بحيث لا يمكنني رؤية أى طيف آدمي، كنت أتنفس بصعوبة ولم أحس بنفسى إلا ورجلاي ارتفعتا من الأرض فجاء بواسطة رجلين قوين من قوات الكماندوز واتجها بي نحو الشاحنة والقياني داخلها كما تلقى الأمتعة، ظننت حينها بأننى الوحيد فوق ظهر الشاحنة بحسبان أننى بصحة جيدة وأحسن حالاً من غيري، بعد هنيهة سمعت صرخات العسكر وهم يصرخون لأحد الإخوه اصعد اصعد لا تتحرك أدخلوه وأجلسوه بجواري ثم أخذ العدد يزداد تدريجياً كلهم إصاباتهم بليغة.

تحركت بنا الشاحنة وهي تشق المدينة باتجاه مطار مدينة مزار شريف، أوقفونا في صف واحد وصاروا يقيدون كل واحد ويقرنوه مع أخيه في العضد ويشدوهما شداً محكمًا ومؤلماً بحبل طويل بحيث يسيروا في خطى متساوية، تصور مبلغ الألم الذى كنا نعانيه، إذا أسرع من فى الأمام كان يؤلم من يليه وإذا تأخر من فى الخلف يؤلم الذى أمامه بمعنى أن أى اختلال فى حركة السير يؤثر إما فى الأخ الذى فى الأمام أو الخلف، سرنا بهذه الطريقة إلى أن صعدنا إلى سلم الطائرة. كانت الطائرة عبارة عن طائرة شحن خالية من المقاعد فى أرضيتها حلقات مثبتة، بمجرد دخول الواحد منا يفك من هذا الحبل الطويل ويقيد بقيد آخر ويربط على هذه الحلقات كما تربط البهيمة وذلك بعد أن يضعوا فى أذنك غطاء أو سداده بجانب غطاء العين بحيث لا تسمع ولا ترى وبعد هذا يقف حارس فوق رأسك يضربك إذا عملت أى حركة، ظللنا فى هذا الحال والطائرة تطير بنا عدة ساعات.

□ قاعدة قندهار^(١) العسكرية:

هبطنا في إحدى المطارات، نزلنا بنفس الطريقة التي صعدنا بها، نسبة لبعده المسافة بين موقع الطائرة وصالة الوصول أصابتنا آلام رهيبية من جراء هذا القيد، أيدي كثيرة من الإخوة فقدت الإحساس لعدت شهور، كانت أشد إيلاماً من تلك القيود التي وضعت علينا ونحن في ساحة القلعة، أول وصولنا إلى الصالة أخذوا يفكون قيد كل واحد ويجردونه من ملابسه تماماً ومن بعده يمرّ عبر عدة غرف كل غرفة معدة لإجراء كشف معين. بول.. دم.. ضغط.. أي عاهة حتى تصل إجراءات الكشف إلى آخر مرحلة ثم يأتي الأخ التالي وتستمر العملية هكذا واحداً تلو الآخر، وفي نهاية الكشف الطبي يلقي بك في حظيرة محاطة بشبك متين كانما أنت حيوان مفترس جيبى به من الغابة، يضعون على صدرك ديباجة عليها رقمك، تخيل أيها القارئ حالنا ونحن مجردون من ملابسنا تماماً والبرد قارس يفعل بنا الأفاعيل في منطقة مكشوفة وبجانبك أخوك وهو مثلك عارى تماماً، كان همنا الأول أن نداري نظرننا لأنك إذا التفت يميناً أو يساراً ربما يقع نظرك على أخيك العريان. كان جل تفكيرنا هو البحث عن أي طريقة لنواري سوءاتنا، كانت حالتنا النفسية سيئة للغاية، إن شاء الله سوف لن نسي هذه المواقف لأمریکا، هذه الدولة التي تنصب من نفسها حامية للحريات، وداعية للسلام العالمي، وداعمة لحقوق الإنسان لكن للأسف كلها خداع في خداع، وقد كشفت هذه العملية الدنيئة القناع، وسقطت آخر ورقة توت كانت تستر بها سوءتها، وستظل وصمه عار في جبينها أمام الرأي العالمي حتي يقضي الله امراً كان مفعولاً.

بلغ بنا الجوع حدّاً بعيداً طيلة فترة الرحلة، لم نر طعاماً ولم نرزق طعم النوم، أخيراً جاءوا لنا بطعام، فرحنا، ويا للفرحة ما تمت! إذ سمعنا صوت (على

(١) قندهار: مدينة تقع جنوب أفغانستان وكانت هي معقل لقوات طالبان إضافة إلى مدينة هلمند.

العراقي) ينادي ويقول: يا أخوه هذه المجندة الامريكية تقول لكم: هذا لحم خنزير، من أراد منكم أن يأكل فليأكل أكل قليل منا، وتورع الكثير ولم يتناولوه وبقوا على جوعهم والذين أكلوا لم يصلهم نداء العراقي على ما اعتقد.

بعد فترة جلبوا لنا ملابس، فيا لها من ملابس عجيبة! كانت عبارة عن قطعة واحدة، قميص وسروال مخيطان مع بعضهما مثل تلك التي يرتديها أصحاب الورش والميكانيكية (أبرول) إذا أردنا أن نقضي حاجتنا كان لا بد من إنزالها إلى الساقين ويكون الجزء العلوي من جسمك مكشوفًا مع العلم بأن مكان قضاء الحاجة لم يكن في حمامات مسورة إنما كان في ساحه مكشوفة داخل حظيرة كبيرة انظر إلى أي حد وصل بهم الخبث والدناءة.

جاءني داخل هذه الحظيرة على ماذكر ثلاثة أو أربعة ووضعوا علي قيود حديدية وسحبوني إلى غرف التحقيق والركلات تتوالى علي مع أفزع أنواع الشتائم واللعنات واللكمات، والإخوة بالقرب مني يحثوني على الثبات على الحق وألا أتزعزع ويقولون لي: الله معك ولا تحزن، الله معك ولا تحزن، وصلت إلى غرفة التحقيق وهي عبارة عن خيمة يجلس بداخلها المحقق ويحيط به جنود شاهرين أسلحتهم تحسبًا لأي طارئ، من غرائب الأمور التي تفاجأت بها ولم أكن أتوقعها هو أن المحقق كان ضابطًا مصريًا، كان جميع أسئلته الموجه إلى تركز حول الشيخ أسامه بن لادن ﷺ، كنت أجيب عليه قائلًا لا أعرفه ولم أره، وهو يقول: أن لم تجب بصدق فأنت مقتول هنا لا محالة، كان المحققون يوجهون لنا دائمًا أسئلة استفزازية تمس العرض والشرف والكرامة، بعض الأخوة استخدموا معهم العصا الكهربائية أثناء التحقيق مثل (محمد الشمراني فك الله اسره)، بعد انتهاء الإجراءات الأولية للتحقيق أخذوني إلى حظيرة أخرى أكبر مساحة من تلك الحظيرة الأولى، تحتوي على خيمتين كبيرتين تسع كل واحدة ثلاثون أسيرًا، ويوجد في أركانها ثلاث الواح من حديد مركوزه بداخلها سطلين لقضاء الحاجة وأما الجهة

الرابعة وهي الجهة المواجه للعسكر كانت مكشوفة بحيث يروك وذلك تحسباً لأي شيء تفعله لنفسك للتخلص من هذا الوضع.

كنت أول من دخل هذه الحظيرة مع أحد اليمينين (دحية الحضرمي فك الله اسره) وتفاجأت بصديق لي من بلاد الحرمين وهو من الذين تمكنوا من الفرار من مذبحة القلعة عبر قناه الى الخارج، كانوا قد ألقوا عليه القبض وجاءوا به إلى هنا وكان في الحظيرة المواجهة لي ويحمل الرقم (١). كانوا يأتون بالأسرى من مختلف أنحاء أفغانستان كما كانوا يأتون بأخرين من باكستان ويتم جمع بعضهم هنا وبعضهم الآخر في قاعدة (باغرام الجويه)^(١) حتى بلغ عددهم قرابة الخمسمائة أسير. كانت المعاملة للأسرى سيئة جداً تتمثل في تدنيس القرآن الكريم ورميه في سطل ملئ بالغائط والبول وتوجيه الشتائم التي يعف عنها اللسان وإطلاق الكلاب البولسية لتمزيق ملابس الأسرى وعدم التحدث مع الآخرين و... الخ.

مات عدد من الأفغان من جراء هذا العمل الوحشي كنا نؤخذ للتحقيق باستمرار بواقع مرتين في اليوم، إذا خرجت منها سالماً كأنما يكتب لك عمر جديد، ظللنا تحت هذا التعذيب الجسدي والنفسي وأنواع من العقوبات الوحشية التي منها: الزحف على البطن في الحصى، الوقوف لساعات طوال حتى يغمى على أحدنا ويقع من طوله، إجبار ثلاثة من الإخوة، يأمر أحدهم بوضع يديه على عينيه والثاني، بوضعهما على فمه والثالث، يؤمر بوضع أصبعيه في أذنيه وهم وقوف، بمعنى لا أرى ولا أسمع ولا أتكلم ويطوف عليهم العسكر ضاحكين مستهزئين بهم والإخوة لا حول لهم ولا قوة أمام هذه الاستفزازات.

عندما كثر عدد المعتقلين في هذه الحظائر أذكر جاءنا وفد من أعضاء الكونغرس الأمريكي وفي صحبتهم الممثل الشهير سلفستر استالون على ما اذكر بطل أفلام

(١) باغرام: هي أحد المدن الأفغانية التي انشأ فيها الأميركان قاعدتهم الحربية بعد مدينة قندهار.

رامبو وروكي وأخذ عدة لقطات للأسرى المكبلين بالقيود.

كنا نرى أفراد المارينز ذوى الأجسام الضخمة وهم يحملون أمتعتهم التي يتعب البغال من حملها، كنا نعتقد بأن هؤلاء الجنود ذوى قوة وبأس وشجاعة كما رأيناهم في أفلامهم الوهمية التي يخدعون بها الناس ولكن عرفناهم عن كثب، تبين لنا أنهم مجرد نمور من ورق، وحقاً ينطبق عليهم قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنْهُمْ خُشْبٌ مِّنْ سِنْدٍ يَّخْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرهُمْ فَوَقَّحَهُمُ اللَّهُ أَنْ يَكُونُوا يَفْقَهُونَ﴾^(١)، نعم والله سمعنا دعاياتهم المزيفة في وسائل الإعلام ويدعون أنهم أهل قوة وبأس ويوهمون العالم لا سيما العالم الإسلامى والعربى، تالله كنا نرى الخوف في عيونهم لدرجة أن أحدنا إذا تحرك أو أحدث صوتاً ينتفض راجعاً إلى الوراء عدة أمتار كأنما صعقته كهرباء شاهراً سلاحه في وجوهنا، ومن عجائب الأمور أننا كنا نتخيل بأن الحقيقية الضخمة التي ينوء بها مليئة بمختلف أدوات القتال فإذا بها مليئة بأنواع من الحلوى والشوكولاته والبسكويت والعصائر يعتمد عليها اعتماداً كلياً، أكاد أجزم لو أحدنا أخذ منه تلك الحقيقية لمات كمدّاً أو قل لاستسلم في الحال، وهم يحرصون على حقائبهم أكثر من حرصهم على أسلحتهم. ومن الأمور الملفتة أنهم كانوا يحرصون على توفير ماء الشرب لنا ويجبروننا على شربه بكميات كبيرة، لم أكن أعرف سر هذا إلا بعد فترة، كان السر في ذلك على حسب زعمهم بأن شرب الماء بكثرة علاج لأمراض كثيرة وكان يأمرونا بتناوله تحسباً لإنتشار الأمراض المعدية في أوساطهم.

مكثت في هذه الحظائر خمسة وعشرون يوماً فقط بينما الآخرون ظلوا فيها شهوراً وسنينا يذوقون ويلات العذاب وأنواع الإهانات والاستفزازات والشتائم المتكررة يومياً، أتذكر حينها أخذوني من هذه الحظائر إلى معتقل غوانتانامو، جاءوا

(١) سورة المنافقون الآية رقم (٤).

إلى ليلاً على طريقتهم المعهودة وهى إذا أرادوا أخذ أحدا يصيحون بأعلى أصواتهم ويوقظون الجميع ويوقفوهم في صف واحد ويأمرهم بأن يرفعوا أيديهم في أحد أركان الحظيرة ثم ينادون على رقم الشخص المطلوب ويطلبون منه الانبطاح على الأرض جاعلا يديه خلف ظهره بعد ذلك يطلقون الكلاب البولسية لتصعد فوق ظهره بعدها يهجمون عليك في جلبه وضوضاء، ويضعون القيود على يديك ورجليك ثم يأتون بغطاء سميك ويضعونه على عينيك وتسحب سحباً بطريقة مهينة إلى مكان منعزل تمكث فيه ساعات طويلة تحت وطأة البرد والقيود والجوع وعدم الحركة والكلام وغير ذلك إلى أن تبدأ رحلة أخرى من العذاب ألا وهى الرحلة إلى غوانتانامو، قبل بدأ الرحلة يجرى عليك تفتيش دقيق من قبل جنود يرتدون قفازات مطاطية واقية من الأمراض يتلوه عملية حلق شعر الرأس واللحية والشارب والحواجب بشفره حاده، ربما يأتيك جندي حاقد ويحلق شعر صدرك أو ساعدك، بعد إجراء هذه الترتيبات يصعدون بك إلى الطائرة واحداً تلو الآخر ويصعد مع كل أسير اثنان من جنود المارينز أحدهما عن يمينه ويمسك بيده اليمنى على عضد الأسير ويضع يده اليسرى على قفاه «أى الأسير» ضاغظاً عليه لأسفل والآخر عن يسارك ويفعل مثله إلى أن يجلساك في أحد المقاعد الحديدية وتربط في حلقات مثبتة في أرضية الطائرة كما تربط الخراف ثم تشد بحزام على هذا المقعد الحديدي، ينزع الغطاء السميك بعد الصعود إلى الطائرة ويستبدل بنظارة قاتمه تمنعك الرؤية وعلى أذنك غطاء أو سداة تمنعك من السمع ويتم تخديرك بواسطة عقاقير لإفقادك القدرة على المقاومة والحركة. أقلعت الطائرة بنا وبعد عدة ساعات حطت إلى قاعدة أمريكية في تركيا أو ألمانيا حيث أخذوا مجموعته أخرى من المعتقلين البوسنيين من أصل جزائرى ثم واصلت رحلتها، كان يعطي لكل واحد منّا خبز «توسته» محشى بعجينة فول سودانى. أسوأ الحالات التى كانت تواجهنا حين نقاد إلى دورة المياه حيث يتم تحريرنا من الحلقة فقط أى الحلقة المثبتة على

أرضية الطائرة وندخل دورة المياه ولا نتمكن من غسل مخارج البول والغائط بالكاد ونخشى في نفس الوقت من أن نتجس ببولنا، هذه كانت من أشد المعاناة النفسية التي كنا نعانيها، فإذا سألت عن كيفية أداة الصلاة؟ أقول لك: كنا نؤديها إيماء أي بتحريك الأصبع، بعد أكثر من عشرين ساعة طيران أخيراً وصلنا إلى قاعدة غوانتانامو في كوبا.

أسماء الشهداء بأذن الله قبل الإنحياز وفي الاشتباك الخاطي مع الأوزبك وشهداء قلعة جانجي بأذن الله في رمضان عام ١٤٢٢هـ:

- عمر الجمهور: أبو دجانة النجدي يسكن بالرياض بحي السلي.
- ناصر اليماني: قعقاع الحارثي يسكن بالرياض.
- عبدالكريم الشهري: أيوب النجدي يسكن بالرياض بحي النسيم.
- فيحان العتيبي: أبو تراب النجدي يسكن بالرياض.
- الشيخ أبو عبدالرحمن النجدي: وهو قاضي بالرياض طويل القامة أسمر اللون وإمام مسجد.
- خالد سعد عكشمي العتيبي: أبو سعد النجدي الراجح أنه قتل يسكن بالرياض.
- أبو حبيب النجدي: أصله يماني أبيض اللون جعد الرأس هادي الطبع.
- وليد الحضرمي: أسمر اللون ومتزوج وكان له ستة أشهر ثم سافر، عند أبوه محلات مكيفات يسكن بالرياض.
- سلمان: فاروق الحارثي طويل القامة عنده لتغة في اللسان يسكن بالرياض.
- ياسر الرميح: أبو حبيب القصيمي يسكن بالرياض بحي الربوة.
- نايف المعجل: أسامة البحريني وهو طالب علم يسكن بالرياض بحي الشفا.
- صالح المسند: النبراس الشمالي يسكن بالقصيم في بريدة بحي البصيرية.

- عبدالملك الريش: بشر القصيمي يسكن في بريدة بحي الصناعية.
- أبو حذيفة الشرقي: أبيض اللون وهو أمرد نحيف يسكن بالشرقية.
- أبو البتار الشرقي: هو صاحب أبو حذيفة الشرقي وهو أسمر اللون.
- أبو صلاح الدين الحساوي: حنطي اللون وجهه أفطس.
- عبدالرحمن السليمانى: مصعب العربي يسكن بالطائف بحي الشطبة أخوه يوسف في كوبا.
- أحمد الوظائف: يماني عاشق الحور يسكن بالطائف بحي الشطبة.
- ماجد ثواب الثيتي: ثوار الطائف ولد صغير جداً خفيف اللحية.
- محمد اللهبي: مثني المكي أبو الرؤى يسكن بمكة بحي العتيبة.
- ياسر المطرفي: عمار المكي يسكن في مكة بالعتيبة.
- موسى أصله جيزاني: خباب المكي حنطي اللون.
- أبو معاذ المكي: طويل ثخين الصوت.
- ماجد: سارية المكي طويل القامة.
- أبو النصر النجدي: حيف هادئ الطبع يسكن بالرياض.
- أبو حيدر المكي: المشهور بقصيدة (طاح كرت البعير).
- إبراهيم الزهراني: ذكر الشهادة عمير الجداوي طويل الشعر.
- بركات علي السيد القرني: أبو زياد الجداوي يسكن في جدة بحي المنتزهات.
- عبدالعزيز العمري: عطية الزهراني طويل القامة والشعر عند وفاته.
- وعيد الحربي: مسلم الحربي يسكن في جدة بحي الجامعة.
- محمد اللهبي: مثني الخولاني يسكن في جدة بحي قويزة.

- عبدالله: أصله يماني كنيته صفوان متوسط القامة والجسم يسكن في جدة.
- أحمد هاشم الحربي: أبو هاشم الحربي يسكن في جدة بحي النزهة.
- خالد محمد الحربي: عاصم المدني يسكن بالدويمة.
- ماهر العلوي: جعفر المدني يسكن بالدويمة.
- عبدالله مطيران الحربي: أبو بكر المدني يسكن بالدويمة.
- محمد عبدالله الشنقيطي: يدرس في الثانوية الصناعية يسكن في المدينة بحي السيح.
- بندر اللقماني: خلاد المدني حي الجبور
- أبو زيد البدري: حنطي اللون يلبس نظارات يسكن بالمدينة
- حسن الحديدي: أبو عمر الحديدي أصله يماني نحيف الجسم طويل الشعر يسكن في مكة.
- أبو عبادة الحجازي الشهري: حنطي اللون نحيف الجسم متوسط القامة.
- ناصر المطيري: عزام الجلاوي قتل بقذيفة دبابة ظهرت منه رائحة المسك تقطع كله ماعدا نصف صدره ورأسه يسكن في جدة.
- صالح: مصعب العوذلي أصله يماني وظهرت منه رائحة المسك يلبس نظارة حنطي اللون عمره ٣٢ تقريباً يسكن في جدة.
- ماجد الحربي: طارق الحربي حنطي اللون خفيف اللحية عريض الجسم يسكن في جدة.
- خالد البطي: أبو ذر النجدي متزوج يسكن في حفر الباطن.
- خالد: أبو حفص النجدي من أقرباء خالد البطي يسكن في حفر الباطن.

- أبو المعتصم الزهراني: قصير القامة فيه صلح في الرأس طويل اللحية أبيض اللون يسكن في الشرقية في حي الأخ أبو حذيفة الشرقي رقم ١٤٠
- بابا: عبدالله البسنوي من أفريقيا أسمر اللون يسكن في مكة قُتل في الإنحياز إلى قندوز.
- أبو عبد العزيز العسيري: طويل القامة أبيض اللون متوسط اللحية كان يدرس في كلية المعلمين بعسير اتصل على أبوه في آخر الأيام وكان راضي عنه قُتل في الانحياز إلى قندوز.
- فواز جزاء الديباني: أبو حذيفة التبوكي سمين الجسم خفيف اللحية سافر إلى أفغانستان بعد ١١ سبتمبر يسكن في تبوك.
- محمد: عبدالسلام الحضرمي قائد العرب في الشمال وهو قصير القامة حنطي اللون من عدن قُتل بسبب القصف الأمريكي.
- عبود الحضرمي: عثمان الحضرمي ابن عم عبدالسلام الحضرمي أسمر اللون قُتل في الانحياز إلى قندوز يسكن في حضرموت.
- عبدالله: أبو الحسن الأبيني: القائد المجاهد حنطي اللون، سجن في عهد الاشتراكية ٨ سنوات كان طالب علم وحافظ للقرآن.
- سامي: أبو عمر العدني نحيف الجسم خفيف اللحية حنطي اللون عمرة ٢١ سنة.
- بسام: أبو حمزة العدني أبيض اللون خفيف اللحية عمره ٢١ سنة.
- أبو مغوار التعزي: حنطي اللون جعد الشعر هادئ الطبع.
- أبو مهند التعزي: أسمر اللون صغير القامة كان مسئولاً عن الأعلام في الشمال.

- أبو إسماعيل الحضرمي: أسمر اللون يسكن في حضرموت المكلا.
- أبو عكرمة الحضرمي: أسمر اللون جعد الشعر فُقد في الانحياز.
- أبو هاجر الحضرمي: أسمر اللون مبحوح الصوت فُقد في الانحياز.
- أبو ثابت القطري: طويل القامة أسمر اللون.
- أحمد الجوفي: أبو القعقاع التبوكي أحد القادة في الشمال متوسط الطول أبيض اللون جعد الشعر من اليمن.
- طلال: أبو غريب الصنعاني قائد العرب بعد مقتل عبدالسلام جعد الشعر عيونه عسلية حنطي اللون.
- أبو يعقوب الأردني: طويل القامة أبيض اللون طويل اللحية وشقراء كان في جماعة التبليغ الأردن قدم من أوروبا.
- مراد: أبو عبدالله التونسي أبيض اللون طويل القامة خفيف اللحية يسكن في ألمانيا دخل أفغانستان شهر صفر ١٤٢٢ هـ.
- أبو العطاء التعزي: طالب علم طويل القامة خفيف اللحية جدًا أبيض اللون درس في جامعة الإيمان بصنعاء.
- نجم الدين ابن الصامت: صاحب أبو العطاء، طالب علم متوسط القامة أبيض اللون خفيف اللحية.
- أبو هاجر القصيمي: متزوج يسكن بالرياض في حي السلي.
- أبو جهاد الصنعاني: حنطي اللون متوسط القامة واللحية جعد الشعر.
- أبو عبدالمعطي الجداوي الحربي: كان يعمل سائق نقل جماعي وهو متزوج من باكستانية حنطي اللون متوسط اللحية متوسط الطول والجسم يسكن في جدة.

- أبو جنيد: من أسرة ثرية أصله هندي نحيف الجسم أمرد يلبس نظارة حافظ للقرآن الكريم يسكن في مكة.
- أبو زهير الليبي: متوسط اللحية والجسم والطول حنطي اللون مبحوح الصوت.
- أبو حكيم التعزي: «كنيته مقاتل» خفيف اللحية أبيض اللون أبوه أحد مشايخ المنطقة يسكن اليمن.
- سمرقند: أبيض اللون خفيف اللحية متين قليلاً متزوج، قد سجن في سجن الرويس يسكن في جدة.
- خالد العجمي: أبو حيدرة الكويتي حنطي اللون متوسط الجسم واللحية عنده سيارة كراسيدا في التسعينات توماتيك.
- أبو حمزة الكويتي أو سيف الكويتي: متزوج من أهل الكويت كان عنده سيارة (في أكس آر) وأحترق في الكويت يُعتقد أنه مطيري حنطي اللون بدوي اللهجة متوسط الجسم واللحية.
- أبو عبدالسميع الليبي: كبير في السن طويل اللحية أبيض اللون.
- زيدان الشهري: أبو زيد الشهري قُتل في القصف الأمريكي وكان يصلي صلاة العصر وقتل وهو يصلي ﷻ.
- أبو عمر الحبيب: أسود البشرة نحيف الجسم خفيف اللحية.
- عادل يُعتقد أنه شهباني: أبو شداد أبيض اللون متوسط اللحية ناعم الشعر متوسط القامة من بلجرشي أو خميس مشيط.
- أبو عبدالعزيز النعماني: حنطي اللون متوسط الجسم والقامة يلبس نظارات قُتل متأثر بجراحه بعد القلعة وهو من اليمن.

- أبو أقص: حنطي اللون متوسط اللحية والجسم والطول يعتقد أنه من الرياض.
- عبدالله: أبو أيمن اليمني قصير القامة جدًا ومتين الجسم متوسط اللحية أخ قديم في الجهاد من اليمن.
- أبو صابر: كبير في السن خفيف اللحية أصلع الرأس قليلًا متوسط الطول والجسم يعتقد أنه مغربي من سكان - ألمانيا.
- أبو عبدالرحمن الكردي: طويل القامة أبيض اللون عمرة ٣٢ تقريبًا من العراق مدينة السلمانية.
- أبو فاروق المغربي: طويل جدًا أبيض اللون متوسط اللحية، رجل رياضي حصل على بعض الجوائز في الألعاب الأولمبية يجيد لعبة الكونفو والكاراتية.
- أبو عبدالملك النجدي: أشقر الشعر أبيض اللون كأنه شامي.
- فارس: أبو عيسى الجداوي طويل اللحية والشعر متزوج وهو من الأخوان حنطي اللون عمره ٣٥ تقريبًا.
- أبو بصير: وهو أخو فارس طويل الشعر متوسط اللحية أبيض اللون (مفقود في وقت الانحياز لا نعلم عنه شيئًا).
- أبو ياسر العدني: أبيض اللون عريض الوجه جعد الشعر متوسط اللحية أخوة أسمه عثمان في كوبا.
- وبهذا انتهت الأسماء التي عندي، نسأل الله العظيم أن يتقبل منا شهدائنا وأن يغفر لهم ويتقبلهم ويسكنهم في الفردوس الأعلى من الجنة وأن يلحقنا بهم عاجلاً غير آجل. يا رب العالمين، اللهم آمين.

الفصل الرابع

- * في غياهب غوانتنموا.
- * غوانتنموا أين تقع؟
- * الوصول إلى غوانتنموا.
- * كيف كانت تسير التحقيقات؟

الفصل الرابع

□ في غياب معتقل غوانتانامو

خليج غوانتانامو مكان ساحر وبيدع، تقع عينك هناك على جمال الطبيعة في كل شيء: الماء والهواء، المساحات الخضراء المتناهية الاتساع لكن هذا الجمال يحمل في طياته معسكرات مقسمة تشبه الثكنات العسكرية محاطة بأسوار عالية يحرسها الجنود من كل اتجاه عليها بوابة تحمل عنوان واحد هو: عنوان الضياع والموت لكل من يدخلها.. إنه معتقل غوانتانامو.

غوانتانامو اسم سيذكره التاريخ طويلاً بعد أن نسيه لسنوات عديده، ومعتقلها سيظل شاهداً حياً على ممارسات الولايات المتحدة المثيره للجدل بعد أن أفقدتها أحداث الحادي عشر من سبتمبر الكثير من هيبتها. في هذه المنطقة المعزولة من العالم يعيش حفنة من البشر بلا محاكمه منذ ثمانية أعوام ومن المنطقي أن يكون بينهم الكثير من الأبرياء ولكن لا أحد يستمع إليهم أو يصدقهم هناك.

□ غوانتانامو أين تقع؟

تعتبر قاعدته غوانتانامو البحرية آخر قاعدة عسكرية في أميركا اللاتينية.. وهي تقع على الساحل الجنوبي الشرقي لدولة كوبا. فقد شيدها الأسبان أثناء الاستعمار الأسباني لكوبا وجعلوها سجناً بتلك المنطقة ليقمع فيها نشاط الثورة الكوبية، لكن الكوبيين بمساعدة جيرانهم الأمريكان تمكنوا من تحرير كوبا منذ نحو ما يزيد عن مائة عام ويومها طلبت أمريكا عام ١٩٠٣م من جارتها الصديقة كوبا أن تستأجر تلك المنطقة التي تقع أقصى جنوب شرق البلاد مقابل مبلغ أربعة آلاف دولار سنوياً. كبادرة امتنان من الكوبيين لوقفه الأمريكان إلى جانبهم في حرب التحرير

وافقت الحكومة الكويتية على تأجيرهم لها، ومعلوم أنها تبعد حوالى ألف كلم من العاصمة هافانا، ومن اللافت للنظر أن الحكومات الكويتية المتعاقبة لم تقم بصرف أى شيك من الشيكات التي لا زالت الولايات المتحدة تقدمها لها حتى الآن.. وذلك إشارة من الكويتين إلى اعتراضهم على التواجد الأمريكى لديهم حتى ولو كان في منطقة معزولة ومقابل مبلغ متفق عليها.

حين اندلعت أزمة الصواريخ السوفيتية في أكتوبر ١٩٦٢م التي كادت تدفع العالم إلى شفير حرب نووية قامت فرقة من ثمانية عشر ألف جندي كوبي بحراسة قاعدة غوانتانامو وتمّ زراعة المنطقة المحيطة بها بالألغام، ومع انتهاء الحرب الباردة بين أمريكا وروسيا وحلفائهم فقدت القاعدة أهميتها الاستراتيجية وباتت تستخدم كمعسكر للتدريب. مع أفول نجم الإتحاد السوفيتى السابق وانفراد الولايات المتحدة بالعالم وتحولها إلى القطب الأوحده. عادت هذه البقعة إلى دائرة الضوء مره أخرى بعد أن بدأ نقل أسرى معركة الحرب على الإرهاب إليها، منذ قيام الثورة الكويتية يطالب فيدل كاسترو استعادة هذا الجيب الأمريكى، كان البعض يخشى أن يشور غضب الكويتين بعد إعلان وصول أسرى طالبان والقاعدة من أفغانستان إليها. يذكر أن الولايات المتحدة قد استشعرت خطراً شديداً من كوبا أربعة مرات على الأقل.. مما دفعها لإعلان حالة الإستعداد القصوى في القاعدة عندما شعر الأمريكيون أنها يمكن أن تعود للكوبيين، كانت المرة الأولى أثناء الثورة الكويتية عام ١٩٠٦م ثم كانت الثانية أثناء الثورة الثانية التي قادها الرئيس كاسترو ورفيق كفاحه جيفارا عام ١٩٥٩م ثم كانت الثالثة أثناء أزمة الصواريخ السوفيتيه عام ١٩٦٢م عندما أمر الرئيس كاسترو بقطع امدادات المياه عن القاعدة مما دفع الأمريكيين فيما بعد إنشاء محطة لتحلية المياه ووفرت الاكتفاء الذاتى من مياه الشرب لقاعدة غوانتانامو. فهذا المعتقل بات من أشهر المعتقلات في العالم فهو

يضم جنسيات عديدة مشتركة في سمه واحدة وهى أنهم مسلمون وأنهم مشتبه في تورطهم في أعمال إرهابية مجرد شك ليس أكثر، قامت أمريكا بإرسال كل من قامت بالقبض عليهم في المعركة التي سماها الحرب ضد الإرهاب إلى كوبا ووضعهم في مئات الأقفاس، فمع وصول أسرى القاعده وطالبان إلى غوانتانامو تبدأ رحلة أخرى من العذاب، حيث تقف عدة عربات مسلحة منتشرة في استقبال الأسرى وعلى متنها جنود يحملون المدافع والرشاشات فضلاً عن عربة تحمل قاذفه قنابل يدوية وبجانب هذه العربات المسلحة يقف جنود آخرون من المارينز على أهبة الاستعداد لأى طارئ كما توجد قوات من القناصة متخفية على جانبي القاعدة علاوة على مروحية تحلق فوق القاعدة لحراستها من الأعلى.

مجرد أن تصل الطائرة إلى المدرج فإن الجنود الأمريكان يسرعون للإحاطة بالطائرة التي تحمل الأسرى في مشهد لا يختلف كثيراً عما يقوم به الحرس الخاص بأى رئيس دولة عند نزوله من طائرة. بعد هذه المقدمة دعنى أيها القارئ أسرد لك تفاصيل ما كان يحدث لنا في هذا المعتقل الرهيب.

□ الوصول إلى غوانتانامو يوم الأحد الموافق ٢٠ يناير ٢٠٠٢م:

نزلنا من الطائرة تحت وابل من السباب والشتائم واللعنات وجاءنا صوت أحد المترجمين وهو يصرخ: لا تتحرك لا تتكلم، أنت تحت قبضة القوات الأمريكية المارينز ثم يردف صارخاً، اجلس على ركبتيك خافضاً رأسك ولا تتلفت ولا تتحرك، نجلس على هذه الوضعية لعدة ساعات بعدها تأتى حافلات خالية من المقاعد ومثبتة على أرضيتها حلقات حديدية أيضاً كما في الطائرة، يتم رفعنا وتثبيتنا بالسلاسل على هذه الحلقات ونحن جاثون على ركبنا مع مزيد من الركلات والصيحات المزعجة، بعد دقائق تدخل بنا الحافلة إلى عبارة عسكرية وبعد حوالى

ربع الساعة تنزل بنا إلى اليايسة وتشق الطرقات إلى أن تصل البوابة الرئيسية لمعتقل إكس راي X-ray وفي ساحتها نطل جاثين على ركبنا خافضي الرأس ويقف فوق رأسك اثنان من جنود المارينز يركلانك إذا حاولت أن تحدث أى حركة ونبقى في هذه الساحة لساعات طوال، بعد أن نجرد من ملابسنا تمامًا ويدخلونا تحت جدار مثبت عليه صنوبر ماء يتحكمون عليه من بعيد، يفتح الماء عليك بقوة ويصرخون على وجهك بأعلى صوت: إغسل يديك، إغسل رأسك، إغسل رجلك، إغسل ظهرك... إلخ، وهكذا ثم جاءوا إلينا بملابس بترقالية «الزى الخاص بالسجناء». بعد هذا نعاد في القيد مرة أخرى وتمر عبر عدة غرف للكشف الطبى مثله مثل تلك الغرف التي مررنا عبرها في قندهار، بعد إجراء عمليات الكشف الطبى يؤخذ منا قياسات الطول والوزن ويوضع في معصمك شريط بلاستيكي عليه جميع البيانات الاسم، تاريخ الميلاد، الرقم، الدولة التي تنتمي إليها، الطول، الوزن، فصيلة الدم وغيرها، بعد هذا يسحبونك داخل خيمة ويتم تصويرك من جميع الزوايا وتؤمر تحت معاملة قاسية وصيحات متوالية وجلبة ولكمات بأن تكتب رسالة قصيرة، إذا سألت لمن؟ يردون عليك: إلى الجحيم، هذه الطريقة الذكية المقصود منها معرفة ما إذا كنت تعرف القراءة والكتابة أو تحاول تخدعهم أن بتغير اسم والدتك أو والدك أو أن تكتب اسم أي شخص آخر تعرفه ويسألونك عنه في ما بعد إذا أنكرتها وذلك عند إجراء التحقيق معك.

أنزلونا في زنزانات انفرادية مصنوعة من أسلاك الفولاذ داخل عنبر كبير تصنف على جانبيه على شكل أقفاص مساحة كل واحد منها ١٨٠ سم X ٢٤٠ سم بارتفاع ٢٤٠ سم أرضيتها من الأسمنت وبداخلها سطلين أحدهما لقضاء الحاجة - أكرمك الله - والآخر للغسل كما يمنح لك حذاء حمام، صابون حمام، فرشاة أسنان، معجون، حافظ ماء صغيره «زمزمية» فرش بلاستيكي سمكه ٢ سم و منشفة صغيرة.

كانت هذه الزنازين في بادئ الأمر لاتطاق بسبب الثعابين والعقارب والضفادع التي كانت تتسلق عليها وتقفز إلى الأسرى من خلال الفتحات من أعلى وأسفل نسبة لوجود هذه الزنازين في أرض مستنقعات قريبة من المحيط، يحيط بها سلسلة من الهضاب مكسوة بالخضرة والعسكر يجوبون حول هذه الزنازين جيئة وذهابًا ونسمع أصوات السلاسل والصياح وهم يسحبون أحد الإخوة على زنارته، كنا ممنوعين في داخل هذه الزنازين من أداء شعائر الصلاة والقيام والحركة والالتفات والتحدث مع الجار والأعجب من ذلك أن حلاقة الرأس واللحية والحواجب والشارب قد غيرت من ملامحنا كثيرًا لدرجة أننا لم نكد نعرف بعضنا إلا بعد أن يذكر اسمه، كان شيئًا مضحكًا ومثيرًا للحزن في آن واحد، نسبة لتزايد أعداد المعتقلين في هذا العنبر جاءوا بعمال كوبيين لتشييد مزيد من العنابر والأقفاص، كنا نراهم وهم يعملون بجهد وهمه ونشاط والضباط الأمريكيان يشرفون عليهم، كان يسنون لنا يوميًا قوانين ولوائح جديده، أتذكر أول كرامة ظهرت لنا في خضم هذا البلاء العظيم القوانين الصارمة هي أنها كانت توجد على أطراف العنابر حمامات للغسل عليها أبواب من الفولاذ مكشوفه، جاء مجموعة من جنود المارينز وقالوا للإخوة: استعدوا للحمام وأخذوا اثنين أو ثلاثة من زنازينهم بعد أن جردوهم من ملابسهم وسحبوهم إلى الحمامات وأجبروهم على الغسل عراء وأعادوهم إلى زنازينهم وهم عراء أيضًا أمام إخوانهم، كنا بقدر الإمكان نداری أنظارنا منهم حتى لا تقع على عوراتهم وهم يعيدون الكرة وإذا رفضنا أو تظاهرنّا بالنظافة يقال لنا هذا قانون إجباري ولا بد من الإستحمام عاريًا يوميًا.

عاش الإخوة حقيقة في ضغوط نفسية ولحظات عصيبة لا أستطيع أن أصفها لك وهم يرون إخوانهم يساقون أمامهم هكذا، بعضهم أخذ بالعزيمة وحاول أن يقاوم فيطرحه الجنود أرضًا ويسحب على الحصى حتى يوصلوه إلى الحمام، هنا قام

الإخوة جميعاً وتوضأوا ووقفوا أمام جبار السموات والأرض رافعين أكف الضراعة والدموع تنهمر على خدودهم سائلين منه رفع هذا البلاء العظيم فلم تمر لحظات إلا ودخل مسئول كبير إلى العنبر آمراً الجنود بتنفيذ قانون جديد صدر لتوه بإيقاف تجريد الملابس وجعل ستار للحمامات وتوزيع سراويل قصيره لكل واحد على الفور، بكينا مرة أخرى ولكن هذه المره من شدة الفرح واستشعرنا عظمة الله وقدرته وإن هؤلاء الحثالة والأوغاد وعبد الطاغوت لن يضرنا إلا بماكتبه الله لنا.

أما الطعام فكان يتكون من وجبتين في الأيام الأولى يأتي الجنود بالوجبات ويضعونها أمام الزنازين وتكون معرضة للتهوية والبرودة والتراب لفترات طويلة ويا ويل من يمد يده ويسحبها إلى الداخل قبل إعطاء الأوامر، تصور هذه الحالة الطعام أمامك والجوع ينهشك وأنت مغلوب على أمرك ولا حول لك ولا حيله.

بدأوا بأخذ الإخوة واحدا تلو الآخر إلى العيادة الملحقة بالمعسكر لإجراء عمليات الكشف الطبى والفحوصات كانوا يسحبوننا على نقالة بعد تقييد اليدين والرجلين على حافة النقالة يصل الأسير إلى غرفة العيادة فيأتى الطبيب ويغرز في جسمك إبره ضخمة ويسحب كميات كبيره من الدم حتى تشعر بضعف وإعياء وخمول يسري في أنحاء جسدك، يحفظ هذا الدم بعد ذلك في ثلاجات عديدة إذا سألتهم لماذا تأخذون كل هذه الكمية؟ يردون علينا : نأخذها لأجراء الفحص الطبى ونتفاجأ فيما بعد بأن هذا الدم يتم إرساله لإسعاف جنودهم المصابين في أفغانستان، بعد أن يسحب منا الدم نعود إلى الزنازين وبعد لحظات تأتى ممرضه «وهى عادة مجنونة أمريكية» وهى تحمل في يدها أقراص في حدود خمسة عشر قرص وتأمرك بتناولها على الفور لئلا يحصل أى مضاعفات.

□ كيف كانت تسير التحقيقات؟

بعد التأكد من خلونا من الأمراض المعدية أو المزمنة ونُستعيد النشاط والحيوية يأتي إليك ثلاثة من الجنود والشرر يتطاير من عيونهم وتسمع صوت السلاسل والقيود تحدث ضجيجًا وتختلط مع صياحهم وجلبتهم ويركلون باب الزنزانة بقوة عدة مرات وهم يصرخون في وجهك: قم تحرك، ما رقمك؟ أنت الآن مطلوب للتحقيق. إذا استأذنتهم بأن يعطوك مهلة لقضاء الحاجة أو نحو ذلك يقولون: لا مجال لك اقضى حاجتك هناك، يتقدم أحدهم حاملًا المفتاح ويمسك بقفل الباب والآخر يأمرك بإخراج يدك عبر طاقة صغيرة وسط الباب ويقبض كفك بسرعة ويفتحهما بعنف مع ترقب وحذر يشوبهما خوف في وجهه واضطراب في يده في مشهد لا يختلف كثيرًا عن من يقيد أسدًا ثم يأتي الثالث ويضع القيود «كلبشات» على يديك أمرًا بالآلا تنظر في وجهه ومن ثم يدلى السلاسل إلى الرجلين ويدخل يده من خلال الطاقة الصغيرة في أسفل الباب مقيّدًا رجلك في حذر شديد، بعد هذه المراحل يفتحون باب الزنزانة ويخرجونك، ثم يسير أحدهم عن يمينك ويمسك بيده على عضدك ويضع يده اليسرى على قفاك ضاغطًا عليه والآخر عن يسارك يفعل مثله والثالث يمشى خلفك مباشرة تحسبًا لأي طارئ وإن أبدت أي مقاومة تطرح على الأرض وتسحب أو ترفع على نقالة وتمرّ أمام إخوانك القابعين خلف الشبك الحديدي وهم يرفعون أكفهم سائلين المولى عز وجل أن ينزل عليك السكينة ويلهمك الصبر ويثبتك على الحق، عند وصولك أمام مبنى التحقيق تجدها محاطة بأسلاك شائكة حولها جنود ينتشرون ومعهم كلاب بوليسية شرسة تكاد تنفلت من قيادها كلما رأت أسيرًا يقاد إلى التحقيق، يوقفون هؤلاء الجنود الأسير ويأخذون معلومات دقيقة من جنود آخرين في رفقة الأسير، وتتضمن هذه المعلومات اسم الأسير، رقمه، أي عنبر؟ من أي زنزانة؟ ثم بعد ذلك يدلّوهم على غرفة التحقيق المخصصة له، تساق إلى غرفة مساحتها تقريبًا ٣x٣ متر مبنية من أخشاب متينة مثبتة

في سقفها كشافات ذات إضاءة قوية وباهرة، وفي أعلى أحد الزوايا كاميرا تصوير تسجل جميع مايجرى أثناء التحقيق وفي وسطها طاولة كبيرة بجانبها أربعة أو خمسة كراسي مواجهة لكرسي الأسير، عادة يؤتى بالأسير ويؤمر بالجلوس بهذا الكرسي ويشد بسلسلة على حلقة حديدية تحت كرسيه وفي أعلى الجدار جهاز تكييف يستخدم أحياناً كوسيلة لتعذيب الأسير وذلك برفع درجة برودته ويترك الأسير تحته عدة ساعات، وهناك خلف كراسي المحققين مباشرة لوحة مثبتة على الجدار تحتوى على ثلاثة أزرار، زر للطوارئ الصحية وزر لفرقة مكافحة الشغب، وزر لا أدرى لأى شئ خصص، يقاد الأسير ويؤمر بالجلوس ويشد على حلقة بقفل ضخم، بعد هذا يخرج الجنود ويظل الأسير قابلاً فيها والكاميرا تصور وأطباء نفسيون في غرفة مجاورة يشاهدونه عبر شاشات من حيث لا تراهم، يمكث الأسير في كرسيه عدة ساعات في انتظار وصول المحققين مع أنهم لا يأتون قبل الأسير حتى لا يكونوا المنتظرين لكبر في أنفسهم، بعد هذا الانتظار الطويل يدخل عليه المحققون بطريقة وحشية منهم من يركل الباب بقوة بقدمه ومنهم من يهجم على الأسير ويخنقه سائلاً: ما أسمك؟ وذلك لإدخال الرعب والفرع في نفس الأسير وبالتالي يتمكن من انتزاع المعلومات التي يريد بها بهذه الطريقة المرعبة، يبدأ من الأسئلة صارخاً، ما أسمك؟ ما جنسيتك؟ في أي مكان قبض عليك؟ ما علاقتك بتنظيم القاعدة؟ وهكذا...، إذا أجبتهم بالنفي، يصرخ في وجهك مرة أخرى قائلاً: إنك لا تريد أن تتعاون معنا ثم يأمر بسحب الكرسي الذي تجلس عليه والإتيان بكتلة خرسانية لتجلس عليها وأنت طبعاً مقيد ويخرج وتظل وحدك في الغرفة بعد أن يرفع من درجة البرودة وتظل تحت وطأة البرودة وأنت تعاني ما تعاني من هذه الجلسة وثقل القيد وآلامه لفترة طويلة إلى أول الليل، بعده يأخذونك إلى الزنزانة مرة أخرى ويرجعونك إلى غرفة التحقيق ويعاودون على تكرار الأسئلة السابقة، إذا صممت على موقفك تبقى فوق الكتلة الخرسانية حتى الصباح مع مزيد

من البرودة، هذا الأسلوب كان أهون أساليب التحقيق وشيئاً مألوفاً ومتكرراً وأذكر من ضمن أساليبهم ما كنا نسمعه من الإخوة وقرأته في كتاب صدر حديثاً يحمل عنوان «غوانتانامو المعتقل الرهيب» للكاتب سامي الدهشان وأميرة فكري يذكران ما قاله الأخ المعتقل جمعة الدوسري حيث يقول: في إحدى جلسات الاستجواب، قامت إحدى المحققات بنثر دم حيضها عليّ بعد أن قام أربعة من أفراد الشرطة العسكرية بتكيلي وقالت لي: أن هذه هي فرصتي الأخيرة للاعتراف بأني إرهابي وعضو في تنظيم القاعدة وأني متورط في هجمات الحادي عشر من سبتمبر، ثم أجبرني أفراد الشرطة العسكرية على الاستلقاء على الظهر، وكبلوا أرجلي في حلقة مثبتة من الأرض، وقيدوا يدي ورفعوها فوق رأسي وأنا على الأرض، ثم قامت المحققة بإعطاء إشارة للبدء في قطع ملابسي بالمقص، بعدها قامت المحققة بخلع ملابسها الخارجية ووقفت فوقى، ثم خلعت ملابسها الداخلية ونزعت فوطه صحية كانت تضعها مما جعل دم الحيض ينساب على جسدي وعلى أعضائي التناسلية، ثم لطخت صدرى بالدم، ولم تجد محاولاتي للإفلات من القيد، ثم قامت بتقبيل صليب كانت تلبسه، وقالت لي هذه هدية من المسيح لكم أيها المسلمون، ثم قامت بتلطيف وجهي ضاحكة هي وأفراد الشرطة!! وبعد رحيل الشرطة تركوني نحو ساعتين أو ثلاثة ساعات قبل أن يسمحوا لي بالاستحمام ثم قادوني إلى الزنزانة مرة أخرى وكان أفراد من الشرطة العسكرية يقوم بتصوير الواقعة بكمرة فيديو كان يحملها، ونفس هذا الأسلوب حصل أيضاً مع أخينا يعقوب السوري.

لا شك أنني عايشة هذه التحقيقات وخضعت إليها على أيدي عدة محققين، في فترات متفاوتة ما بين شهر أو شهرين حتى وصل عددهم نحو خمس وسبعون محققاً كل واحد منهم له أسلوبه الخاص في التحقيق والتعذيب معاً، كنت أسمع من بعض الإخوة الذين خضعوا للتحقيق كيف كان يتم أسلوب التحقيق معهم، منهم من كان يتحفظ حتى لا يثير الخوف في نفوس الآخرين ويكتفى قائلاً: الأمور طيبة

والحمد لله في حين أنه ذاق الويل ، ومنهم من يأتى صامتًا بالمرّة ويظل علي صمته يومًا كاملاً ، أو أكثر ولا ندري ما حصل له .

دعنى أذكر لك طرقًا من أساليب التعذيب التي أورها الكاتبان وقد عاشرت وسمعت عنها من هؤلاء المعتقلين قبل وأثناء وبعد وصولنا إلى غوانتانامو أذكر منها :
- الخطف .

- إرغام المرء علي المشي عاري القدمين علي أسلاك شائكة .

- عصب العينين .

- منع التنفس بوضع اليد علي الفم وأنف المعتقل لمنعه من التنفس .

- المعاملة الوحشية لإخراج المعتقل من زنزانه بالقوة .

- استخدام الرزاز الكيماوى - رزاز الفلفل .

- الإحراق بالسجائر .

- إدخال المعتقل داخل خزانة ثم إغلاقها .

- التهديد بالقتل .

- التلاعب بالحمية الغذائية .

- استخدام الكلاب للتهديد والتخويف .

- الرش بالماء البارد .

- الصعق بالصدمات الكهربائية والتهديد بها .

- التعريض للطقس والحرارة القاسية عن طريق تكييف الهواء .

- لف المعتقل بالعلم الإسرائيلى أو الأمريكى خلال الاستجواب أو قبله .

- الحرمان من الطعام والماء .

- الإرغام علي الحلاقة مثل حلق شعر الرأس أو الجسد أو الوجه.
- الحقن القسرى بمواد غير معروفة.
- الإرغام علي الإستلقاء علي الظهر أو مؤخرة الساقين.
- تغطية الرأس والوجه.
- احتجاز الرهائن أي احتجاز أشخاص لإجبار أقربائهم علي تسليم أنفسهم.
- الإذلال، مثلاً الزحف القسرى والإرغام على تقليد أصوات الحيوانات والتبول علي المرء.
- التغطيس في الماء لخلق الإحساس بالغرق.
- الاعتقال بمعزل عن العالم الخارجى.
- خلق الشعور بالخنق أو الاختناق.
- الحرمان من الضوء.
- الموسيقى الصاخبة والضجيج والصراخ.
- تصوير فوتوغرافى وفيديو كضرب من ضروب الإذلال.
- الاعتداء الجسدى مثل الركل واللكم والضرب بالأيدي والخراطيم والهروات والمسدسات.
- الإستجواب المطول مثلاً لمدة عشرون ساعة.
- الحرمان من مقابلة الأقرباء أو الرقابة المفرطة علي الإتصالات معهم.
- التعصب الدينى مثلاً الإزدراء بالقرآن والشعائر الدينية.
- الاعتقال الأسرى.
- النقل السرى.

- الحرمان من استخدام الحواس.
 - الإذلال الجنسي.
 - الإعتداء الجنسي.
 - الإعتداء المفرط والقاسي للأغلال والأصفاد بما فيه التقييد بالأغلال القصيرة.
 - تغيير نمط النوم.
 - الحرمان من النوم.
 - الحبس الانفرادي لفترات مطولة مثلاً لمدة شهر أو أكثر من سنة.
 - الأوضاع الجسدية التي تسبب الإجهاد والركوع الوقوف القسري المطول.
 - الاستخدام المفرط أو المهين للتجريد من الملابس بحجة التفتيش.
 - الأضواء القوية على مدار الساعة.
 - التهديد بالاغتصاب.
 - التهديد بالانتقام من الأقرباء.
 - التهديد بالنقل إلى دولة ثالثة لزرع الخوف من التعذيب أو الإعدام.
 - التهديد بالنقل إلى غوانتانامو.
 - التهديد بالتعذيب وسوء المعاملة.
 - سحب بنود الترفيه أو الغذاء بما فيه البنود الدينية.
 - حجب المعلومات عن المعتقل.
 - الامتناع عن توفير العقاقير الطبية.
 - عدم السماح باستخدام المرحاض مما يؤدي إلى التبول أو التبرز في الملابس.
- «انتهى كلام الكاتبان».

دعني أيها القارئ الكريم أوضح لك بالتفصيل بعض هذه الأساليب التي أورداها في كتابهما فليسمحا لي أن أضيف إلى معلوماتهما بعض الحقائق وأتناولها بالشرح بحكم أنني كنت شاهداً علي ذلك وصاحب تجربة سابقة لهذا المعتقل.

الخطف:

كان يحدث من قبل الاستخبارات الأمريكية بالتعاون مع الدولة المتواجد فيها المختطف مثل غامبيا التي اختطف منها المواطن العراقي (بشر الراوي) وكذلك المواطن الأردني (جميل البنا)، وأما لما حدث في باكستان فحدث ولا حرج حيث كان أفراد من الاستخبارات الباكستانية تقتحم المنزل ليلاً ونهاراً، ويختطف الشخص من بين أولاده وأسرته خاصة بعد أن عرف الباكستانيون إلا من رحم ربي بأن الأمريكيان يدفعون مبالغ مقدرة من الدولارات لمن يقبض على عربي أو يبلغ عنه، تكالب الباكستانيون علي تبليغ الاستخبارات الأمريكية والباكستانية على أماكن تواجد العرب وأصبح هذا الأسلوب تجارة رائجة عندهم والله إنها لبس التجارة وبئس الأسلوب.

استخدام الرزاز الكيماوي - رزاز الفلفل:

كنا نطلق عليها اسم البخاخ (Spary)، وكان لا يحمله إلا الضباط في بادي الأمر إذا أرادوا الدخول علي الأسير يأتي الضابط في بادئ الأمر ويرش البخاخ على وجه الأسير ويفقده الرؤية تماماً ويقف أمام باب الزنزانة فرقة الشغب المكونة من ستة جنود عليهم ملابس خاصة ثقيلة ودرع من البلاستيك المقوى علي الصدر ليتفادي لكمة الأسير إذا هم بذلك ودرع صغير علي الركبتين وعلي مفصل المرفقين والكوعين وواقى بلاستيكي علي الساقين ويضع على رأسه خوذة حديدية ذات شبك ليحمي بها رأسه ووجهه ويلف عنقه بشريط مطاطي يحافظ به علي الحنجرة ويكون ثلاث منهم في أيدهم دروع بلاستيكية مقوية علاوة علي الخوذة ذات الشبك كتلك التي تستخدمها قوات مكافحة الشغب والتظاهرات. يقف خلف هؤلاء الثلاثة عشرة

آخرون أربعة منهم من حراس العنبر وأثنان من الممرضين يحملون حقيبة للإسعافات الأولية وواحد بيده كمرّة فيديو يصور المشهد ومترجم وضابط يحمل زراز الفلفل بالإضافة إلى قائد المجموعة وهو عادة يكون من ذوي الرتب الرفيعة، يرش الضابط الرزاز على وجه الأسير ويفقده الرؤية ويتخبط يمّة ويسره ويضع يديه على عينيه من شدة الألم والحرارة عندها يفتح الباب ويهجم عليه ستة بطريقة وحشية ويطرحوه أرضاً ويقيدون يديه خلف ظهره ويضعون الأصفاد علي رجليه ويحمل إلى الخارج، بعد هذا يبدأ تفتيشه تفتيشاً دقيقاً بينما جنود العنبر يشرعون في تفتيش الزنزانة بطريقة فوضوية للبحث عما يريدونه وصاحب الكاميرة يديرها تارة علي الأسير الملقى على الأرض وتارة أخرى على غرفته المبعثرة واحد الممرضين يقف فوق رأسه سائلاً أباك كسر؟ هل تريد الطبيب هل تستطيع أن تتنفس؟ وما إلى ذلك من الأسئلة والآخر يحمل مادة طبية خاصة مخففة للسخونة والالام ويرش بها على وجهك لتعيد الرؤية مرة أخرى وأما القائد فيقف متربّعاً يديه في تباهي و صلف وينظر ما يفعله الجنود بالأسير، بعد انتهاء هذه العملية يعاد الأسير إلى زنزانه حيث يخرج الجنود المرافقون في هذه الأثناء تبقى مكبلاً بالقيد ويبقى أحدهم يمسك يد الأسير المطروح على الأرض ويحرره من القيد وهو جالس على ظهر الأسير ومجرد أن يفرغ من مهمته يجذبه زملاؤه إلى الخارج بسرعة فائقة ويغلق عليه الباب في الحال خوفاً من أن ينهض الأسير ويلكمه أو يركله برجله. هل تدري أيها القارئ الأسباب التي تدفعهم للدخول علي الأسير بهذه الهيئة؟ تصور تفاهة الأسباب معي، وإليك بعضاً منها:

- مثلاً إذا فقدوا الملعقة البلاستيكية الصغيرة التي صرفت لك أم لم تصرف.
- إذا وقع تحت نظر الحارس ظرف ملح فارغ داخل الزنزانة وطلب منك أن تناوله ولم تتجاوب معه.
- إذا رفض الأسير تبديل الملابس.

- أما الأسباب المنطقية التي تدفعهم إلى المجئ لأخذ الأسير بهذه الطريقة هي :-
- عدم الذهاب إلى غرف التحقيق.
- عدم الذهاب إلى العيادة.
- رفض الخضوع للتفتيش الإجبارى.
- أفتعال أي سبب يروونه لإيقاع بك حسب طلب المحقق.
- التهديد بالقتل :

يؤتى بالأسير إلى غرف التحقيق وقد يكون عادة في حالة حبس انفرادى ولم يكن قد رأى إخوانه الأسرى من قبل ، يهددونه بقولهم : لا أحد يعرف بأنك هنا ، وأن لم تعترف قتلناك هنا وهذا الأسلوب يطبق لإجبار الأسير للحصول على معلومات دقيقة حصل لكثير من الإخوة ولكن لم تحقق نجاحاً .

التلاعب بالحمية الغذائية :

يستغرق هذا عدة أيام وشهور وهو أن يقلل وجبة الطعام ويخلو من المواد ذات السعرات الحرارية والقيمة الغذائية معاً يؤدي ذلك إلى النحافة وانخفاض الوزن وإن أرادو إعادة وزنه كما كان ، يعاد الوجبة كما كانت .

التعرض للطقس والحرارة القاسية ويكون عن طريق تكييف الهواء :

بعد أن يؤخذ الأسير إلى غرف التحقيق يترك تحت درجة حرارة عالية لمدة طويلة ثم يتعرض للبرودة القاسية مباشرة ، ومعلوم أن انتقال الشخص من بروده عالية إلى حرارة عالية مباشرة يؤدي لأنفلونزا والتهابات وغيرها وإذا طلبت العلاج لابد أن يكون ثمنه التعاون مع المحقق .

لف المعتقل بالعلم الإسرائيلي أو الأمريكى خلال الاستجواب :

حصل هذا لأحد الأخوة من بلاد الحرمين يدعى عبد الهادى الشارخ ودينسوا

القرآن الكريم أمام عينيه واللف بالعلم رسالة إلى العرب والمسلمين ولفت أنظارهم بأننا نحن اليهود والأمريكان هنا نتحكم في هذا المعسكر.

احتجاز الرهائن أي احتجاز أشخاص لإجبار أقربائهم علي تسليم أنفسهم: هذا حدث على حسب علمي وبما رواه لى أهل اليمن يحدث في بلادهم وهو شيء طبيعي عندهم.

الاعتقال بمعزل عن العالم الخارجى:

هذا كان يحصل لكل المعتقلين بغوانتانامو خاصة لأصحاب الحبس الانفرادى فمثلاً لم يسمح لنا بمشاهدة التلفاز أو قراءة الصحف أو الاتصال بالأهل أو مقابلة أي شخص وهذا أدى إلى عزلنا عن العالم الخارجى.

خلق الشعور بالخفق والأختناق:

ربما يقصد به السحر، كانوا ياتون بسحرة يهود ليعقدوا العقد وينفثوا فيها فيصاب الأسير بالصرع وحالات هستيرية ويخيل إليه بأنه يخفق، كان يصاب بالسحر ويرى المحقق وأشخاصاً آخرين يحدثونه بأن يقول الصدق ويعترف بأنه من تنظيم القاعدة وآخرون لا يذوقون طعم النوم لمدة ثلاثة أيام من تأثير السحر بل أكثر من هذا بان يرى الأسير أمه وزوجته وأخته عراة أمامه ويتمتم بكلمات كأنما يراهم حقيقة ويكون المحققون على علم مسبق بهذا حتى إذا جاء الأسير أمامهم يسألونه بخبث: كيف حالك الآن؟ بماذا تشعر؟ إذ تجاوبت معهم في الحوار يقولون له هل تريد العلاج مما حل لك؟ إذا رد الأسير لهم بالإيجاب يقولون له لدينا أسئلة إذا أجبتها بصدق ستشفى مما بك. وأتذكر حالات كثيرة من تأثير السحر منها. يرى الأسير عصفورة ويتخيل بانها تحادثه وتأمره بخلع ملابسه كلها ويفعل هذا. هنا يأمره أحد الإخوة بأرتداء ملابسه وكذلك الحارس فلا يستجيب لهما لأنه فاقد

الوعي بفعل السحر فيشرع أخوه في قراءة القرآن الكريم فيستعيد وعيه تدريجيًا بعده يرتدي ملابسه ولكن يعيش بعد ذلك في حالة نفسية سيئة واكتئاب وعزلة.

ومنها وهذا كان يحدث عند تناول وجبه الإفطار أن يسمع المسحور أو قل يخيل إليه أنه يسمع هاتفًا ياتيه ويأمره بأن يتبول في كوب الحليب الذي يهيم أن يشربه ويتهيأ للتبول فيه عندئذ يزجره أقرب أخ له بعد ذلك يستفيق مما هو فيه. ومنها أن يدخل المسحور إلى دورة المياه الملحقة بزنازته ويمكث فيها طويلاً وعندما يشعر جاره بهذا وهو عل علم بحالته - يشرع في قراءة القرآن الكريم فيخرج في الحال. ومنها من يعيش في حالة إكتئاب وانطواء عن إخوانه ويتخيل إليه بأنهم أعداء له ويكرهونه ومنها الذي يعيش في صدام دائم لا يستطيع التركيز مع فقدان الشهية في الطعام حتي يصيبه الهزال والضعف. ومنها الذي يتكلم من الصباح حتي المساء دون توقف من غير وعي طبعا. ومنها الذي يقع على الأرض مصروعا ويضطرب كالحيوان المذبوح ويظل يتخبط يمنا ويسرة ويضرب ما حوله حتي تخور قواه ويهدأ أو تدخل عليه الطيبة وتعالجه بالمهدئات وبعد الاستفاقة مما أصابه يأتي الجنود ويأخذونه إلى غرف التحقيق حيث يكون هناك نوع من المساومة بينه وبين المحقق قائم على العلاج مقابل التعاون والاعتراف بأنه من تنظيم القاعدة أو طالبان ولكن الإخوة بحمد الله لم يرضخوا لمثل هذه المساومات القائمة على الابتزاز الرخيص ويفضل الله وقدرته ولطفه استطاع الإخوة مجابهة هذا البلاء بقراءة القرآن الكريم والتحصين بالآذكار.

الحرمان من الوضوء:

الحرمان من الوضوء ويكون عادة بالتحكم على صنوبر الماء داخل الزنازاة من الخارج لا سيما قبل الصلاة بدقائق ولا يعاد الماء إلا بعد أن يخرج وقت الصلاة.

الموسيقى الصاحبة والضجيج والصراخ:

يكون هذا الأسلوب في داخل غرف التحقيق وذلك بعد أن يثس المحقق من

انتزاع المعلومات يصرخ على وجه الأسير ويسبه ويرسل لمن يأتي إليه بجهاز أستريو كبير عالي الصوت ويشغله بالقرب من الأسير ويخرج، هذا على نطاق الغرفة وأما خارج الغرفة فهناك سماعات مركبة في جميع أنحاء المعسكرات يتم التحكم عليها من غرفة الكترول حيث يبدأون بتشغيل الموسيقى الصاخبة قبل وبعد الأذان مباشرة.

التصوير الفتوغرافي والفيديو كضرب من ضروب الاذلال:

كان هذا الأسلوب يستخدم لخداع الإخوة فمثلا التصوير الفتوغرافي، يؤتى بالأسير في غرفة التحقيق ويمد له صورة فتوغرافية لشخص قد يعرفه الأسير أو لا يعرفه يكون فيه صاحب الصورة مشوه الوجه وفيه أثار الضرب واللكم وملطخ بالدماء يقال له: هذا الشخص عذب في إحدى الدول العربية واعترف بكل شيء على نفسه وعليك فلا نريد منك أن تتعبنا معك ونعاهدك بالا نلجأ إلى ما لجأوا اليه، ونريد منك فقط أن تساعدنا وتساعد نفسك حتى نصل إلى ما نريده منك. ومن هذه الأساليب دبلجة صورة الأسير بوضعية خليعة مع إحدى المومسات كنوع من أنواع الابتزاز. أما التصوير بالفيديو فيؤتى بالأسير ويعامل معاملة طيبة وحسنة ويقدم له على الطاولة كل ما لذ وطاب من الطعام، بيتزا، معجنات، شكولاته بأنواعها، الفواكه بأنواعها، العصائر بأنواعها، ثم يجلس معه المحققون ويشاركونه في تناول الطعام في جو يسوده الضحك والمرح والبساطة والكمرة تصورهم من حيث لا يراها الأسير وهم في هذا الحال طبعاً الأسير يلاحظ كل هذا في صمت واستغراب وذهول، في هذا الجو غير العادي للأسير يسأله المحققون بعض الاسئلة، الغرض من كل هذا ضرب عصفوريين بحجر، الأول لعلهم يجدون من الأسير الاستجابة ويحصلون علي معلومات والثاني الإتيان بأسير آخر له سابق معرفة بصاحبه الأول ويعرضون عليه صور الفيديو التي تتضمن الضحكات

المصطنعة والطاولة المليئة ويقولون له هذا صاحبك فلان الفلاني في المعسكر المجاور لك قد اعترف عليك بكل شيء بعد أن أنعمنا عليه كما ترى علمًا بأن صاحبه لم ينطق عنه بكلمة واحدة.

الاعتداء الجسدي مثل اللكم والركل والضرب بالأيدي والخرطوم والمسدسات : أكثر ما كان يستعمل هذا الأسلوب في قاعدة قندهار وباغرام بالمقارنة مع غوانتانامو وكان أكثر ما يؤدي إلى إزهاق روح الأسير لحقد في نفوسهم ولا يوجد معيار معين لاستعماله فالجنود كان لديهم صلاحية كاملة من قبل إدارة المعسكر لذلك كنت ألاحظ بعض الجنود حين يضرب الأسير ليس للذنب جناه ولكن ليثبت للفتاه المجندة بأنه لا يخشى هؤلاء الوحوش ولو كان الأسير مطلقًا لما تجرأ علي ضربه بل كان سيطلق ساقية للريح فرارًا وما أجبنهم عند النزال! كثيرون من الإخوة قتلوا من جراء هذا الأسلوب.

تصور معي أيها القارئ رجل عجوز تجاوز المائة وعشرة من عمره يضرب من قبل أطفال مراهقين تابعين لأفراد القوات الأمريكية بدون مراعاة لإنسانيته، كان هذا واحدًا من الإهانات التي بسببها أراد الإخوة خطف السلاح من الجنود والاشتباك معهم وتدمير القاعدة بإذن الله كما حدث في قلعة الجنك ولكن صرف الله ﷻ هذه الأفكار من عقول الإخوة بعد عدة رؤى راوها في منامهم لشيء يريد به الله تعالى، فمنهم من كان يرى الحبيب المصطفى ﷺ ومنهم من كان يرى الشيخ اسامه بن لادن يأمره بالآل يلجأ إلى هذه الأفكار، صبر الإخوة على الضرب والاستفزازات المتكرر بصورة يومية، تركتهم علي حالهم ونقلت إلى القاعدة الأمريكية بغوانتانامو وهناك أخذت نصيبى من الضرب بأنواعه.

التعصب الديني مثلًا الإزدراء بالقرآن والشعائر الدينية :

حقيقة لم يتعبنا أي أسلوب نفسى بمثل ما كان يتعبنا إهانة القرآن الكريم حتى وصل بعض الإخوة إلى درجة الإنهيار العصبي بسبب ما يراه ولا يستطيع أن يفعل شيئاً وهو في قفص من الفولاذ ومن شدة الغضب يضغط على أسنانه وتكاد يده التي تمسك الحديد تنزف دمًا ويدعو الله تعالى ويتمنى لو فتح الله الباب حتى ينفض على هذا الوغد النجس ويشفى غليله بقتله فداء لله وذودًا عن كتابه الكريم، والإدارة والجنود يعلمون علم اليقين خطورة هذا الأسلوب وكان أكثر الإهانات لكتاب الله الكريم في قاعدة قندهار وباغرام حيث يؤتى بالقرآن الكريم ويغمس ويوضع في سطل ملئ بالبول والغائط، أكرمك الله ولسان حالهم يقول: هذا هو كتابكم الذي تعظمون فمكانه هنا كما تروه، وبعض منهم كان يمزق القرآن الكريم ويأخذ من صفحاته ويمسح بها حذاؤه وإذا أراد تفتيش الكتاب الكريم يمسكه من طرف غلافه ويتركه يتدلى وينفضه باستهزاء كأنه يمسك بطائر من إحدى جناحيه ثم يلقيه على الأرض ويقول: آسف سقط مني دون قصد، الأسرى الذين لا يتكلمون في غرف التحقيق ولا يستجيبون لاستفزازاتهم يأتون بالكتاب الكريم ويضعوه تحت أقدام المحقق حتى يثير مشاعر الأسير ويعذب نفسيًا وهذه رسالة للأسير بأن كتابكم الكريم إنما يهان ويدنس بسببك، لأنك إذا استجبت وتعاونت معنا نوقف هذا الأسلوب ويرضى عنك الرب!! أيها القارئ أسألك بالذى رفع السموات بغير عمد ماذا تتوقع لمثل هذه الامة؟ لا أتعجب من أفعالهم بقدر ما أتعجب من أناس من بنى جلدتنا يدافعون عن هؤلاء ويحبونهم ويفخرون بأنهم يحملون جنسية أمة ضلت وأضلت والأعجب من هذا الذين يساندونهم بالعدة والعتاد وفتح أراضيهم لقواعدهم العسكرية ويدودنهم بالمال لتقوية أنفسهم ومحاربة المسلمين إنها والله لبس التجارة وبس الربح وصدق الصادق المصدوق محمد ﷺ حين قال: «يحشر المرء ما من أحب». لا أريد أن أطيل عليك في هذا المقام فما فعله هؤلاء في

كتاب الله من تدنيس وتمزيق وإهانات وإستهزاء بما ورد من آيات لا يحصى ولا يعد وقد كنا نحذر المحققين وإدارة المعسكر والجنود من غضب الله ونزول نقمه عليهم كنا نذكرهم بما حدث قبل سنين قليلة في تركيا عندما أهين القرآن الكريم في أحد القواعد العسكرية التابعة لليهود والأمريكان، فجاء أمر الله بالخسف، وذلك عندما أنشقت الأرض وابتلعت القاعدة بمن فيها وما فيها ولم ينج إلا الشخص الذي حذرهم، والقصة مشهورة ومعروفة فالحديث ليس ببعيد ولكن وجدنا آذاناً صمًا وعيونًا عميًا ونسأل الله تعالى أن يشدد على قلوبهم حتى يروا العذاب الأليم.

الحرمان من النوم:

كان يستعمل هذا الأسلوب في غرفة التحقيق عن طريق الاستجوابات المطولة لعدة ساعات ويذهب الأسير بعد ذلك إلى الزنزانة وقبل أن يخلد إلى النوم يأتي الجنود ويأخذونه إلى غرفه التحقيق مرة أخرى ويجلس عده ساعات ولا يحضر المحقق أو من ينوب عنه عند غيابه حتى يطيل الجلسة، وأسلوب آخر يتم عن طريق إدارة المعسكر والجنود للعنبر بأكمله، والعنابر الانفرادية، يبدأ من أول الليل إلى الفجر بأسلوب قانوني حسب قولهم عندما يخلد الإخوة إلى النوم جميعًا يحضر العسكر السطول الحديدية والمكانس والمناشف وخرطوم ماء طويل ويسكبوا مادة مطهرة قوية الرائحة على الأرضية الحديدية حتي يصل بعض الإخوة إلى حد الاختناق بسبب الرائحة خاصة الذين لديهم حساسية أو المصابون بالربو والأزمة بينما الجنود يضعون كمادات على أنوفهم ويشرعون في عملية الغسيل مع ضرب أبواب الزنازين بالمكانس والضحك والصياح ورفع الأصوات بالغناء الجماعي والأسير يتقلب يمنة ويسرة إلى أن يصبح الصباح وتأتي المجموعة الثانية لاستلام الوردية، يحدث هذا في العنابر العادية بشكل شبه يومي أما في العنابر الانفرادية تستعمل هذه المادة السامة ذات الرائحة الكريهة يوميًا بصورة كثيرة.

الحبس الانفرادي لفترات مطولة مثلاً لمدة شهر أو أكثر:

كانت تعتبر هذه الانفراديات للتعذيب الجماعي ويشمل التعذيب الجسدي والنفسي فهي عبارة عن عدة (حاويات) ملتحمة بعضها مع بعض كل اثنين مع بعض ويواجههما من الجهة المقابلة اثنان آخران بنفس الهيئة ومقسم من الداخل إلى زنازين لكل واحد شفاط للهواء وتكيف مركزي، في السنين الأولى كانت مظلمة تماماً أما في السنين الأخيرة فقد وصلوا فيها إضاءة قوية إذا وضعت في ملعب رياضي لأضواء نصفه، وهي في حالة أضواء دائمة ليلاً ونهاراً ولها تأثير سلبي علي الدماغ، في هذه الغرف تحدث عدة ممارسات منافية لكل الأعراف ولا يقرها الشرع ولا القوانين خصصت هذه الغرف للعقوبات ومن يدخلها يحرم من جميع اللوازم الضرورية فمثلاً لا يحق لك أن تملك صابون ولا فرشاة أسنان ولا معجون ولا كوب ونحوه، محرم من كل شيء إلا ملابسك التي ترتديها وحصير من بلاستيك والإضاءة القوية مسلطه عليك والتكيف المركزي يفتت عظامك وتمنع منعاً باتاً التحدث مع أخيك الذي لا تراه في الزنزانة المجاورة ولو تكلمت معه أو رددت بسم الله الرحمن الرحيم يشدد عليك في المعاملة ويمدد لك فترة الحبس، طبعاً النوم قليل جداً والخروج إلى ساحة الرياضة قليل أيضاً وكذا الاستحمام، والذي كان يتعب الإخوة في هذه الأماكن حين يصاب بالجنابة لعدم وجود شيء يستتر به من أعين الحراس وقلة الماء، فوق ذلك البرودة الشديدة بواسطة التكيف المركزي وعدم وجود منشفة وملابسك مبتلة لا تملك غيرها وتضطر أن تلبسها في هذا الجو البارد بدلاً من أن تجلس عرياناً، والجنود ينظرون إليك كل دقيقة أو تسحب إلى غرف التحقيق من هذا المكان ويتفنن المحققون في أساليب التعذيب ولا يعلم أحد بما يحصل للأسير إلا الله سبحانه ثم هؤلاء.

هذه الانفراديات منعزلة عن بقية العنابر والداخل فيه ينعزل تماماً عن الآخرين،

كان معظم أنواع التعذيب يتم في هذه الغرف وكذلك غرف التحقيق، أتذكر بانه جاورنى في أحد العنابر أسير من بلاد الحرمين يدعى (ياسر الزهراني) أحد الناجين من مذبحة القلعة قتل في المعتقل فيما بعد وحكى لي أشياء حصلت في عنابر الانفراديات تندى لها الجبين. فالزهرانى كان له شجاعة نادرة رغم صغر سنه وكان له مواقف وبطولات في ملحمة قلعة الجنك، كان بمثابة شوكة حوت في حلق الأمريكان، كان لا يرضخ لهم ولا يلتزم بتنفيذ الأوامر وأن وجد فرصة في لطم الأمريكي أيًا كان لا يتوانى وكل هذه السنين هو في الغرف الانفرادية نادرًا ما ينقل إلى أخوانه في العنابر لذلك كان الإخوة يشاققون إلى رؤيته، كان أغلب العسكر يحقدون عليه وكذلك المحققون لانه لا يتكلم في التحقيق. وقد عانى معاناة شديدة بسبب ورم صغير في ظهره عند نهاية السلسلة الفقرية رفض الأطباء علاجه إلى أن يأتيهم الأمر من المحقق ومع مرور الأيام وسوء العناية الطبية فتح الورم وأصبح جرحًا ينزف الدم والصدید، طلب من الممرض التنظيف فقط مجرد تنظيف رفض ومع الأيام توسع الجرح وكثر الصدید والدم حتى وصل به الحال بأن عاجز عن الركوع والسجود في الصلاة، وإدارة المعسكر والمحققون يطلبون منه التعاون معهم وأن يعترف بأنه له علاقة بتنظيم القاعدة حتى يعالج، رفض وصمد أمام التحديات والمغريات حتى قتل، وعلمت فيما بعد أن الورم كان بسبب رقاده لفترات طويلة علي الحديد في الغرف الانفرادية لأنه كان يعاقب فوق العقوبة بسحب فراشة البلاستيكي ويضطر أن ينام علي الحديد علاوة علي التعرض لبرودة جهاز التكييف، وفي أحد الأيام ذهب إلى التحقيق وعند عودته تفاجأ بأن الزنزانة كلها قد رش بالبخاخ «رزاز الفلفل» لا يستطيع أن يلمس الحديد ولا الجلوس ولا الرقود بسبب هذه المادة الحارقة، هذا أبسط الممارسات في الغرفة الانفرادية يكفي فقط أن يسحب منك الأغراض وترفع درجة التكييف والغرفة كلها من حديد

حتى تصاب بالروماتزم، من أراد معلومات أضافيه عن هذا الشاب الشجاع فليدخل إلى موقع الأسرى في النت سيجد صورة له ورسائل معبرة بخط يده نسأل الله تعالى أن يغفر له ويرفع درجاته، هذا الذي ذكرته نذر قليل من ما يمارس في الحبس الإنفرادى.

التهديد بالنقل إلى دولة ثالثة لزرع الخوف من التعذيب أو الإعدام:

بعض الأسرى تم تعذيبهم في الأردن ودول عربية أخرى سمعت هذا من ألسنتهم وسمعت أيضًا من الإخوة بأن خالد الشيخ محمد ورمزي بن شيبه وبن عتش رموز القاعدة معهم أحد عشر آخرون كان يتم تحقيقهم داخل بارجة عسكرية أمريكية وينقلون إلى تلك البلاد العربية ثم يعودون بهم مرة أخرى إلى متن البارجة ومن ثم العودة إلى هناك وهلمجرا، انتشر الخبر بين الأسرى وسمعوا ما يجرى من تعذيب في تلك البلاد فاستغلها المحققون لتهديد الأسير بنقله إلى دولة أخرى للتعذيب الشديد إذا لم يعترف ويقولون له نحن أرحم من تلك البلاد وينشر أمامه صور لإخوه عراة وصور إخوه الدماء تسيل منهم لينظر ويستكين، والإخوة التركستانيون كانوا دائمًا يهددون بالنقل إلى الصين وكذلك الجزائريون والمغاربة والتوانسة والليبيون وكانوا يهددونهم بالعودة إلى بلادهم.

في إحدى جلسات التحقيق حاول أحد المحققين الأمريكيين تهديدي بالنقل إلى السودان عرفت بأن المسكين لا يعرف شيئًا عن السودان. قلت له أنا أريد أن أذهب إلى السودان قال لي: ألا يوجد تعذيب عندكم، قلت له: لم أر ولم أسمع عن أي تعذيب لماذا أعذب؟ بعد هذا لم يجرأوا على تهديدي بالنقل إلى السودان. بل حاولوا اغرائي أيام أزمة دارفور بأن أطلب منهم حق اللجوء السياسى. إلى أى دولة حتي يقولوا بأن السودانيين في كوبا طلبوا حق اللجوء السياسى لعدم استقرار السودان ويستغلوا الوضع لصالحهم ولكن بفضل الله خاب مسعاهم ولم يجدوا ما ييغونه طلبت بشده العودة إلى السودان وكان عودًا حميدًا.

سحب بنود الترفيه أو الغذاء بما فيها البنود الدينية :

فكل أسير لديه داخل الزنزانة فرشاة من بلاستيك سمكها ٢ سنتيمتر وطولها متر ونصف أخضر اللون، صابون، معجون، فرشاة أسنان، بطانية، حذاء حمام، منشفة صغيرة ومصحف. والإدارة لها قوانين كثيرة جدًا، إذا خالفت القانون تسحب منك جميع هذه الأغراض والعقوبات تطبق على مستوى الأمر الذي تخالفه، مثلاً إذا تفلت على العسكري تعاقب لمدة شهر وتنقل إلى الزنازين الانفرادية وتسحب منك أغراضك وإذا خرجت إلى ممارسة الرياضة أو التحقيق أو الإستحمام يوضع على فمك كمادة، وإذا رميت العسكري أو غيره بالغايط أو البول تعاقب لمدة شهر أو شهرين ويحلق شاربك ولحيثك وتنقل إلى الزنازين الانفرادية بعد سحب جميع البنود بما فيها القرآن الكريم ويصل إلى أن تسحب منك الفرش وتنام على الحديد ويتم تغيير طعامك إلى شعير، وإذا ضربت العسكري فالعقوبة أشد وأكبر وأما المخالفات الصغيرة تكون عقوبتها لمدة ثلاث إلى خمسة عشر يوم وتسحب منك السجادة التي تصلي عليها والسبحة (كانت تستخدم لتكرار الآيات القرآنية للحفظ) فهم لا يتركون شيئاً يؤذيكم وإلا استعملوه.

الامتناع عن توفير العقاقير الطبية :

كان هذا من الأساليب التي تستعمل من قبل المحققين بالتعاون مع الأطباء، فقد الطب في هذا المكان قيمته الإنسانية وما عاد الأطباء رسل رحمة، كل أسير له ملف طبي من أول دخوله إلى كوبا أي معتقل غوانتانامو وهذا الملف لا يراه الأسير ولا يعرف ما يكتب فيه ولا يعلم حتى نوع الأمراض التي ظهرت له، تحجب عنه كل المعلومات الطبية المتعلقة بصحته.

كان الإخوة يدعون الله أن لا يمرض أحد في هذا المكان فإذا مرضت فأنت في بلاء آخر وعذاب أشد وخاصه إذا جاءك ألم في الكلية أو حصى في مجرى البول أو

الأضرار في فرحة المحقق بذلك فإنه يتركك تتألم وتتولى كالثعبان من شدة الألم من جراء الحصوة ولا تستطيع أن تبول، تطلب العيادة ويتصل العسكري في العيادة مخبراً بأن الأسير رقم كذا يتلوى ويتألم فينظر الطبيب في الملفات إذا وجد أنك من المتعاونين مع المحقق يرسل الفرقة الطبية أو الممرض ويجري لك الفوحصات وأما إذا كنت غير متعاون تترك في مكانك إلى أن يشفيك الله، هذا الأسلوب هو المتبع إذا كنت غير متعاون أو متعاون وكان لك مرض معدى أو مميت فتعالج بالقوى حتى لا تعدى الجنود، ومن يطلب إجراء عملية جراحية في أي موضع من جسده يحضر له ورقة يوقع عليها بالموافقة ويأتون بأطباء تحت التدريب لا يستطيع حتى أن يمسك المقص ويجري لك العملية، أتذكر جاء بجواري أخ أسير يدعى عمران الطائفي (كنيته جندل) من بلاد الحرمين. وجدت إحدى رجليه كانت أقصر من الأخرى، وحين سألته عن أخباره قال لي: أجريت لى أكثر من خمسة عشر عملية، أخذوا عظمة من فخذي ووضعوه في الرجل وبعد شهر جاء طبيب آخر وقال: يجب أن نأخذ عظمة أخرى وبعد شهور فشلت ثم أجريت بعدها عدة عمليات كلها لم تنجح، وفي إحدى العمليات وجدت أن الممرض يريد أن يخدر ظهري ليأخذ عظمة من الكتف أو من مكان آخر، رفضت وخرجت من غرفة العملية وإلى الآن أعاني من قصر في رجلي، ما كان يقوم به الأطباء ما هي إلا تجارب لكسب الخبرة، كنا نرى بعد كل فترة يستبدلون طبيب أسنان بطبيب آخر، إذا أصبت بالآم في الأسنان وذهبت إلى الطبيب ينظر إلى ضررك فيقول: هذا به سوس من الداخل واحتمال يؤثر علي بقية الأضرار ويتفاقم الأمر ويجب عليك أن تخلعه، وإذا طلبت منه أن ينظفه ويحشوه يقول: نحن لا يسمح لنا بالحشوه هنا، فقط مهمتنا الخلع ومن شدة الألم تضطر وتستجيب للخلع ويتم التخدير ويخلع الضرس، وبعد الانتهاء تذهب إلى الزنزانة وتتفاجأ بعد انتهاء مفعول المخدر أن

الذى خلع ضرر آخر سليم غير المطلوب للخلع ماذا تفعل؟ وإلى من تشتكي لغير الله وأنت في زنزانة متر في مترين ولا أحد يسمعك وبعد أيام تعاودك الألم مرة أخرى بشدة ويمنعك النوم والطعام وإذا أستمرو الحال هكذا تذهب وتخلعه ماذا تفعل؟ كثيرون تم خلع أسنانهم السليمة، عندها علمنا سبب توافد أطباء الأسنان واستبدالهم تلو الآخر، كان الغرض منه التدريب وكسب الخبرة كما ذكرت. في أمريكا لا يخلعون الأضراس أو الأسنان بالسهل أبدًا ولا هنالك أناس يذهبون لخلع الاسنان وطبيب الأسنان يتخرج من الجامعة ويعمل في المستشفيات والعيادات لفترة طويلة ولا يخلع ضررًا لأحد، أما هنا فقد وجدوا ضالتهم في الأسرى فنحن في نظرهم لسنا بشرًا، علمت من أحد المترجمين بأن هؤلاء الأطباء يأتون للتدريب ويدفعون مبالغ للعمل هنا وكان هذا سبب استبدالهم المستمر بآخرين لأن مدته في التدريب قد انتهت. أما أطباء العيون فحدث ولا حرج كثير من الأسرى كانت لهم نظارات طبية أخذت منهم واستبدلت بنظارات مدمرة للعيون وكثير من الإخوة ضعف نظرهم وإذا وجدوا علاجًا يكون بنسبة ١٠%.

التهديد بالنقل إلى غوانتانامو:

كان يحدث هذا التهديد في قاعدة قندهار وباغرام قد اكتظ معقل غوانتانامو بالأسرى توقفت عمليات الترحيل إليه، وبعد توقف الترحيل وجدوا أسراهم في هذين المعتقلين في قندهار وباغرام تزداد بالأسرى حتي بلغ الآلاف وأصبحوا يهددونهم بالنقل إلى غوانتانامو خاصة بعد أن ظهر اسمه على المسرح كأشهر معتقل عرفه العالم. أريد أيها القارئ أن أوضح لك حقيقة توصلت إليها بعدة دلائل ذات صلة بهذا العنوان (التهديد والنقل إلى غوانتانامو) فالأمريكان لهم أسلوب ماهر في نشر الشائعات بمعنى أن يفعلوا شيئًا ويريدوا غيره تمامًا، في هذه السنوات السبع التي

قضيتها في هذا المعتقل إدارة المعسكر تشدد وبقوه علي عدم تسرب أي معلومة تخص هذا المعتقل وما يمارس فيه من تعذيب وأهانة وما إلى ذلك حتى هذه اللحظة وفي نفس الوقت يسمحون لبعض الجهات بتسريب أدق المعلومات والممارسات والتقارير المدعمة بالصورة لأسرى عذبوا وانتهكت أعراضهم، ويضيفون في هذه التقارير أساليب أخرى فظيعة لم تطبق بعد، الغرض منها توجيه رسالة إلى الأمة الإسلامية والعربية وخاصة أصحاب الفريضة الغائبة (الجهاد) وكل من تسول له نفسه بالمساس بالمصالح الأمريكية والرعايا الأمريكان في أي بقاع من الأرض فإنما مكانه هنا أي في هذا المعتقل الذي تعرفونه فكل هذا الزخم الإعلامي والتضخيم الصحفي حدث داخل هذه السجون استغللتها دوائر الإعلام الغربي وبعض المنظمات الحقوقية لصالح أمريكا وجعلوا منها ماردا مخيفاً، لا أنهم كل المنظمات والجهات الإعلامية بالتطيل والموالاة للأمريكان بل كان وما يزال هنالك أناس صادقون في الضغط على أمريكا إعلامياً بينما هناك أياد تعمل في الخفاء وتصطاد في المياه العكرة لتخويف المسلمين لذلك كنت أتجنب الحديث عن التعذيب النفسي والجسدي في المعتقل للإعلام وعند البدء في هذا الكتاب وجدت أنه لا بد من ذكر بعض الممارسات والأساليب لأنها أصبحت جزءاً من حياتي التي عشتها، ذكرتها لأوضح للشباب المسلم المجاهد بأن طريق الجهاد محفوف بالمكاره ولا بد من بذل المهج والأرواح ولا بد أن تراق فيه الدماء وأن تأسر وتعذب وأن الصحابة رضوان الله عليهم لاقوا أكثر مما لاقينا وأن هذا الدين لم يأت إلينا إلا بعد أن أراقوا دماءهم الغالية من أجله وصبروا على البلاء وأسأل الله تعالى أن يتقبل من كل مجاهد خرج لإعلاء كلمة الله وكل أسير شيك بشوكة في سبيل الله، وألا يغتر الناس بأمريكا فهي جوفاء من الداخل، وبهذا أكون قد أوضحت لك بعض الممارسات التي كانت تستخدم في غوانتانامو.

الفصل الخامس

✽ العيادة النفسية.

✽ نبذة عن إدارة المعسكر والجنود.

✽ المعسكرات.

✽ المحامون هم الورقة الأخيرة للأمريكان.

✽ حقائق لا يعلمها الكثير.

✽ بعض الرؤى الصادقة والكرامات.

الفصل الخامس

□ العيادات النفسية:

دعني انتقل بك إلى منحى آخر يتعلق بهذا المعسكر ويتمثل في العيادة النفسية، عند دخولنا في معسكر X-ray بغوانتانامو شرعت إدارة المعسكر بإنشاء مستشفى للأمراض النفسية على حسب تكهاناتهم بأن هؤلاء الأسرى لن يستطيعوا على الصبر والصمود داخل هذه الزنازين الصغيرة المصنوعة من الفولاذ وخاصة الزنازين الانفرادية، علاوة على تطبيق أساليب التعذيب الوحشية، تخيلوا بأنهم هؤلاء سوف يصابون بإنهيار نفسي وعصبى لذا شيدوا المستشفى النفسى وجهزوها أحسن تجهيز لاستقبال الأسرى في خلال ثلاثة أشهر من دخولهم المعتقل، مضت ثلاثة أشهر والشهر الرابع والخامس والسادس . . إلخ، تفاجأت إدارة المستشفى واحتارت في أمرها حين لم يحضر أحد ولم يصب بمرض نفسي أو عصبى رغم ما فعل بهم في قندهار ورغم الأسلوب الوحشي الذى كان يصاحب عمليات الترحيل ورغم الشدة والقسوة التي أستمعلت عند وصولهم لغوانتانامو، طوال المدة التي حددت أصبح الأطباء النفسيون يتجولون داخل العنابر مندهشين من هؤلاء الأسرى الذين يعيشون كل هذه الفترة في هذه الغرف الضيقة التي لا تسع رجلاً طوله مترين ولا يصاب أحد منهم بأمراض نفسية أو عصبية ولسان حالهم يقول أي نوع من البشر هؤلاء!! وأي جلد وصبر هذا الذي يحملونه بين جنبيهم!!

بدأت إدارة المعسكر بالتعاون مع العيادة النفسية لوضع خطه ذكية لإدخال هؤلاء الأسرى في المستشفى النفسى حتى يتم تشخيص هؤلاء المجاهدين، فكان أولى الخطوات هي أن يعرفوا مشاكل الأسرى وتم ذلك عن طريق أحد الضباط كانت

مهمته الوحيدة أن يحمل دفترًا أخضرًا ويمر على الأسرى عنبرًا عنبرًا وزنزانة زنزانة ويرافقه أحد المترجمين العرب وأن كان الأسير غير عربي يطلب المترجم حسب لغة الأسير، ويسأله ما هي المشاكل التي تواجهك في هذا المكان؟ ويخبر الأسير بأنه سوف يرفع هذه المشاكل لإدارة المعسكر حتى ينظر فيها ومن ثم يحدد العلاج ويشرع الأسير في سرد مشاكله بنفس طيبه وبنية صادقة، منهم من يخبره بأمراضه ومنهم من يطلب النقل من زنزانة إلى أخرى ومنهم... إلخ، هكذا يمر على جميع الأسرى وبعد الانتهاء يرفع تقاريره إلى العيادة النفسية والإدارة واليوم التالي يتجول في عنبر آخر وهلم جرا لمدة شهر ويعاود الكرّه في الشهر التالي، تقوم إدارة المعسكر والعيادة النفسية بدراسة هذه المشاكل ليس من أجل حلها ولكنها تستخدمها سلاحًا ضدهم فيما بعد، فما كان يقوم به الضباط ليس سوى معرفة مكان الضعف لدى الأسرى حتي يتمكنوا من هزيمتهم فكريًا ونفسيًا بعد أن وجدوا الصمود والثبات لديهم، كثير من الأسرى امتنعوا عن سرد مشاكلهم للضباط ولكن قليل منهم من أخبرهم بنقطة ضعفه واستعملت كعقوبات للجميع نكاية لهم، مثلًا إذا أخبر أحد الأسرى الضباط بأنه مريض بالربو بعد ذلك يسجله الضباط ويسجل رقم زنزانه ورقمه الشخصي ويذهب، وبعدها يصدر من الإدارة الأوامر للعسكر بأن تسكب مادة مطهرة قوية الرائحة في الماء عند نظافة العنبر ليختنق برائحتها المصاب بالربو وغير المصاب حتى يكادوا يفقدوا وعيهم. وبعد أيام يبدأ العسكر في عنبر آخر ويستعملون هذه المادة بكمية كبيرة وصارت أحد الأساليب المتبعة للعقوبة إلى الآن. وإذا قلت لهم بأنك تريد أن تنتقل من زنزانتك إلى أخرى بسبب الصدى الذي يعلو الحديد يسجلها ولا يتم النقل بل تمكث فيها سنة أو أكثر علي الحديد المصدي، وإذا طلبت كتب دينية يؤتى لك بمجلات هابطة وكتب مخالفة لعقيدتك ما من شيء تقوله إلا وتجد عكسه تمامًا وما من شيء تتوقع

منه الخير إلا وتجدر الشر وهكذا. فقد وصلت بهم الوقاحة بأن يأتي العسكري إلى الأسير الذي بدولته قاعدة أمريكية ويخبره بجمال بناتهم اللاتي ضاجعوهن في القاعدة وذلك أستفزازاً لهم ويترك الأسير في حيرة من أمره، مما يجعله يفكر في بنات الإسلام وما حل بهن.

أما العيادة النفسية بعد أن وجدت الكساد في تجارتها اتخذت أساليب لملئ المستشفى حتى لا يخسروا العقاقير النفسية والمخدرات التي جلبت بكميات كبيرة لظنهم بأنه سيكون هناك حالات نفسية كثيرة، وضعوا خططهم وكشروا عن أنيابهم وحصلوا على صلاحيات عالية ليكونوا السبب الأول في جنون الأسير وجعله منهزماً وإليك أساليبهم وإعمالهم القدرة.

يأتي العسكري ومعه المترجم يطلب منك أن تعطيه ملابسك وإذا سألت لماذا؟ يقول لك الطبيب النفسي أمر بذلك لأنه يرى بأنك ربما تشنق نفسك بها، وتحاورهم في غضب مبدئياً أي علامة للرفض يردون عليك: إذن أنت ترفض، تقول له: أنا لست رافضاً ولكن كيف أمكث عرياناً؟ يرد عليك بكل وقاحة، اجلس عرياناً، والعسكر والإخوان من حولك ينظرون إليك وتكون في حيرة من أمرك وتقول وكيف أصلي؟ وكيف أنا؟

وإذا طلبت الطبيب النفسي يقال لك أخلع أولاً ملابسك وسوف نعطيك قميص طويل من البلاستيك تستر به عورتك، وإذا رفضت يخبرون قوه الشغب ليجردوك من ملابسك تماماً ويتم تفتيشك، وكان الأفضل في هذه الحالات أن نخلع ملابسنا دون أن نحتك مع قوة الشغب حتى لا يلمسوا عوراتنا وتخلع في ضيق وتبرم في حالة نفسية سيئة ويأتي الطبيب فقد وجد تجارته رابحة ويسألك أسئلة سخيفة ويقول ما المشكلة؟ ماذا تريد؟ أتريد أن تقتل نفسك؟ أقول له من قال ذلك، يقول: أحسست بأنك غير طبيعي وخشنا أن تفعل شيئاً في نفسك وسوف نعطيك ملابسك

بعد ثلاثة أيام إذ استقرت حالتك، وبعدها نفتح لك ملف في المستشفى النفسي ونتابع حالتك الصحية يذهب ويتركك في صراع نفسى وغضب، وبعد قليل تأتيك الممرضة وهى تحمل معها أدوية من الطبيب النفسي وإذا رفضت تناولها فهذا يدل بأن حالتك صعبة، في نظرهم وتحتاج لمزيد من الجلسات النفسية وبعد ثلاثة أيام تؤخذ إلى المستشفى النفسى وترقد على سرير ويكون بجوارك الطبيب النفسي ومعه ملفك ويسألك ويسجل الإجابات: يسألك مثلاً هل تأكل جيداً؟ هل تنام جيداً؟ هل تريد أن تؤذى نفسك؟ هل ترى احلاماً مفزعة؟ هل تحب نفسك؟ هل تحب جيرانك؟ هل تريد أن تقتل أحداً؟ ويطلب منك أن تخبره بالمشاكل التي تواجهك حتى يساعدك ويقول: سوف أكتب لك علاجات ومهدئات حتى تشفى، تقول له: أنا لست مريضاً، يقول لك ببرود: سوف يتم مراقبتك للتأكد من ذلك عليك فقط تناول العلاج والمهدئات، بعدها تعود إلى العنبر وكل يومين يأتى إليك أطباء نفسيون، وأنت الآن مجنون رسمى في ملفاتهم ولا بد من المتابعة ويصرف لك أنواع مختلفة من المخدرات والمهدئات بكميات كبيرة وفي نفس الوقت يتم تجريب مفعول هذه المهدئات ومدى تأثيرها الداخلي والخارجي حتى يقرر إنزالها في السوق، وهذا هو الأسلوب الذى كان متبعاً في العيادة الطبية حيث يصرف للمريض أدوية جديدة لشركات جديدة بعد أن جربت على هؤلاء الأسرى أنهم كانوا (حقول تجارب).

كان هذا الأسلوب المتبع من قبل العيادة النفسية المرجعية، كان لكل أسير ملف في العيادة النفسية يضعون عليه لمساتهم وحالتهم التي يرونها وإذا حصل شئ للأسير يخرجون ملفه ويقال بأنه كان يعالج من حالات نفسية ويذكرون عدد الجلسات، وكذلك من الأشياء التي يستفيدون منها تلك الأدوية التي تصرف المخدرات وأدوية للتجارة لصالح شركات الأدوية وكذلك تشخيص شريحة من

المجاهدين للوصول لنتيجة مفادها كيف يفكر؟ وفي ماذا يفكر؟ وماذا يتمنى؟ كيف يقاد؟.

هذه هي العيادة النفسية استعملت كأداة في تعذيب الأسرى نفسيًا وهي واحدة من مئات الأساليب التي استخدمت ولا أنسى السحر الذي استخدمه المحققون كان علاجه يتم عن طريق العيادة النفسية وهي بدورها تصرف كميات كبيرة من المخدرات حتي يدمن المريض ولا يستطيع الاستغناء عنها، ومع المحقق كان هذا يحدث لقليل من المرضى وغالبية المرضى كانوا يتخلصون من هذه العقاقير برميها في دورة المياه، وإذا اكتشف الممرض بأن الأسرى يلقون العقاقير، يأمرهم بفتح الفم وتحريك اللسان حتى يرى الدواء قد وصل فمك أم لا، رغم هذا كان يتخلصون لعلمهم بأنها مخدرات، وإن لم تكن كذلك فهي مضره للجسم لسبب واحد وهو عدم حب الخير لنا.

□ نبذة عن إدارة المعسكر والجنود:

معسكر غوانتانامو كان تحت إدارة ثلاث جهات إدارة التحقيق إدارة المعسكر، ويتمثل في الضباط والجنود، إدارة العيادة الطبية والنفسية، ولكل واحد صلاحيات في عمله ولكن دخولهم وخروجهم جميعًا من قبل إدارة المعسكر.

أما من ناحية إداراتهم فالإنسان لا بد أن يعدل في القول والعمل وأنا لا أريد أن أهضم بحق هؤلاء في كل شيء، فهم حقيقة من ناحية الإدارة والتنسيق والتنظيم خاصة في توزيع وترتيب الجنود، لا يوجد مثلهم، ولكن رغم ذلك كان بعض الضباط والجنود يقعون في أخطاء قاتله. الجنود الأمريكيان ٦٠% منهم ليسوا من أصل أمريكي والبقية منهم ضباط أمريكيان صغار في الرتب العسكرية وضباط كبار من ذوي الرتب العسكرية وتحت إدارتهم القواعد والمعسكرات. ومنذ دخولي إلى

غوانتانامو إلى أن خرجت مرّ عليّ جميع وحدات الجيش الأمريكي من بحرية وطيران والنقل والإصلاح والمارينز والمشاة، تمكث كل وحدة ستة أشهر، تنتقل إلى قاعدة أخرى أفغانستان أو العراق الكويت أو قطر أو كوريا الجنوبية... إلخ، وتأتي وحدة أخرى وبكثرة احتكاكنا بالجنود من جميع وحدات الجيش الأمريكي خرجنا بالتأنيج التالية:-

* كثير منهم لا يعلمون أسماء آبائهم وإذا سألتهم أين أمك يقول لك: تربيت في الملجأ.

* بعض منهم عبدة الشياطين.

* بعض منهم شواذ جنسياً.

* والذي يفعلون عمل قوم لوط حدث ولا حرج.

* أغلب المجندات ليس لهن أزواج.

* أغلب الجنود ليس لهم زوجات وإذا سألت لماذا لم تتزوج يرد عليك قائلاً: لماذا أتزوج وحولي الحسنات وأقضي حاجتي هنا وهناك إن كانوا فتياً أو فتياتاً، وإذا سألته في أي شيء تصرف راتبك يقول: للملجأ لأنني لم أسدد ما عليّ وتدربت عندهم، هذه الإجابات ليس لواحد أو اثنين بل أغلبهم.

* وفيهم الجنس الثالث بكثرة أي المخنثين.

* كثير من الجيوش تقاتل من أجل مبادئ وجيوشهم موحدة من جنس واحد، أما هؤلاء، فليس لهم عقيدة ولا وطنية ولا مبادئ يقاتلون من أجلها وكما ذكرت أن ٦٠% من جنودهم ليسوا أمريكيان فقد وجدت جميع الأجناس الهندي، البرازيلي، الكويتي، المكسيكي، الأيرلندي، الإيطالي، النيجري، السنغالي، جميع دول إفريقيا بما فيهم السودان ومصر وجدتهم بالذي الرسمي ولكن ذوي رتب

عاليا فهو لاء يقاثلون ليس حبا في أمريكا إنما حبا للدولار، فولائهم فقط للدولار، أما أمريكا فلتذهب إلى الجحيم، والأمريكان يعلمون ذلك جيدا، لهذا تجد القوات الأمريكية إذا دخلت حربا لا تستخدم قوات المشاة بل الطائرات والصواريخ ودائما تجدهم متحصنين في قواعدهم ولا يخرجون منها إلا في طائرة أو بارجة حربية أو دبابة، والعالم يظن بأنهم أهل بأس وشجاعة ولكن الأمر خلاف ذلك فهم أجبن خلق الله وصدق فيهم قول الله تعالى: ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾^(١) ودائما يظهر قوتهم الزائفة في أفلامهم الخيالية لخداع عقول الأمة الإسلامية والعربية بأنهم ذوي بأس وشده في القتال والعكس صحيح فقد جاء رئيسهم (بوش) بحماقة وكشف المستور ويظن ما حدث في أفغانستان والعراق وبعض الدول عن طريق جيش المشاة، كلا والله فهو لاء لا يخرجون من جحورهم إلا بعد أن تدمر الطائرات والصواريخ وتهدم المساكن وتقتل الأبرياء من النساء والاطفال وتخلو المدن تماما من أي مقاومة، بعد ذلك يخرجون على ظهور مدرعاتهم، ويستعرضون عضلاتهم، ويتم تصويرهم علي هذا الحال وهم يتبخثون في المدينة حاملين أسلحتهم ليبرهنوا للعالمين على أنهم قاتلوا بشراسة وثبات، هل تصدق أيها القارئ فرقة الشغب المكونة من ستة أشخاص عند دخولهم على الأسير في زنزانه بعضا منهم يستخدم (الحفاظات) يلبسها تحت سرواله خوفا من تسرب البول كل هذا من شدة الخوف، وقد أكد لي هذا أكثر من جندي وبعض المترجمين فكيف لهؤلاء أن يثبتوا في ساحات الوغى والشدائد وعلى الأمة الإسلامية ألا يغتر بهم فهم كما وصفت لك أمة خاوية من المبادئ والقيم اجتمعت فيهم جميع أفعال

(١) سورة الحشر الآية (١٤).

الأمم السابقة التي اهلكها الله، والخوف والرعب لا يفارقهم، قال تعالى: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾^(١).

□ المعسكرات:

معسكر () x-ray والمعسكر الأول) و (المعسكر الثاني) و (المعسكر الثالث) و (المعسكر الرابع) و (المعسكر الخامس) و (المعسكر السادس).

يعتبر « x-ray أول معسكر أنشئ في غوانتانامو كنت من أوائل الأسرى الذين دخلوا فيه، وجدنا زنازين قديمة قابعة بين تلال خضراء إما أنشأها الأسبان، وإما أنشأها الأمريكيان في حربهم ضد كوبا. وقد صممت الزنازين التي نزلنا فيها طبق الأصل لتلك القديمة، في خلال شهر ونصف اكتمل المعسكر، وكان بها خمسة عنابر كل عنبر يحتوي على ستين زنزانة ولكل عنبر له اسم ويشار عليه بالحرف الأول من الاسم، أنشئ المعسكر في أرض منخفضة وفي منطقة شبه غابية كثيرة الأمطار والمستنقعات لا يمر يوم إلا وتجد الحيات السامة تدخل الزنازين وكذا الحشرات بأنواعها، وبعد أربعة أشهر ونسبة لتزايد الأسرى وكثرة الهوام بدأوا في إنشاء معسكرات أخرى كبيرة تبعد عن معسكر x-ray خمسة كيلومترات تقريباً وكلها عبارة عن حاويات ضخمة مرتفعة عن الأرض بقواعد خرسانية ضخمة وقد قسمت هذه الحاويات من الداخل إلى عدة زنازين، وكل عنبر يحتوي على ثمانية وأربعين زنزانة وأربعة زنازين للاستحمام وزنازين كبيرة للرياضة وسميت هذه المعسكرات بالمعسكر الأول والثاني والثالث.

المعسكر الأول:

(١) سورة آل عمران الآية رقم (١٥١).

به ثمانية عنابر وعنبر خاص للحبس الإنفرادي سمي INDIA (الهند) وأسماء الثمانية هي ALFA - الفا «برافو - BRAVO» (شارلي - SHARLY) دلنا - DLTA «أيكو - ECOO» (فاكسترا - FACSTRA) (قولف - GOLF) (هوتيل - HOTEL) (هوتال - HOTAL).

المعسكر الثاني:

وبه عنبران للإنفراديات وهي (أوسكار - OSCAR - «نوفمبر - NOVEMBER» والعنابر هي (مايك - MIC) و(ليما - LEMA) و(كيلو - KELO) ويحتوي كل عنبر على ثمانية وأربعين زنزانة كما ذكرت لك ما عدا الإنفراديات، منها التي يحتوي على أربعة وعشرين زنزانة والآخر على ستة وثلاثين زنزانة.

المعسكر الثالث:

كان به عنبران ليس كالإنفراديات ولا العادية محجوبة عن الرؤية تستعمل لأسرى معينين وبها خمسة، عنابر هي عنبر (تانكو - TANGO) و(سيارة - SEARA) وعنبر (روميو - ROMU) و(بابا - PAPA) و(كيوباك - QUBAKE) وكل هذه العنابر تحتوى علي ساحات صغيرة للرياضة وحمامات للغسيل، في خلال هذه السنوات وبسبب عوامل التعرية تهالكت العنابر وكساها الصدأ وكانوا يشرعون في ترميمها وصيانتها كل عام أو عامين ومن المؤسف أن تكاليف الترميم والصيانة كانت تتم على حساب دول عربية ودول إسلامية فقد وجدنا بعض الحديد الذي ينشأ بها العنابر وكذلك مواسير الصرف الصحي عليها شعار دول عربية وإسلامية واسم المصنع الذي صنع فيه لم نستعجب من ذلك لأن العالم انقسم إلى ثلاثة أقسام بعد حادثة سبتمبر ٢٠٠٢م، قسم وقف مع الذين رغمت أنوفهم في التراب وقسم في موقف الحياد وقسم وقف ضدهم وأيد تلك الضربة.

المعسكر الرابع :

بعد سنتين تقريباً بدأوا في إنشاء المعسكر الرابع وهو يختلف عن بقية المعسكراتخصص فقط للمتعاونين في التحقيق ومكاناً لاستدراج آخرين من الأسرى من أجل التعاون وهو السجن الجماعي الوحيد في غوانتانامو به خمسة عنابر عنبر زولو، وسكي، فكتور-يانكى، يونى فورم، كل عنبر بها أربعة غرف وكل غرفة بها عشرة أفراد وحمام واحد والعنابر كلها مفصولة عن بعضها بأسلاك شائكة ويتم فتح وقفل الأبواب فيها آلياً من على البعد من غرف الكنترول وهي عبارة عن برج ضخيم محاط بأسلاك وسط الساحة الرياضية المخصصة للأسرى إذا أرادوا أن يأخذوا أحد الأسرى إلى التحقيق أو العيادة أو المحامي يجب أن يدخل الجميع إلى غرفهم ويوصد عليهم الباب الفولاذى ويقيد الأسير.

هذا المعسكر ضلل به كثير من المنظمات الدولية وانخدع فيه الإعلام، خاصة رجال الصحافة الذين كانوا يأتون زائرين ويصورون بعض الأسرى باللباس الأبيض وهم في جماعات يتحدثون ومن يراهم يظن انهم في راحة وسعادة والأمر في الحقيقة ليس كذلك، فهم فقط في حالة استراحة من التعذيب النفسى حتى يعودا إلى اخوانهم في العنابر الخلفية إذا لم يتعاونوا مع المحققين. المعسكر الرابع ليس سوى مصيدة للحصول علي المعلومات بهذه الطريقة أي بتوفير وسائل الراحة مثل الزنزانة الواسعة وتوفير الطعام والمكوث في شكل جماعات في زنزانة واحدة والخروج لممارسة الرياضة بأنواعها وتغيير ملابسهم من اللون البرتقالى «لون الخطر» إلى اللون الأبيض وتصرف الأوامر للجنود ألا يؤذوا أحداً ولا يستفزوهم بل أن يقابلوهم بالابتسامات المصطنعة. وعدم شد القيد والخشونة في المعاملة وتوفر الأدوية الطبية والسجادات والسبح (كانت تستخدم لتكرار الآيات القرآنية)، هذه الوسائل الترفيهية التي يزعمون أنها من وسائل الراحة المعهودة موجودة في

أدنى سجن في العالم، وضعوا هؤلاء في الواجهة لتضليل الرأي العالمي واقناع الصحافة وجميع وسائل الإعلام الأخرى بانهم مثاليون في التعامل مع هؤلاء ولكن هؤلاء الزائرون لا يدرون بأن هناك أسرى قابعون داخل أقفاص جنوب هذا المعسكر يذوقون صنوفًا من العذاب وألوانًا من الأذى وتفتح عليهم أبواب العذاب كل يوم بعيدًا عن أعين الرقباء من منظمات حقوق الإنسان وغيرها. بعد أن يدخل الأسير في المعسكر الرابع ويتنفس الصعداء ويرى أشياء لم يرها منذ سنوات، من زنزانة واسعة ويخالط أخا لم يره منذ زمن بعيد ويحضن كل واحد أخاه القادم من العنابر ويضمه إلى صدره في شوق وفرحة، وهو لم يكن قد لمس جسم بشر منذ سنوات غير تلك الأيادي القذرة التي تقيده للتعذيب، يحضن الأسير أخاه ويعانقه وعيونه تذرف الدموع ويثير هذا المشهد باقي الأسرى فيشاركونه هذه العاطفة الجياشة ثم يسرد لهم القصص التي حصلت له في معسكره وأخبار إخوانه هناك.

في هذه اللحظات تعيش في مشهد معبر للأخوة الإسلامية والمحبة الصادقة، ترى بقية الأسرى في العنابر المفصولة بالأسلاك الشائكة يلوحون بأيديهم ومنهم من يلوح بالمناشف ومنهم من يلوح بالقميص ابتهاجًا لقدوم أخيه في مشهد أشبه بجماهير واقفين في مدرجات الملعب ورافعين أيديهم بفرحة الهدف الذي أحرز، يتم هذا كله وسط اندهاش الجنود الإمبريكان، والجنود يسألون بعضهم: من يكون هذا؟ لابد أنه قائد كبير في صفوفهم، وإما والده من الأثرياء ويحسبوننها على حسب الماديات التي يعيشونها، في النهاية يتفاجأون بأنه شخص عادى جدًا ومنظره وبدنه النحيل يوحى بأنه من أفقر الفقراء، ولكن ما سر هذا الاستقبال الحافل وهذه الفرحة والمحبة الغامرة؟ أقول: بأنه لا يحس بهذا السر لأنه بعيد عن الإسلام وأنه سوف لن يصل إلى هذا السر إلا بعد أن يتذوق طعم الإيمان وصدق الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى الحبيب المصطفى حين قال: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا».

كذلك قوله ﷺ: «ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى»^(١).

بعد أن يمكث الأسير أيامًا قليلة ويشعر بالمفارقات التي هنا وهناك من حيث المعاملة ويتذوق أنواع الفاكهة ويجد أصدقاءه القدامى، ويجد الفراش الوثير ويشعر بالراحة بعد أن ذاق فراش الحديد والتعب النفسي والجسدي يأتي إليه الجنود حاملين السلاسل لأخذه إلى غرفة التحقيق وهناك يزاح التراب عن المصيده ويقوم المحققون بتهديده بأن يعترف بكل شيء حتى وأن لم يفعل شيئًا كأن يعترف بأنه من أعضاء تنظيم القاعدة وإلا فالعودة إلى تلك الأقفاص الرهيبة، هنا يدخل الأسير في صراع نفسى فهو لم يفعل شيئًا ولا ينتمي لأي حزب فيختار العودة إلى تلك الأماكن التي لا يطيقها بشر، هكذا استخدم هذا المعسكر للاستدراج وانتزاع المعلومات بهذه الطريقة الماكرة الدنيئة هكذا انخدع رجال الإعلام الذى حضروا وشاهدوا المعسكر الرابع وراوا النزلاء بثياب بيض وهم في شكل جماعات، والعجيب أن إدارة المعسكر كانت تدخلهم في غرف مثل غرف الأسرى ويربهم أشياء غير موجودة في غرف الأسرى من وسائل الراحة وما شابه ذلك حتى ينقلها الإعلام للرأي العالمي في الخارج لتحسين صورتهم في نظر العالم، كانوا لا يسمحون للإعلام بمقابلة أي أسير مهما كان وهو من المستحيلات وهؤلاء الزائرون لا يعلمون بأن الأسير لا يمكث إلا شهرًا ويعاد مرة أخرى إلى تلك الأقفاص.

المعسكر الخامس:

أنشئ هذا المعسكر خصيصًا للعقوبات الفردية والجماعية به غرف صغيرة جميعها إنفراديات أبوابها من الفولاذ وغرف أخرى مثلها للتحقيق، هنا تتم

(١) صحيح البخارى.

الممارسات القذرة من استفزازات وتدنيس كتاب الله ويتمركز خارجها قوات الشغب على أهبة الاستعداد في انتظار الأوامر للدخول على الأسير لكسر اضلاعه إذا خالف القوانين التافهة، ومن خبث الإدارة صمموا ساحات للرياضة بطريقة لا ينفذ إليها ضوء الشمس ومساحتها أربعة أمتار في متر ونصف وكذلك الزنازين لا يدخلها ضوء الشمس شمسك هو الإضاءة الجاهرة التي لا تطفأ، الذي يدخل هذا المعسكر لا يخرج منه بسهولة فأن خرج فقد كتب له عمر جديد، يعتبر هذا المعسكر من أشد المعسكرات معاناةً لأسباب كثيرة. أولاً: فالأسير رغم ما كان يجده من معاملة قاسية في الأقفاص الضيقة في المعسكرات الأخرى إلا أنه كان يجد منافذ يدخل منها ضوء الشمس والهواء ويرى بقية الأسرى ويتحدث معهم وأشعة الشمس تغطي على الأضواء في العنابر الإنفرادية في المعسكر الأول والثاني والثالث وتمكث فيه أسبوعاً أو شهراً أو شهرين إلى ستة شهور، أما المعسكر الخامس لا بد أن تمكث فيه سنيناً، ومنذ دخولي غوانتانامو وحتى خروجي منه لم أر مثل هذا المعسكر تعذيباً وانتهاكاً للأعراض، وإدارته منفصلة عن بقية المعسكرات الأخرى.

المعسكر السادس (معسكر أهل اليمن):

لم تتوقف وزارة الدفاع الأمريكية من إنشاء السجون داخل معتقل غوانتانامو في خلال سبعة الأعوام التي مكثت فيها، كان العمل مستمراً في بناء السجون، ليس من أجل التوسعة وراحة الأسرى كما يظن البعض بل للتضييق وتفادي الأخطاء التي حدثت في المعسكرات الأولى فهم لا يقعون في خطأ وإلا يستفيدوا منه والإسراع في إصلاحه كان هذا من الأسباب الرئيسية التي جعلت هذه الأمة في تقدم وتطور. كنا نشاهد ونحن داخل الأقفاص على البعد رافعات ضخمة تعمل والعمال منهمكون في العمل بجهد وحماس كنا نرى الكتل الخرسانية ترتفع وتتحرك فوق

بعضها البعض، بعد مضي شهور تشكلت أمامنا قلعة ضخمة تقف شاهقة وسط التلال الخضراء ترفرف فوق ساريتها علم الولايات المتحدة الأمريكية، يعتبر هذا المعسكر آخر سجن أنشئ وتواترت إلينا الأخبار بأنهم بصدد إنشاء المعسكر السابع لتفادي أخطاء السجن السادس الجديد.

بعد أن أكتمل تمامًا استلم الجنود مواقعهم بدأوا في نقلنا إليه وجدناه قلعة ضخمة أبوابها تفتح وتغلق بواسطة الكهرباء وهي ثمانية الشكل بها ثمانية عنابر والعنبر عبارة عن شكل مثلث به طابق علوي، وأبواب غرف الأسرى من زجاج شفاف قوي لا يمكن تحطيمه تفتح وتغلق بالكهرباء أيضًا، فيما بعد ساوضح لك سبب وضع الزجاج الشفاف القوى وجعله على الأبواب داخل غرف هذه القلعة التي مساحتها متران في ثلاثة أمتار، سرائر من حديد مثبتة على الأرض وجدارها من حديد تحتوى على مغسلة ومرحاض ومرآة مصنوعة من النيكل مثبتة على الجدار وطاولة ومقعد من حديد مثبتان وثقوب كثيرة منتظمة على اليمين واليسار أعلى الغرفة، إحدى الثقوب للتكييف المركزي الذي لا يتوقف أبدًا، والثقوب الأخرى للشفت، وفي أعلى السقف ستة مصابيح اسطوانية طويلة للإنارة تكون هذه المصابيح ساطعة فوق رأسك طوال الوقت.

وتصميم هذا المعسكر بهذا الشكل يدل بأنهم يريدون تضيق الخناق أكثر على الأسرى، في المعسكرات السابقة كانت لنا بعض الحيل للتواصل مع الإخوة المجاورين لتلقي الأخبار وكنا نتنسم رغم صغر زنازينها الهواء ونرى الأشجار والطيور، أما هذا المعسكر صرنا فيه مثل القطعة الأثرية داخل غرف الزجاج بالمتحف لا يوجد حولك سوى الجدار الحديدي وأمامك باب الزجاج، بعد كل نصف دقيقة يمر من أمامك الحارس وينظر ماذا تفعل؟ لا تستطيع التحدث مع أهل العنبر المجاور فأنت محاط بكتل خرسانية تمنعك رؤية ومحادثة جارك إلا من

الفراغ الذي تحت الباب، كنا نرقد بالقرب من الباب لأنه المنفذ الوحيد الذي يدخل منه الهواء ونتحدث مع بعضنا من خلاله، ونقرأ القرآن مع الاخ المجاور ونشد الاناشيد الحماسية، في بادئ الأمر منعنا من الكلام، ولكن بفضل الله استطعنا كسر هذا الحاجز وكثير من الحواجز الأخرى، في هذا العنبر كانوا يستخدمون أساليب مآكره وخبيثه إمعاناً في قهرنا نفسياً وجسدياً ووضعوا في كل زنزانة مرآة كبيرة أعلى المغسلة لينظر الأسير فيها نفسه كل وقت وفي أي وضع قائماً كان أو راقداً بمعنى أن كل حركة يفعلها تنعكس في المرأة ويمكن سنيماً في هذه الإنفراديات ليس معه أحد ولا يتحدث إلا مع خياله ويرى يوماً بعد يوم يزحف الشيب على رأسه ولحيته ويجعله يفكر ويقول في نفسه سائلاً متى يحين الخروج؟ هل سأظل هنا هكذا والأيام تمضي بي؟ ويعيش في صراع نفسي رهيب من جراء هذا الوضع المذري، ولكن بفضل الله تمكنا من التغلب علي مكرهم بأن لم ندع للشيطان والتفكير مجالاً للتسلل إلى عقولنا وذلك بقراءة القرآن الكريم ومدارسته وهو كان خير مؤانس لنا فقد كنا بين فكي عدوين العزلة وأساليب الأمريكان الخبيثة التي تتمثل في تشغيل أجهزة التبريد إلى درجة عالية لمدة طويلة وسحب الأغراض الخاصة بك حتى لا تذوق طعم النوم ناهيك عن لمس الحديد وما به من بروده وبالتالي تنتفخ أرجلك كأنك في ثلاجة، علاوه على الإضاءة القوية المسلطة عليك فهي شمسك، فلا تمر أيام قليلة إلا ويصاب الأسير بمرض الروماتيزم والالتهابات الصدرية.

كان يطلقون على هذا المعسكر معسكر أهل اليمن والسبب في ذلك أن أحد الإخوة من أهل اليمن عندما أكتمل بناء هذا المعسكر رأى في منامه أن علم اليمن ملتصق في جداره فأولت الرؤية بأن هذا المعسكر سيكون مكاناً لليمنيين يمكنون فيه إلى ما شاء الله، فكان كذلك فالآن أكثر الجنسيات في هذا المعسكر هم أهل

اليمن، نسأل الله أن يثبتهم ويفك أسرهم ويرفع درجاتهم. هذا باختصار شديد نبذة عن المعسكرات الموجودة في جزيرة غوانتانامو وتركت التفاصيل الدقيقة عن الممارسات والأساليب الوحشية التي كانت تستخدم لوجه نظر خاصة بي تحتمل الخطأ والصواب، فوجدت من المصلحة عدم ذكر كل شيء لعدة أسباب منها لن أستطيع أن أوصف لك كل الأساليب وأعطيها حقها فهم قد سبقوا الشيطان في التفكير حتى عجز عن الوسوسة لهم.

□ المحامون هم الورقة الأخيرة للأمريكان:

استعملت الولايات المتحدة الأمريكية جميع أوراقها في الحرب ضد المسلمين باسم الإرهاب والمسميات الواهية باستخدام القوة وإرهاب العالم الإسلامي، بما يملكون من إمكانيات وأحسبها ستزول عما قريب بإذن الله تعالى. استخدموا في معتقل غوانتانامو جميع أساليب التعذيب النفسي والجسدي على الأسرى لانتزاع المعلومات والخيوط التي تؤدي إلى الوصول للرجال البواسل الذين نفذوا الهجوم في برج التجارة العالمية في الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م بآت كل محاولتهم للعثور على قيادات تنظيم القاعدة بكل ما يملكون من وسائل تقنية حديثة ولما أعياهم ذلك شرعوا في جمع المعلومات من الأسرى لعلهم يجدون خيوطاً توصلهم إلى أولئك النفر ولكنهم لم يجدوا ما كانوا يبحثون عنه من معلومات، فكروا في الإتصال بجواسيسهم في البلدان العربية وغيرها لكي يتلقوا المعلومات عن هؤلاء الأسرى ولم يجدوا سوى القليل من البيانات العادية بعدها اتجهوا إلى فتح أبواب المعتقل للوفود الحكومية لكي يتصلوا برعاياهم ويتحصلوا منهم المزيد، وتفاجئوا بأن الوفود لم تذودهم بشيء من المعلومات الاستخباراتية الكافية وهذا أن دل إنما يدل أن هؤلاء الأسرى ليسوا مجرمين وليس لهم انتماءات سياسية أو حزبية بل هم مواطنون صالحون في أوطانهم. مع كل هذا لم يصدقوا براءه هؤلاء الأسرى

وفكروا أفكارًا شيطانية خبيثة ولجأوا إلى طريقة ذكية لجلب المعلومات الدقيقة ليس من الحكومات ولا من الاستخبارات بل من أسرة الأسير عن طريق المحامين فالآب والأم إذا جاءهم شخص وقال أنا محامى أبنيكم وسأتولى قضيته لإطلاق سراحه من المعتقل يجد منهم الحماس والمعلومات الصغيرة والكبيرة عن ابنهم وهم يعطونه هذه المعلومات بحسن نية وطيب خاطر دون أي تحفظ وذلك من أجل أن يسعى في إطلاق سراح ابنهم، استغل المحامون هذا الأمر وأخذوا يسألون عن ابنهم وأصدقاء المقربين والدول التي سافر إليها وما إلى ذلك من الأسئلة الدقيقة ليتحصلوا في النهاية إلى معلومات من هؤلاء البسطاء، يبدأ الاتصال بالأسير بأن يأتيه ظرف مختوم عليه عنوان وبيانات المحامى مضمونها، أنا محاميك الخاص وأنا موكل من قبل المحكمة للدفاع عنك وموعد لقائى بك بعد كذا يوم وحضورك ضرورى جدًا لكي أوضح لك بعض المسائل المهمة ومناقشة التهم التي وجهت إليك، كثير من الإخوة كانوا يرفضون مقابلتهم لعلمهم بهذه الخدعة، وتتوالى عليهم الرسائل بضرورة المقابلة، كان بعض الأسرى يذهب لمقابلة المحامى ليعرف ماذا يريد؟ ومنهم من كان يذهب ليحسم هذا العمل الدنيء، ومنهم الذى لا يستلم الرسائل ويرفض بشدة عدم مقابله لأنه يراه أسلوبًا آخر من أساليب انتزاع المعلومات أو أسلوب من أساليب التحقيق الجديدة ومنهم المقتنع بأنه محامى، أنا شخصيًا لم أقتنع بهم ولم اثق فيهم أبدًا وحتى لا أظلم أحدًا كنت احتمل الصدق بنسبة ١٥% وزادنى الشك انهم متواطؤون مع الأمريكان، وذلك عندما ذهب أحد الأسرى لمقابلة المحامى ومكث معه فترة طويلة بعدها سأله الأسير قائلًا: ألم تقل لي في المرة السابقة بأنك سوف تسافر إلى بلدي لمقابلة أسرتي؟ قال المحامى: لم أسافر إلى بلدك ولكن قريبًا سوف أسافر وأقابلهم وأحضر لك رسائل وصور وأنقل لهم اخبارك وعندما حان وقت الانصراف قام المحامى فسقطت منه تحت الطاولة

بين أرجل الأسير صورة من وسط الأوراق رفع الأسير الصورة ودقق النظر وكانت المفاجأة والصدمة أن صاحب الصورة هو شقيقه. قال له الأسير: ألم تقل لي بأنك لم تسافر إلى بلدي ولم تقابل أسرتي، أذن من أين تحصلت على هذه الصورة؟ لم يستطع المحامي الرد وصار يتكلم كلامًا غير مفهوم وقال: أن الإدارة الأمريكية منعني أن أعطيك الصورة، فهم الأسير أن هذا المحامي ما هو إلا عميل للمخابرات الأمريكية ومتعاون مع إدارة المعتقل رجع إلى العنبر وحكى قصته للأسرى، كانت هذه الحادثة مصدر قلق للمتمسكين بمحاميتهم. كنت من ضمن الراضين بشدة لمقابلة الماحمين، ولكن الأخ سامي الحاج مصور قناة الجزيرة لحب الخير لي ولطيبة قلبه أراد مساعدتي بأن قدم لي طلبًا باسمه ووكل محاميًا لي بغير علمي وبعد سنة تقريبًا من تقديم الطلب جاءت إلى محامية تعمل بالحقوق الدستورية في نيويورك تدعى (جيتنا جاليا جتا ريز) قالت: أنها ليست المحامية التي سوف تدافع عني ولكن يوجد محامي آخر يدعى (توماس ديركن Tomas.Durkin) أخبرتنى بأن توماس داركن هذا هو من سيتولى الدفاع عني وقريبًا سوف يسافر إلى السودان هو ومحامي آخر يدعى كلايف سميث وهو محامي الأخ سامي الحاج وذلك لمقابلة الحكومة السودانية للتفاكر معها بشأن الأسرى السودانيين ومن ثم مقابلة أقارب الأسرى أن وجد إذن بذلك مني، وافقت على مضمض لشيء في نفسي وأرسلت رسالة شفوية عن طريقه إلى الحكومة السودانية على لساني ولسان سامي الحاج باتفاق كان بيني وبينه ومضمونها أن يخبر الحكومة السودانية عدم المساومة مع الحكومة الأمريكية بشأن الإفراج عنا. حتى وأن دعا ذلك إلى مكوثنا عشرون سنة أخرى في السجن، فقد عشنا معهم فترة سبعة أعوام وعرفنا مكرهم وخبثهم وهم يعرفون كيف يلعبون لصالح ورقهم. سجلت المحامية كل الذي قلته للحكومة وللأسرى لكي توصلها إلى المحامي

توماس داركن الذى لم أره إلى هذه اللحظة، بعد شهر ونصف جاءني رسالة من أهلي فحواها أن محاميك ومحامى سامي الحاج قد حضرا إلى المنزل ومكثا قرابة الأربع عشرة ساعة، أرسلنا معهما صور ورسائل، فرحت بأنني سوف أرى والدي وإخوتي الذين لم أراهم منذ أحد عشرة سنة انتظرت المحامى لمدة شهر وشهرين لم يات إليّ. ولم يرسل رسالة حينها أرسلت رسالة خطية.

وهذا نص الرسالة:

الأستاذة جيتنا جاليا جتا ريز:

سوف أدخل في الموضوع مباشرة وأتكلم بصراحة بدون مجاملات أخبرتك من قبل في أول جلسة لنا بأنني لا اعترف ولا أقتنع بأي شخص يقول بأنه محامي في كوبا، وخاصة في هذا المعسكر غير القانوني وبعد أن أستغل الأمريكان المحامين لأغراضهم الخاصة في جلب المعلومات من أقارب الأسرى فإذا كنت محامية بصدق فأنت ضحية لعبة كبيرة ولا ذنب لي في طريقة أسلوب في هذه الرسالة ووضعت نفسك في موضع شبه وشكوك من الغير ومن يضع نفسه في موضع شبه فلا يلومن إلا نفسه وأقول هذا الكلام إذا كنت محامية حقيقتة وجئت للدفاع عنا في هذه المقبرة، أما إذا لم تكوني محامية سوف أخبرك لماذا جلست معك أولاً؟ وجدت فرصة حتي يعلم هؤلاء الأمريكان حقيقتي ومن أكون فهم لا يثقون في أحد ولا يصدقون أحداً ولو قال ما قال من الحقيقة حتي يثبتوا من الحقيقة بأنفسهم، لذلك حين دخلت هذا المعتقل أخذت مني جميع المعلومات عن حياتي ولكن لعدم تصديقهم حاولوا أخذ معلومات أخرى إضافية عن طريق الوفد الحكومي وأنا متأكد وواثق جداً بأن الوفد الحكومي لم يضيف شيئاً جديداً ومع ذلك لم يصدقوا أحداً، واخيراً لجأوا إلى حيله أخرى لآخذ المعلومات الخاصة جداً من الأقارب عن طريق المحامين وكما هو معلوم إن الأقارب دائماً يعيشون في لهفة وشوق شديدين

تجاه أبنائهم وترقب أي أخبار عنهم وإذا جاءهم أحد وقال أنا محامي ابنكم سوف يجد التجاوب منهم لإطلاق سراح ابنهم ولعدم فهمهم لما يجري من لعبة سياسية واستغلال المحامين في مسائل غير مشروعة وتوريط السجناء، على العموم حين تأكدت بأن المحامين ليس لهم عمل غير ذلك والبحث عن الشهرة فقط وليس هدفهم إخراج المعتقلين كما يعتقد من يعتقد من الأهالي سمحت لكم بمقابلة أسرتي حتى تتحققوا معهم وتسالوا عني وتأخذوا معلومات حتى يرضى من يرضى ويصدق من يصدق بأنني ليس لي إلا نفسي وأن حياتي في بلدي حياة طبيعية حتى في مقر عملي في بلاد الحرمين إنما بدأت حياتي تتغير هنا في هذه المقبرة. فوجدت أن ذهابكم إلى بلدي ومقابلة أهلي هي الورقة الأخيرة حتى تصدقوا ما قلت لكم عن نفسي ولذلك جلست معكم الجلسة الأولى وكان هذا هو هدفي من ذلك، ثانيًا: حصل منكم أخطاء كثيرة جعلتني أصل إلى هذه النتيجة ولن أخبركم بهذه الأخطاء حتى لا تصلحوها وتستمروا عليها حتى يتبه غيري ويعرف الحقيقة. ثالثًا: هذا هو الأهم، خلاصة كلامي لا تطلبوا زيارتي نهائيًا ولا ترسلوا لي رسائل ولا تذهبوا لزيارة أقاربي أبدًا لأن مهمتكم قد انتهت وقد أرسلت لأهلي رسالة شفوية محذراً لهم بعدم مقابلة أي شخص يقول أنا محامي ابنكم، لقد أصبح لدينا عقد نفسية من هؤلاء المحامين، والمعلومات التي أخذتوها من الأقارب «يمكنكم إعطاؤها المحققين الأمريكان» وكوني على علم سوف يأتي اليوم الذي ينكشف فيه كل شيء وخاصة لعبة المحامين لأن بيع المعلومات وكشف الأسرار أصبح هدفًا لكثير من الناس حتى يظهر في الإعلام ويذكر اسمه في التاريخ باسم «كاشف أسرار محامي كوبا» وإن كنت محامية حقيقة تدافع عن الأبرياء والإنسانية وحقوق الدستور أنصحك فهذا ليس مكانك وحتى لا تلطخي اسمك واسم مؤسستك في هذه اللعبة القدرة عليك أن تنمي وتطوري نفسك في مجال المحاماة في مكان غير هذا

المستنقع إن لم تسقطي فيه أصابتك منه مياه وسخة تشوه صورتك. وفي الختام أقول بأننا ضحايا لعبة سياسية قذرة ومظلومون وإن مسرحية الحياة لم تكتمل بعد ولا بد من مشهود ثان لأننا نرى هنا ظالماً ومظلوماً ولم نجد الإنصاف وغالباً ومغلوباً ولم نجد الإنتقام فلا بد إذن من عالم آخر يتم فيه العدل بإذن الله.

وعلى الفور جاءتني رسالة ولا أدري أين كانت تلك الرسالة ومن كتبها؟ يقول فيها: إن السفر من إيرلندا إلى غوانتانامو صعب لذلك تأخرت عليك وسوف أقابلك قريباً حتى تعلم ما جرى من مقابلات مع الحكومة السودانية وأعطيك الصور والرسائل وأخبار الأسيرة فرفضت مقابلتها وكل الرسائل التي يرسلها بخصوص حضوري ولا أدري أن كان صادقاً أم كاذباً ومن الأسباب التي جعلتني أشك في هؤلاء المحامين ما رواه لنا أحد الإخوة الأسرى من السويد قال: بينما نحن في معتقل قاعدة قندهار بأفغانستان إذ سمعت جنديان من الجيش الأمريكي فوق برج المراقبة يتحدثان يقول الأول سائلاً: لماذا نبقي هؤلاء الأسرى؟ لماذا لا نتخلص منهم بالقتل ونريح أنفسنا؟ رد عليه الآخر يا غبي هؤلاء سوف يترحلون إلى جزيرة في المحيط الاطلسي وسيسجنون هناك ويتم اخراجهم عن طريق المحامين كان هذا الحديث في بداية الأسر، وضعت هذا الكلام في بالي وأتساءل لماذا الخروج عن طريق المحامين؟ هل من أجل أن يثبتوا للعالم عدلهم ومراعاة حقوق الإنسان؟ أم لكي يتحصلوا عن طريق المحامين المعلومات الدقيقة؟ أم فكروا في إنشاء معتقل ضخم شبه مدينة للإرهابيين وتكون هذه المدينة متوفرة فيها. محاكم والمحامين على أن تكون مدينة بعيدة من أمريكا ولا يسري فيها القانون الأمريكي حتى لا يجد الأسرى حقوقاً حينما تنتهك أعراضهم لان الأرض ليست أمريكية تساءلت مع نفسي كثيراً ولم أتوصل إلى إجابة. دور المحامين لم يكن فعالاً في قضايا الأسرى كما يظن البعض بل تحصلوا على منافع شخصية كثيرة تعود إليهم منها الشهرة،

بسبب هؤلاء الأسرى ومنها مقابلة رؤساء الحكومات والتعرف على الوزراء وتكوين صداقات مع رجال الأعمال على أن مكتبه ومؤسسته مفتوحة أمامهم لاستقبالهم وأي مصالح أخرى له في أمريكا ومنها المؤتمرات التي تجلب لهم الشهرة والظهور في القنوات الفضائية العربية ومنها التحريض للمظاهرات السلمية لتقديم مذكرة إلى السفارة الأمريكية بشأن الإفراج عن الأسرى وهم على علم مسبق بأن الإدارة الأمريكية لا تبالي بأحد ولن تفرج أسيراً واحداً قبل أن تحقق معه وتخرج آخر معلومه لديه حتى إذا بلغ مدة الأسر عشرين سنة ولو اجتمعت الدول العربية بأجمعها لإطلاق سراح الأسرى، لأنهم يرونه نوعاً من الضغط والتهديد عليهم فلا يستجيبون لكبر في نفوسهم.

□ حقائق لا يعلمها الكثير:

عزيزي القارئ سمع كثير من الناس ورأى ما يحصل في معتقل غوانتانامو بجزيرة كوبا من تعذيب وهتك للأعراض وإذلال المسلمين نعم حصل كل هذا وأكثر ولكن هؤلاء الفتية الذين آمنوا بربهم لم يهنوا ولم يستكينوا ولم يضعفوا أمام عبدة الشيطان رغم ما بهم من ضغوط، فقد أظهر الأسرى لهؤلاء الحثالة عزة المسلم وإيمانه وقوته وشجاعته وأخلاقيات ومبادئ الإسلام مما أذهل الأمريكان خاصة الجنود الذين بدأوا في التعرف على هذا الدين الذي جهلوه ودخل بعضهم في دين الإسلام ولكن الإدارة الأمريكية أحست بذلك ورأت تغير بعض الجنود ولما كثرت احتكاكهم بالأسرى أصدرت قوانين ولوائح صارمة تمنعهم من التحدث مع الأسرى إلا عن طريق الصراخ في وجههم أو إصدار أوامر لإذلاله وإلا فلا. كانت إدارة المعسكر تجمع الجنود للتحريض على الأسرى وتحضهم على مزيد من الإذلال ويخبرونهم بأنهم أعداء لهم مجرمون قتله، سفاحوا دماء ولا ينبغي معاملتهم باللين والعطف وكانوا يعرضون عليهم مشاهداً من برجى التجارة وهما تحترقان والجثث

بين الانقراض وعندما يرى الجندي هذا المنظر يأتى الشرر يتطاير من عينيه ويفرغ ما به من حقد، كان هذا الأسلوب الذى أتخذته الإدارة من العوائق التى واجهتنا. الأسرى تحملوا الكثير من استفزازات الجنود ورغم ذلك كانوا يخمدون نار الغضب الذى فى صدورهم إن وجدوا الفرصة المناسبة لذلك، ويترتب عليه عقوبات شديدة من جراء فعل الأسير وكانت هذه العقوبات لا يهتم بها الأسير طالما أشفى غليله وأذهب غيظه، كان الأسرى يستخدمون عدة أساليب فى إذلال إدارة المعتقل والجنود معًا وكان أشد هذه الطرق وأقواها أكرمك الله (البول والغائط) ذلك السلاح الذى ازعج الأمريكان وفعلوا المستحيلات وسنوا قوانين ولوائح رادعة ليقفوا تأثير هذا السلاح ولكن دون جدوى. إذن عرف الأسرى قوة وتأثير هذا السلاح وأصبحوا يستخدمونه فى المشاكل الكبيرة والأمور العظام التى تحدث فى المعسكر مثل إهانة القرآن الكريم وتجريد الاخ من ملابسه وشرعوا يستخدمونه فى الأونة الاخيرة لانغه الأسباب وكنا نطلق عليه «السلاح النووى».

وقد أدخل هذا السلاح الرعب فى قلوب الزائرين من البيت الأبيض والضباط والجنود والمترجمين والمحامين وغيرهم. كان الأخ إذا أراد استخدام هذا السلاح يقوم بعده إجراءات وتحضيرات، أولاً: يحدد الهدف إن كان ضابطاً أو جندياً أو مترجماً كان سبباً فى إثارة غضبنا، يطلب من الإخوة الدعاء ويضع «السلاح النووى» فى كوب وقبل أن يصيب الهدف يكون قد وزع مالدیه من أغراض لجيرانه من الأسرى لأن العقوبة عليه ستكون شديدة وسوف تسحب كل ما لديه لمدة شهر حيث سيقضى عقوبته فى الغرف الإنفرادية ويعامل أسوأ معاملة فى النوم على الحديد والزيادة فى ارتفاع برودة جهاز التكيف وقله الطعام وردائه.

وعندما يأتى الهدف يناديه ويتظاهر بأنه يحتاج إلى كذا وكذا والهدف أمام زنارته يستمع إليه وبقيه الأسرى ينتظرون باهتمام وهم مشدودو الأعصاب هنا يرفع الأسير

الكوب الملى ويفاجئ الهدف بسكب ما في الكوب علي وجهه وغالبًا ما يملأ فمه إن كان يتحدث، عندها يرتج العنبر بتكبيرات الأسرى والصياح والضحك والسخرية ولا يباليون أيًا كان الهدف (جنرال - جندي - مجنده - مترجم) يذهب وهو يتخبط لا يرى أمامه لأن عيونه قد امتلأت بالمادة ولا يستطيع أحد أن يلمسه ناهيك من الإقتراب منه وجنود العنبر يوجهوه من على البعد أن يسير يمينًا ويسارًا ويرشدوه عل هذا النحو حيث يخرج من العنبر وينقل إلى المستشفى مباشرة حتى يأخذوا عينة من هذه المادة للفحص وبعدها يذهب إلى الحمام وعلى الفور يأتي جنود من خارج العنبر حاملين السلاسل لأخذ الأسير إلى الغرف الإنفرادية، تحت تكبيرات الأسرى والدعاء له بالثبات والأناشيد الحماسية، ويخرج وهو رافعًا رأسه في عزة، بعدها يأتي الجنود بالمواد المطهرة وخراطيش الماء ويشرعون في تنظيف العنبر، وبما أن الجنود جميعًا ينامون في الثكنات فالخبر ينتشر وسطهم كانتشار النار في الهشيم ويعرف الجميع بأن هذا الهدف قد أخذ نصيبه من (النوى) ويصبح أضحوكة عندهم ويصبح حديث يوم أو يومين وبعد يومين يعود إلى العنابر ويتفق الأسرى فيما بينهم بأن يضعوا أياديهم على أنوفهم وينظرون إليه فيعيش في كآبه نفسية سيئة وأن عاد إلى الثكنات يضحكون ويسخرون منه زملاءه، ويكون بين أمرين أحلاهما مر وبعدها يتأدب ويتعد عن الاستفزاز والتحرش بالإخوه وبعد شهر يخرج الأسير من الغرف الإنفرادية ويعود إلى العنبر ويستقبلونه بالتهليل والتكبير وأناشيد الحماسة أحيانًا يرجع الأسير في نفس العنبر أو عنبر آخر.

كان الجنرال ميلر ذلك اليهودي الخبيث الذي أذاق الأسرى الويل فقد أخذ نصيبه من ذلك «السلاح النووي» ومزیدًا من الثفل والنخامة على وجهه وبعدها نقل إلى العراق في معتقل أبو غريب ليزيق الأسرى الويل هناك في حين أنه كان لا يستطيع أن يرفع عينيه هنا في غوانتانامو، فأخرج بقية حقه في أسرى العراق.

هذا النووي.. حقيقة أدخل الرعب في قلوبهم وقلل من استفزازاتهم فالجندي يدخل العنبر في حذر شديد والجنرال إذا جاء يأتي وهو محاط بالضباط والجنود ولا يقترب من زنزانة الأسير كثيرًا، ففي السنوات الأولى كنا نرى الكثير من الزوار من البيت الأبيض والبتاجون والكونغرس يتجولون بين الزنازين كأنهم يتنزهون في حديقة حيوانات، ويوزعون الابتسامات الساخرة وبعد ظهور النووي.. قلت الزيارات حتى انقطعت أرجلهم عن الزيارات. كنا كثيرًا ما نسمع تكبيرات وتهليلات وأناشيد في العنبر المجاور وبعده ندرك بان أحد الضباط قد ضرب بالنووي.. لأنه أمر الجنود بإهانة كتاب الله ويكون صيدًا لأحد الأسري ويأخذ نصيبه. أما الجنود فقد عاشوا في قلق وحيرة فهو مأمور في تنفيذ الأوامر ولا يستطيع أن يقول للضابط سأتعرض للنووي إذا فعلت ما طلبته مني لأنه حينئذ سيوصف بالجبن للجنود كما تعلمون خاصة المارينز يظهرون قوتهم وشجاعتهم أمام زملائهم فيأتي ويتحرش ويستفز ليراه بقية الجنود وهو على وجل من عمله هذا ويخشى أن يضرب بالنووي في أي لحظة فإن نجا في هذه اللحظة سوف لن ينجو في المرة القادمة، لذلك بعض الجنود يفعل مثل هذا التحرش أمام زملائه فاذا نجا يأتيك المره القادمة بأسلوب جديد كله احترام وتودد ومعاملة طيبة حتى يتدخل بعض الإخوة ويقولون لزملائهم اتركه فقد كفاكم الله شره.

كل هذا وإدارة المعسكر تفكر وتبحث عن حل ناجع لهذا البلاء الذي حل بهم، فالجنود قد اشتكوا كثيرًا ففي كل مرة يصاب أحدهم بالنووي وهو أمر لا يحتمل ففكروا في زيادة العقوبة بما فيه حلق اللحية والشارب والرأس وهم يعلمون تمامًا أن الأسير أكثر ما يغضبه حلق اللحية، وبالفعل قل الضرب بالنووي لفترة قليلة بسبب هذه العقوبة ولكن سرعان ما عاد الجنود إلى ضلالهم القديم وعاد النووي مرة أخرى، كان الجنود يهددون الأسرى بحلق لحاهم بل وصلت الوقاحة إلى

الكذب على الأسير ويدعى بأنه هدد باستعمال النووي عليه، فينقل الأسير وهو مغلوب على أمره إلى الغرف المظلمة تحت تأثير البرودة القاسية وهو مظلوم، وأصبح لهم صلاحية بمعاينة الأسير لاتفه الأسباب وهذا زاد من استخدام الإخوة للنووي بكثرة وبعد أن كان يستخدم مرة أو مرتين في الشهر صار يستخدم في كل أسبوع وتجد الانفجار في أحد العنابر ومشاكل متواصلة، وفرق الشغب إما داخلية أو خارجه منه، بلغ بالجنود الخوف ذروته وانقلبت المعسكرات رأسًا على عقب وامتلات العنابر الانفردية بالأسرى فالنووي مفعوله قد أثر عليهم كثيرًا وصار أمره لا يطاق. هل تصدق أيها القارئ بلغ بالجندى الأمريكى بأن يتعاون مع الأسير ويساعده باستعمال النووي كيف؟! من المعلوم أن الشحنة والبغضاء موجودة في كل مجتمع وخاصة بين اليهود والنصارى بنص القرآن الكريم هذا رأيناه كثيرًا فلولا الأوامر لاقتلوا أماننا فالجندى إذا كان بينه وبين جندى آخر شحنة ولم يستطع أن يضربه أو يشتمه يلجأ إلى الأسرى ويحرضهم بأن هذا الجندى غير جيد وأنه يؤذى إخوانكم في الانفرديات وينبغي استخدام النووي ضده وأنا مستعد للمساعدة بأن أحضر الأكواب لكم وأنا شخصيًا ستكون معاملتى جيدة معكم بشرط ألا تخبروا أحدًا من الضباط وغيرهم بأنى معكم، فالإخوة لا يظلمون أحدًا إن كان ذاك الجندى معاملته طيبة لا يستعمل ضده النووي بهذه الحيلة يستطيع أن يشفي غليله من زميله ويكون الأسير يده التي يضرب بها ولسانه الذى يشتم به.

عندما أحست إدارة المعسكر بخطورة هذا السلاح وأنه أصبح مصدر قلق للجنود والضباط وكبار الزوار، لذا لجأت إلى أساليب جديدة للحد من استخدامه وذلك بأن أعادوا صيانة عنبرين كاملين يسعان ثمانية وأربعين زنزانة، وضعوا زجاج على الأبواب والنوافذ والجانب الأيمن والأيسر، بحيث يمكن الأسير في زنزانة من زجاج وبهذا لا يستطيع استخدام السلاح. ولهذا السبب وضعوا الزجاج على أبواب

الزنازين في المعسكر السادس كما أوضحت لك سابقًا. حقيقة هذه الطريقة قلصت من استخدامه ولكن الإخوة لم يتوقفوا تمامًا، لأن عناصر الزجاج عنبرين فقط من عشرين عنبرًا، فالأسرى في العشرين عنبر لم يتوقفوا فالذى يستعمل النووي ينتقل إلى عنبر الزجاج ويقضى عقوبته ثم يخرج، لجأت إدارة المعسكر إلى حيلة ثانية بأن وجهوا الجنود الخبثاء للعمل في عناصر الزجاج، وأعطت أوامر للجنود الذين يعملون في العناصر الخالية من الزجاج عدم الاستفزاز والإهانة ولكن هذه الطريقة هى الأخرى أيضًا لم تجدي بسبب البغضاء والشحناء التي بين الجنود، جاء أحد الجنود لأخ من بلاد الحرمين (حفظه الله) في عنبر الزجاج وقال له: أريد منك أن تستعمله على أحد الجنود وأنا أعلم أن الوضع هنا صعب لذلك سوف أعطيك كوب فارغ لتجهزه فيه وسوف أفتح لك النافذة الخاصة بالطعام بحيث لا يرى إنها مفتوحة، إذا جاء الجندي أدفع النافذة والقي عليه مافى الكوب وبالفعل تمت العملية بنجاح وكان هذا الجندي الذى أصابه النووي مطلوبًا مبعوضًا من قبل الإخوة الأسرى لأنه أذى الكثيرين منهم. وإذا حصلت مشكلة كبيرة في عناصر الزجاج ولم يجد الإخوة طريقة لاستخدام النووي يتفق أغلب الإخوة ويخرجون المادة عبر فتحة الباب بعد تذويبها بالماء حتى يسهل خروجها ويملاً وسط العنبر وتتفاجأ الإدارة والجنود ولا يستطيعون التحرك داخل العنبر كنا نفعل ذلك لنكسر أنفهم وكبرياءهم ويسرع الجنود في نظافة العنبر والضحكات تتعالى عليهم ونقول لهم: اغسل هنا جيدًا يا أمريكي وإن كنت جائعًا فهو أفضل طعام لك ونسخر منهم وهذا مما يملأ نفسه حنقًا وحقًا ويتم معاقبتنا عقابًا شديدًا، فكرنا في ترك هذه الأفعال ولكن وجدنا أن الأمريكيان لا يتوقفوا عن غيهم إلا بالضرب إن تركتهم لا يتركونك والأفضل أن نشغلهم حتى يخف أذاهم عنا.

أنا شخصيًا استخدمت النووي مرة واحدة فقط وكان هذا بسبب أحد الرقباء الأميركيين الخبيثاء فقد كذب على أحد الإخوة ويدعى (ماهر الفلسطيني) وقال «إنه هدده بضربه بالنووي» والاخ أصلاً لم يهدده ولكن الرقيب أراد معاقبته بأي طريقة وكتب التقرير بذلك ونقل الفلسطيني إلى الغرف الإنفرادية للعقاب، غضب الأخوة من هذا التصرف وكانوا يخشون إذا تكلموا أو اعترضوا تكتب عنهم تقارير وينقلون إلى الإنفراديات بغير سبب، وهذا الرقيب حقيقة أذى أسرى كثيرين وكانت له صلاحيات يمارسها لأن أحد الضباط كان إما صديقه أو من ذوى قرباه لذلك كان يستفز الأخوة، كان ضخم الجثة ومكروه بين الجنود.

شاهد الإخوة أخاهم الفلسطيني في شيء من الحزن والشفقة وهو ذاهب إلى العقوبة من غير ذنب والرقيب يتجول رافعاً رأسه في تيه ومستمتعاً بنشوة النصر على هذا المسكين ولسان حاله يقول: من الذي يجراً على تهديدي؟ من الذي يستطيع أن يرفع عينيه عليّ؟ والأخوة في هذه الأيام كانوا يريدون الهدوء ولا يريدون التحرشات والمشاكل لأن الكثير منهم كانوا يريدون أن يكملوا حفظ كتاب الله قلت في نفسي: لا بد لي أن ألقن هذا الرقيب درساً لن ينساه في حياته ولم أضع في حسابي عاقبة ما سأقوم به لذا قررت استخدام النووي واستخرت الله أولاً ثم تجهزت ولم أخبر أحداً بذلك إلا جاري وهو من بلاد الحرمين من مدينة القصيم وسلمته الرسائل والأشياء الخاصة بي لأنها سوف تصدر إذا ذهبت إلى الغرف الإنفرادية كما أخبرت اليمني الذي كان زنزانته تواجهني أمرته أن يتعد ويلف فراشه وأشياءه ويجلس في ركن قصي كان الإخوة مشفقون علي من العقوبة الشديدة ويقولون لي لا تستعمل النووي لا يوجد (زول)^(١) سوداني غيرك في هذا العنبر

(١) زول: في اللغة العربية بمعنى شخص.

يخبرنا عن السودان وأنهاره ومعالمه، كانوا يحبوني في الله ويقولون لي: إن فعلت هذا ستنتقل إلى مكان آخر وتغيب عنا سنينًا واحتمال لن نراك إلى الأبد إلا إذا شاء الله. هذان اثنان ممن كانا يعرفان ما أنوي فعله فكيف سيكون الحال إن عرف بقية الإخوة البالغ عددهم ثمانية وأربعين أخًا، من أجل ذلك طلبت منهما كتم هذا السر. غاب الرقيب بعد خروج الفلسطينيين مباشرة حتى يهدأ العنبر، عاد إلى العنبر مرة أخرى خوفًا من أن يتهمه زملاءه بالجبن، جاء حذرًا وهو يعلم أنه مستهدف ولكنه في نفس الوقت يساوره الشك بأن أحدًا لن يجرؤ عليه وهو ينتفخ ويقول في قرار نفسه: أنا الذي يخشاني الجنود وهؤلاء أسرى تحت رحمتي، طلبت من الإخوة ألا يسبوه حتى لا يشعروه بأنه مستهدف، طلبت منهم أن يعطوه الأمان، دخل إلى العنبر وخرج منه ثم دخل وخرج، وتيقن تمامًا بأن هؤلاء الأسرى قد خافوا وأن أحدًا لن يجرأ علي النيل منه.

رأيتة مقبلًا نحوي، طلبت من جيرانني واليمني أن يأخذا حذرهما من هذا النووي الذي سيقرب الأمور رأسًا على عقب، أوقفته وقلت له: الجنود لم يأخذوا بقيه طعام الغداء، أريد منك أن تفتح نافذة الطعام، فتح النافذة ليأخذ الطعام، أعطيته وقبل أن يغلق النافذة قلت له عندي قوارير ماء وكان لديّ منها ستة قوارير وكنت أتدرب بها كرفع الأثقال وستة كاسات أخرى فارغة مع الكأس المليء بالنووي، أعطيته قارورة الماء الأولى الثانية والثالثة والرابعة وهو يستغرب ثم أردفته بالخامسة والسادسة حتى أمثلأت يده وهو مندهش كيف تحصلت على كل هذا، ومن المعلوم أن الذي يملك أكثر من حاجته يعاقب وأنا لم أفكر في هذه العقوبة لأن العقوبة القادمة أكبر وأشد منها بكثير، أعطيته كل هذه القوارير الفارغة ووصديقي من بلاد الحرمين واليمني ينظران في حذر وترقب وبقيّة الإخوة يخيم عليهم القلق مما سيحدث، عندما همّ أن يغلق النافذة أخرجت الكوب المليء بالنووي وقذفته

بقوة على وجهه، سال بعضها على رقبته وبعضها التصق بالسقف وظل يتساقط على رأسه، أطلق صرخة مدوية وولى هاربًا، هنا تعالت التكبيرات والضحك والسخرية على الرقيب وهو مطاطئ الرأس في حالة يرثى لها، خرج ليعمل فحوصات ما أن خرج الرقيب حتى توافد عليّ الجنود يهتفون رافعين أيديهم بعلامة النصر منهم من أدخل يده في الزنزانة يحييني بحرارة ومنهم الذي يشير عليّ بعلامة (OK)^(١) (good) ومنهم من كان يتمنى أن يدخل عليّ في الزنزانة ليشكرني، كل من يمر أمامي من الجنود يتسم في وجهي، أخبرتهم بأن يبلغوا إخوانهم الجنود بأن النووي سوف يستخدم أيضًا على الذي يكذب على الأسرى وأن يبلغ الحاضر الغائب كان هذا التصرف المتمثل في السعادة والفرحة للجنود مفاجأة بالنسبة لي وبيدوا أنهم كانوا أيضًا غاضبين عليه ولكنهم مغلوبون على أمرهم وخاصة هو قائدهم. جاءت المجموعة التي سوف تأخذني إلى الغرف الإنفرادية كانت معاملتهم تختلف عن المعهود من شدة في القيد وغيرها، أحسست أنهم في سعادة مما فعلته في الرقيب، عند خروجي رأيت في وجوه الإخوة الفرح والسعادة يخالطه نوع من الحزن والإشفاق لأنى مفارقهم، خرجت والتكبيرات المتواصلة تهز أركان العنبر والدعوات بالثبات والحفظ تتوالى عليّ، حين وصلت البوابة الخارجية وجدت مجموعة كبيرة من الجنود يخيم عليهم الصمت ولولا وجود المسؤولين وكبار الضباط لأظهروا سعادتهم. ووجدت في الغرف الإنفرادية المعاملة مختلفة تمامًا ولم أحس بأنني في الغرف الإنفرادية إلى أن خرجت منها والحمد لله. بعد شهر خرجت من الإنفرادى وعدت إلى زنزانتى وعبارات الترحيب والثناء تنهال عليّ من كل صوب وحذب من الإخوة والجنود، بعد أيام جاءني الرقيب وقد ارتسمت على

(١) OK: الإشارة بالابهام تفيد الايجاب والقبول وهى مصطلح غير عربى.

وجهه ابتسامة عريضة وحياني علمت من الإخوة بأنه أصبح من أفضل الجنود في معاملة الأسرى، هكذا كنا نأدبهم بالنووي.

أما المجندات الأمريكيات فقد أخذن نصيبهن من النووي بما فيه الكفاية بسبب إغرائهن للشباب، كان بعضًا منهن يخلعن السترة العسكرية وتبقى بالملابس الداخلية بحجة أنها تريد نظافة العنبر والشباب في مرحلة حرجة من الأعمار ما بين ثمانية عشر إلى ستة عشرون سنة، هنا يتبرع أحد ويستخير الله ويطفى هذا النار بالنووي يضرب به على وجه المجنده حتى ترعب ولا تحاول مرة ثانية إفساد هؤلاء الشباب، كان منهن من تخصص في تفتيش الزنازين وأخذ الأغراض الصغيرة لكي تثبت للجنود بأنها قادرة على هؤلاء الأسرى كان كثير منهن يتحرشن بالإخوة في الطريق وهم ذاهبون إلى التحقيق أو العيادة وهي أما أن تكون مأمورة وإما أن تكون خبيثة في نفسها، وكان الحل لكل هذا، إما النووي أو التفل في الوجه - أكرمك الله -.

ومن الأسلحة الفتاكة التي كان يستخدمها الأسرى التفل والنخامة حتى صار هذا السلاح من أكثر الأسلحة استخدامًا، فالجندي تفل على وجه يمسح النخامة من وجه ويستمر في الاستفزاز، وما من جنرال أمريكي في غوانتانامو إلا وأخذ نصيبه من التفل إلا القليل وكذلك المحققون لأن التفل لا يحتاج إلى تحضير وكان هذا هو السلاح الوحيد الذي لم يستطيعوا أن يحدوا من خطورته، تستطيع أن تستخدمه وأنت مقيد في السلاسل أمام المحقق أو الطبيب أو المحامي، لذا لجأوا إلى وضع كمامة على أنف وفم الأسير لمدة شهر عقابًا له إذا تفل على وجه أحد من الضباط أو المحققين أو الجنود وغيرهم، ولله در الإخوة من بلاد الحرمين والإخوة اليمينين والإخوة من بلاد المغرب العربي فقد أجبروا المجندات في احترام أنفسهن، كثير منهن ييكن بعد التعرض للنووي والتفل وإذا جاءت في المرة القادمة لاتستطيع أن ترفع عينها على الإخوة.

ومن الأسلحة الأخرى الضرب بالرأس وكان هذا يستخدم في حالة أن يكون الأسير مقيّدًا ويشرع الجندي في تفتيش جسده بخبث ويحاول أن يلمس الأماكن الحساسة كالعورة عندها يضرب الأسير الجندي برأسه حتى يكاد يفقده وعيه، عندئذ يجتمع عليك ثلة من جنود آخرين ويلقونك على الأرض كما يلقي الثور ويجلسون على صدرك ويوسعونك باللطم والركل والضرب وكان هذا أشد أنواع العقوبات على الأسير لأن هذا العقاب كان غالبًا ما يؤدي إلى عاهات مستديمة وتشوهات وأحيانًا إلى موت الأسير بأيديهم، لذلك كانوا حريصين أشد الحرص بأن لا يكون في المعسكر أي سلاح سواء كان سلاحًا أبيضًا أو ناريًا، وكانوا يقومون بالتفتيش اليومي للزنايات خوفًا من مثل هذه الأسلحة البيضاء مثل قطعات الحديد أو الحجارة أو أي أشياء حادة، أخطر سلاح كان في أيدينا هي المعالق البلاستيكية التي تأتي مع الوجبات الثلاث، كانوا يأخذونها قبل الصبحون البلاستيكية من شدة الخوف. وإذا حقد جندي على أحد الأسرى يقوم بوضع معلقة بلاستيكية في زنارته ويبلغ عنه فرقة الشغب، تأتي فرقة مكافحة الشغب وتدخل على الأسير وبعد التفتيش يجدون المعلقة مخبأة في مكان ما، ينقل الأسير إلى التحقيق ويسأل: لماذا خبأت المعلقة؟ وأي الجنود تريد أن تصيب عينه؟ مهما تحاول أن تبرئ نفسك فأنت كاذب في نظرهم فتنقل إلى الحبس الإنفرادي، أما الجندي الذي لفق إليك التهمة فهو يعتبر جنديًا مثاليًا عند المسؤولين وأنه من الحريصين على أمن المعسكر ولكن مثل هذا الجندي لا يستطيع الإفلات من عقوبة الإخوة مهما طال الزمن أو قصر ولا بد أن يتبرع أحد الإخوة للانتقام لأخيه كالذي فعلته مع الرقيب الذي كذب على الأخ الفلسطيني.

ومن الطرق التي كنا نستخدمها هو سحب يد الجندي لكسرهما، كان يحصل هذا كثيرًا إذا فعل الجنود شيئًا مع الأسير وهو في القيد، يصمد الأسير أمام ما يفعله

الجندي ويضمّر ذلك في نفسه حتي يدخل الزنزانة، وأثناء فك القيد يسحب السلاسل إلى الداخل بقوة، كثير من الجنود كانوا يخشون من هذا الفعل لذلك كنا نرى أيديهم ترتجف عند فك القيد، كانت نفسياتهم منهارة، كنا نهدهم بالقتل وترتعد فرائصهم خوفاً من هذا التهديد يأتي أحدهم إليك ويقول أنا لم أفعل شيئاً لماذا تهددني بالقتل؟، يقول لك وأنت داخل الزنزانة، سبحان الله مقلب الأمور! فقد صار القوي تحت رحمة الضعيف وأخذ يستعطف من هو أحق بالعطف. إذا أردنا إثارة أعصابهم نقول لهم: لا تتكبر علينا وتستعرض عضلاتك فان كنت شجاعاً فأذهب إلى العراق وأظهر عضلاتك هناك (للزرقاوي)^(١) كنا نقول هذا حتى لكبار الجنرالات وبل أشد من هذا أمام جنودهم، أغلب الجنود كانوا يعانون من غياب مركب لا يحسنون التصرف ويقعون في أخطاء قاتلة كأن يترك قفل الزنزانة مفتوحاً حينئذ كنا نأدب الجندي بطريقة أخرى كنا نطلب المترجم ونقول له نريد أحد الضباط لنبلغه بمشكلة كبيرة في هذا العنبر، والجندي لا يعرف أن الأمر يخصه وأنه سيفتح عليه بعد قليل نار جهنم، يحضر الضابط رافعاً أنفه في كبر وخيلاء ويسأل: ماذا تريد؟ يرد عليه أحد نيابة عن الآخرين ويخبره بأن هذا الجندي غبي ولا يهتم بالحراسه جيداً ودائماً يترك الحراسة ويجلس مع المجندات والفتيات وقفل الباب مفتوح، هنا يرتبك الضابط وتدور عينيه وينظر أولاً إلى زنزانة المتحدث ويسأل باهتمام أي الزنازين مفتوحة؟ إذا كان الأسير المتحدث يريد إهانة الضابط يقول له: ابحث بنفسك أو أسأل هذا الجندي الغبي أي الغرف تركها مفتوحة، يبحث الضابط والجنود والمترجم عن الزنزانة المفتوحة، في خوف ووجل وعندما يصابوا بالخيبة في العثور علي الغرفة المفتوحة يقول الأسير المتحدث: الزنزانة رقم كذا ويتفاجأون بذلك ولا يستطيع الجندي الدفاع عن نفسه ويعاقب عقوبة إدارية قاسية كان

(١) الزرقاوي: احد قادة تنظيم القاعدة الذي ازاح القوات الامريكية الامرين ببلاد الرافدين.

يحدث مثل هذا كثيرًا، أنا شخصيًا وجدت ما لا يقل عن ستة زنازين مفتوحة بداخلها الأسير في فترات مختلفة إذا كان الجندى حسن المعاملة مع الأسرى نستره وإن كان من الخبثاء نبلف عنه الإدارة ونضحك على غيابه.

□ بعض الرؤى الصادقة والكرامات:

حقائق كثيرة وصفات غريبة لا أستطيع سردها لأن المقام لا يسعني، نكتفي بهذا القدر، فالإخوة رغم الأسر وألوان العذاب وصنوف الإهانات ضربوا أروع الأمثال لعزة المسلم، كنا نستشعر معية الله وعظمته ونعمة ورحمته ولطفه علينا خاصة بعد أن صرح رئيسهم الأحق (بوش الصغير) حين قال: «أن رحمهم ربهم لن أرحمهم» وذلك عند أول دخولنا لمعتقل غوانتانامو أبي الله ﷺ إلا أن ينزل علينا رحمته ولطفه نرى أساليبهم في التعذيب كانت تنزل علينا بردًا وسلامًا وهم يرون أنها لا توجد مثلها، وكان من نعم الله علينا الرؤى الصادقة التي كنا نراها في المنام خاصة الحبيب (المصطفى ﷺ)، كان يأتي في المنام ويصبر الإخوة ويحثهم على الثبات وكثير منهم من كان يرى سيدنا موسى ﷺ وسيدنا عيسى ﷺ ومنهم من كان يرى الصحابة رضوان الله عليهم، ومنهم من رأى نفسه يخرج من هذا المعتقل ويقتل ومنهم من كان يرى أنهيار أمريكا وإليك طرفًا من هذه الرؤى الصادقة.

رأى.. أحد الإخوة في منامة سفينة ضخمة في عرض البحر تغرق وتحيط بها عدة سفن صغيرة أما أنها كانت تأخذ منها أشياء قبل أن تغرق وأما أنها كانت تمد لها يد العون حتى لا تغرق، أولها أحد الأخوة وقال: (إن السفينة الضخمة هي أمريكا وغرقها هي أنهيارها وأما السفن الصغيرة هي الدول الموالية لها حين أحست بإنهيارها، شرعت تسحب مصالحها منها أو أخذت تمدها بالعون لإنقاذها حتى لا تفقدها وتفقد مصالحها، ولكن لم يفلحوا في محاولتهم لإنقاذها يمكن أنقاذه).

أما الرؤية الثانية . فقد رآها أحد الإخوة البوسنيين من أصل جزائري، كان هذا الأخ من أكثر الناس رؤية للنبي (ﷺ)، لا يمر شهر إلا ويرى النبي (ﷺ)، قبل خروجي بسنه قابلناه أنا وسامي الحاج مصور قناة الجزيرة في الساحة الرياضية سألناه عن آخر الرؤى فقال: رأيت رؤية عجيبة ثم سألت: هل لديكم كاتب روائي سوداني اسمه الطيب صالح قلنا له: نعم، قال: رأيت الرسول (ﷺ) يقف فوق قبر من القبور ويمسك بمعول. قلت له يا رسول الله ماذا تريد ان تفعل بهذا المعول؟ قال: أريد أن أعيد دفن والدته الطيب صالح وصرت أساعده في ذلك، انتهى). الرؤية تحتمل النقص لأن الزمن طال ولا أدري أن كانت الرؤية خاصة بأسرة الكاتب الطيب صالح أم يرمز بها إلى السودان، نسأل الله أن يهدي عباده للحق أما الرؤية الثالثة:

فهي خاصة بي وقد رآها أحد الإخوة المغاربة (سعيد بوجعدية) قبل خروجي من الأسر بشهر وكانت بشارة بخروجي قال لي: يازول رأيتك في رؤية مبشرة قلت: له خيرًا إن شاء الله، قال بينما أنا جالس في زنزانتى وأنت معي في الزنزانة دخل علينا رئيس السودان عمر البشير ومعه أثنان من الحراس وسألنى: أين وليد السودان؟ قلت له ها هو معى بالداخل ماذا تريد منه؟ قال جئت لأخذه معى. قال المغربي خرجت أنت يا وليد وسلمت عليه ثم قلت للرئيس أريد ان أذهب معكم إلى السودان فقال الرئيس: مرحبًا بك ولكن هذه الأيام الحرارة مرتفعة عندنا في السودان، انتظر حتى يبرد الجو). إنتهى.

ولم تمر أيام وجاء الوفد الحكومي السوداني وتم فك أسرنا بعدها بأيام قليلة أنا وسامي الحاج (مصور قناة الجزيرة) وأمير يعقوب والمغربي نفسه نزلنا بمطار الخرطوم. الرؤى كثيرة جدًا وإن وجدت فرصه سوف أجمعها من أصحابها وأجعل لها كتابًا باسم (رؤى غوانتانامو). وأنشرها إن شاء الله.

والكرامات التي حصلت للإخوة من غيري والرؤى كثيرة وأروي لك بعضاً منها،
 منها أخ في الغرفة الإنفرادية بلغ به الجوع مبلغاً عظيماً علاوة على المعاملة القاسية
 وبرنامج التجويع المطبق عليه، دعا هذا الأخ وتمنى من الله تعالى أن يرزقه بأشهى
 أنواع الطعام وفي لحظات فتح الحارس نافذة الزنزانة وناولته الطعام ومنها. أن أحد
 الإخوة رأى في منتصف الليل من النافذة عموداً من نور نازلاً من السماء في أحد
 الزنازين وعمل جاهداً لمعرفة زنزانة من كان ولكنه لم يفلح، ومنها ما رواه لي ياسر
 الزهراني الذي كتبت عنه في وسط الكتاب قال لي: كنت مضرباً عن الطعام
 ورفضت أخذ أنبوبة التغذية جاءت فرقة الشغب ووقفوا أمام زنزانتى لغرز الأنبوب
 بالقوة، هنا دعوت الله وقلت: اللهم أكفينى شرهم بما شئت، رجعوا ولا أدري لما
 ذهبوا؟ وبعد قليل جاء الضابط وتكلم معي لكي آخذ الأنبوب، رفضت خرج وجاء
 بفرقة الشغب مرة أخرى، دعوت الله قائلاً اللهم اكفينى شرهم بما شئت، فلم
 يستطيعوا الدخول عليّ وهكذا استمرت هذه الحالة إلى زمن طويل، ادعوا الله
 تعالى ورجعوا صاغرين خائبين وأخيراً وجدوا أن الأمر لا يحتمل وقال: يجب أن
 يأكل الأسير فهو لم يأخذ الأنبوب منذ أيام، يقول الأخ ياسر الزهراني: دخلوا
 عليّ برفق ولين ومعاملة حسنة ووضعوا الأنبوب.

هكذا عشنا حياة قاسية كلها معاناه وتعب في سبيل عزة الإسلام والمسلمين لا
 نبغى من وراء ذلك سمعة ولا رياء، إنما جعلناها خالصة لوجه الله تعالى فكان
 قدوتنا ورائدنا في كل أقوالنا وأفعالنا الحبيب المصطفى ﷺ. وأصحابه الغر
 المحجلين الذي حملوا راية الإسلام وقدموا أنفسهم فداء وتضحية في سبيل نشره في
 أرجاء المعمورة. فما عانيناه في سبيل الإسلام لا يساوى شيئاً أمام ما عانوه وما ذاقوه
 من ألوان العذاب فطوبى لهم وحسن مآب وأسأل الله تعالى أن يتقبل عملنا هذا
 ويجعله في ميزان حسناتنا يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

الفصل السادس

✽ الخاتمة.

✽ الأشعار.

✽ المصادر والمراجع.

الفصل السادس

□ الخاتمة:

تلك كانت تجربتي مع الأمريكان ومن حالفهم منذ أن وطأت قدمي أرض الجهاد والصمود أفغانستان ومن بعدها غياهب معتقل غوانتانامو سيئ الذكر وقد خلصت من هذه التجربة إلى عدة حقائق منها:

* إن الهجمة التي قادتها أمريكا ومن حالفها ضد ما يسمى محاربة الإرهاب في شتى بقاع العالم الإسلامي والعربي وخاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م ما هي إلا ذريعة لاستهداف العالم الإسلامي والعربي وكسر شوكة حتى لا تقوم لها قائمة، هذه القوة التي يعملون لها ألف حساب.

* إن أمريكا ومن حالفها لا تسعى إلا لتحقيق مآربها على حساب الأنظمة العربية والإسلامية الضعيفة وذلك ببسط سيطرتها على موارد هذه البلاد وبناء قواعد لحماية مناطق نفوذها الحيوية والعسكرية والإستراتيجية والأقتصادية ولعمري أن هذا الاستعمار أقتصادى جديد من نوعه.

* إن أمريكا ومن حالفها تسعى بشتى الوسائل إلى تنصيب حكومات ضعيفة موالية لها، تحركها كقطع الشطرنج تلبي لها رغباتها وتنفذ لها أجندتها الخفية.

* تسعى إلى نشر ثقافات الفاسدة عبر وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة لصرف أنظار الشباب المسلم عن الجهاد وإلهائه عن التمسك بدينه الحنيف وإنها والله لأخطر أنواع الاستعمار هذا الغزو الثقافى والاستلاب الفكرى، فالأمة الإسلامية مستهدفة بواسطة هذه القنوات الفضائية والمواقع الإباحية في الإنترنت والتي باتت تدخل بيوت المسلمين من غير استئذان، أي مصيبة هذه الذى حلت بهذه الأمة المغلوبة علي امرها!

* إن أمريكا ومن حالفها وصلت بهم الجرأة أن تفرض على بعض الأنظمة العربية والإسلامية الموالية لها بحذف الآيات التي تدعوا إلى الجهاد وكذلك الآيات التي تكشف جرائم بني إسرائيل وتاريخهم الأسود ضد أبنائهم وضد الإنسانية وتجبرها على تغيير هذه المناهج بمناهج أخرى تستجيب لرغبتها.

* شعار حقوق الإنسان والحرية وحماية القانون الدولي الذي تدعيه أمريكا ومن عاونها بأنها حامية له تتخذها كذريعة لإضعاف الأمة الإسلامية والنيل من سيادتها وعزتها ولكن للأسف هذه الشعارات أبعد ما تكون في قاموسهم القانوني والسياسي وماذقناه في قاعدة قنهار ومعتقل غوانتانامو لهي دليل كاف بأنها في واد وهذه الشعارات في واد آخر. فلا يغتر أحد بهذه الشعارات البراقة الجوفاء التي تتستر خلفها أمريكا وغيرها وتمرر من خلالها سياستها الدنيئة علي العالم الإسلامي والعربي.

* إن إمبراطورية هذا الزمان (أمريكا) قد دنت نهايتها وسيكون مصيرها مصير من سبقتها من الإمبراطوريات القديمة كالروم والفرس والأقوام السابقة التي طغت وبغت وملأت الأرض فسادًا فأخذها الله أخذ عزيز مقتدر.

لكل شيء إذا ما تم نقصان فلا يغتر بطيب العيش إنسان

هي الأمور كما شاهدتها دول من سره زمن ساءته أزمان

* فهذه الأزمة المالية التي تضرب العالم بأسره وفي مقدمتها أمريكا ما هي إلا أولي مراحل الإنهيار الكبير وقد يأتي الخطر من مكمنه كم يقول المثل . . فأمریکا ستدمر نفسها بنفسها وذلك بسبب سياستها الرعناء وعجرفتها الزائفة.

في الختام أقول لن ينصلح أمر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ولن نصل إلى العزة والمنعة إلا بتحرير كل شبر من الأراضي الإسلامية والعربية، من هؤلاء

الأنجاس والرجوع بالإسلام إلى سابق عهده ومنبعه الصافى وتطهير أنفسنا من كل مظاهر الفساد الذى استشرى في مفاصل مجتمعنا عبر وسائل الإعلام وغيرها . ولن تستكمل الأمة الإسلامية والعربية فضائلها وقيمها الروحية ومبادئها النبيلة إلا بالتربية الدينية الصحيحة .

يطلع بها الأباء والمعلمون والدعاة والأئمة فالرسول ﷺ يقول: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته». ولن تصل الأمة إلى مجدها وعزتها إلا بتوحيد بنيتها واستغلال مواردها الذاتية لخدمة مصالحها .

تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسرا وإذا إفترقن تكسرت أحادا تعلمون أن هناك مسلمون زج بهم في غياب المعتقلات والسجون السرية في أنحاء مختلفة سجنوا زورا وبهتانا ليس لشيء إلا لأنهم قالوا ربنا الله ونحن وإن لم نستطيع نصرهم بالسلاح المادي فعلينا أن ننصرهم بالسلاح المعنوي أي سلاح الدعاء والتضرع إلى الله تعالى بأن يفك أسرهم ويحفظهم من كل سوء ويعيدهم إلى أوطانهم سالمين غانمين، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات .



الأشعار

□ قصيدة الأسير:

للداعية: إبراهيم الريش (حفظه الله) معتقل سابق بغوثنا مواء (كتبها داخل المعتقل):

قالوا أسير قد براه أساره في سجنه وهمومه أسرارُ
ويرى السماء بها ملاذ همومه ونجومها أحبابه السُّمَّارُ
«الجدي» صاحبه، «سهيل» أنيسه في ليلة، وحديثهم أسرارُ
في ليلة بالصمت طاب حديثها سمرٌ عجيب بالسكوت يدارُ
قالوا أسير في السجون مغيَّبُ وسط الغياهب والأنيس جدارُ
يبقى وحيدا أو يعيش معذبًا يلقي المواجه مالدیه جوارُ
السجن ليل بالمواجه سرمد وخروجه إن أخرجوه نهارُ
نور السجون بها ظلام دامس والكون فجر بالظلام منارُ
قالوا أسير بالهموم مقيد وعليه من نسج الهموم شعارُ
وضجيعه عند الرقاد همومه وعليه منها في الفراش دثارُ
قالوا أسير بالقيود مكبل أو من قيود الظالمين فرارُ
القيد أثقله وآلم رجله وبساقه من قيده آثارُ
وبخصره مثل الحزام سلاسل ومن القيود بمعصميه سوارُ
السجن كهف مظلم بل موحش فيه الأفاعي والعقارب جارُ
هاتيك تلدغه وتلك تخيفه وعليه يضرب كالجيوش حصارُ
وتغره الأخرى بلملمس جلدها وبنابها الأهوال والأخطارُ
السجن غاب والسجين غزالة

من قد رأى ذئب يصون مودة أم هل يسان لدى الذئاب جوارُ
 الذئب لؤم والخيانة أمه والغدر فيه وما عليه غبارُ
 السجن ميدان وفيه غضنفر وعليه من أثر القيود صفارُ
 أسد يقاد إلى اللقاء بساحة القط فيها السيد المغوارُ
 القط نسر والهزبر حمامة والسر قيد إنها الأقدارُ
 السجن سوق والسعادة بائع ومن التعاسة قد أتى السمسارُ
 السعد أفلس والشقاوة تشتري والبيع غش باللائم مدارُ
 قالوا أسير يا لسوء مصيره ومن التعاسة عنده أخبارُ
 فأجبتهم كفوا الملامة ويحكم فأنا الأسير وما بأسري عارُ
 وأنا السجن وفي السجن سعادتي ولدي من شرف السجن شعارُ
 أنا إن أسرت أنا الهزبر شجاعة بمكيدة قد صاده غدارُ
 ولأن أسرت أنا المهند مغمد ولدى اللقاء يسله الكرارُ
 السجن أنسي بل أمين سريرتي ولدي منه وعنده أسرارُ
 نقضي الليالي والجدار مؤانس ومع السلاسل قد يطيب حوارُ
 صوت السلاسل نغمة محبوبة لمسامعي وكأنه قيثارُ
 السجن واد والسيول تصيبه ولنحن في صحراء أشجارُ
 سيل من الرحمات يأتي صيبا هل يمنع السيل العظيم حصارُ
 كلا ولن تلقاه ألف قذيفة أو ألف جيش للقاء جرارُ
 السجن درب بالمخاطر حافل ولدى الجنان سينتهي المشوارُ
 ولدى الجنان رضى الإله مرادنا وبها النبي مع الصحابة جارُ
 السجن أنس بالكتاب وآيه وظلامه بهدى الإله منارُ
 يا من رأى بالسجن طيب حياته والأنس فيه كذلك الأنوارُ

لبس السعادة فيه أجمل حلة
حدث فديتك عن نعائم ربنا
وليعلم الداني وقاصي قومنا
الصالحون من الخلائق كلها
وعجائز في الليل طال بكائها
ولتعلم الدنيا بكل عبيدها
ساق الرحائم للعباد عظيمة
وعلى يديه تساق نعمنا ربنا
وتراه بجهد كي يسوق أذية
لكنه يبقى أمامك عاجزا
واعجب لسجان عبوس وجهه
وسجينه شرب السعادة عذبة
يبدي السعادة في الشدائد والرخا
فاسعد بسجنك ما بقيت موحدا
لست الأسير فانت مصدر عزة
ما الأسر إلا أن تهيم بغادة
ما الأسر إلا أن تقيم بحانة
ما الأسر إلا أن تجالس مطربا
ما الأسر إلا أن تعيش معذبا
ما الأسر إلا أن تلاحق شهوة
ما الأسر إلا أن تطيق معيشة
ومن الحقائق عنده أزهار
وإذا خلوت فما هي الأخبار
والأبعدون بحينا والجار
والطالحون كذلك الأشرار
عند الدعاء وبمدهن صفار
أن الإله بحفظه قهار
وعدو ربي دربها المسيار
وترى العدو لردّها يحتار
بمكيده وبعينه مكار
قد ساق لكن حالت الأقدار
وفؤاده قدر عليه النار
ومن السعادة عنده أسرار
وكأنه شجر عليه ثمار
تمسي وتصبح، ربك الجبار
للعزة العظمى بقلبك دار
حسنا تنثر حولها الأزهار
وجليسك العرييد والفجار
دنسا ليشجي سمعك المزمار
كي لا يفارق جيبك الدولار
هانت عليك لأجلها الأسفار
بالذل عاث بأرضها الكفار

□ أرض الشمال:

للشاعر: صلاح البحريني - كتبها في سجن غونتاما حينما سمع قصة الإخوة الأربعون الذين قتلوا وهم في الصلاة وهؤلاء هم الذين رأهم عبد الله المكي في (الرؤيا) واليك بعض اسمائهم:

أرى بوسط فيفافي الأسر إذ شجر	أوراقها سقطت فعلتها أغصان
مضيت أمشي على الحصباء في مهل	أدنو وأدنو وجوف اللب حيران
وجدت نقشاً ببطن الجزع قد نقش	أرض الشمال أبعد الغدر خزلان؟
سمعت صوتاً من الأغصان ها تفنى	أسد الشمال هنا بالأمس قد كانوا
فرحت أقلب في أوراقها فإذا	لكل واحدة اسم له شأن
رفعت واحدة نادت تخاطبني	(عبد السلام) فذاك اليوم عينان
رفعت أخرى فنادت لي (أبا بكر)	فتى أسيفا إذا ما يتلى قراءن
رفعت أخرى مقيم الليل مبتهل	أبا (الفداء) ودمع العين بركان
رفعت أخرى رفيق القلب خادمهم	بفقد (حمزة) كم قاسوا وكم عانوا
رفعت أخرى مدير الحرب قسورة	تبكيك يا (عمر) في البحر حيتان
إذا تبدت جموع الكفر مقبلة	تردها بحمي (القيسي) نيران
ويحكم القطع في أشلائها (حسن)	رمياً وقنصاً فما للعيش إمكان
وفيهمو (عمر) شق الوغى غضباً	ذاك الحبيب سقاىي الهم أحزان
وتقدم الأخرى في أثواب محنتها	ترثي (زهيراً) ولن ينسأه فرسان
رفعت أخرى فاذا بالليل يحدقها	ونور (حفص) وقد ضمته أشجان
رفعت أخرى فإذا بالدمع يغلبها	بصنع (صعصاع) لم تأتي فتیان
رفعت أخرى فنادت لي (عبد الملك)	كذاك (زيد) فهل للحزن ميزان

و(عز دين) و(خلاد) كذاك (جنيد)
 و(مصعب) وكذلك الليث (عزام)
 (أبو تراب) بقاع الأرض تفقده
 وجدت واحدة بالدمع شاهقة
 وجدت واحدة بالدمع شاهقة
 بأهل غدر ولكن نال مطلبه
 طفقت سعيًا إلى الأوراق أجمعها
 تاتي رياح إلى العلياء ترفعها
 تداخلت فبدت بالأفق مائلة
 يا قلعة الجنك فيك الأسد قاطبة
 هبوا لعمزٍ وقض الذل مضجعهم
 منارة العز أبدت نورها فمضوا
 بخيط غدر خيطة مؤامرة
 أسد وأى أسود لأرض تلحقهم
 وما أطاقت بقاء الروح أبدان
 وإن (حيدرة) للكفر طوفان
 (وابن العلي) يليه الفوز عثمان
 (أبا محمد) الليث الذي خانوا
 (أبا محمد) الليث الذي خانوه
 فما استطاعت بقاء وذاك القلب ولهان
 جمعتها فبدت بالجمع كئيبان
 نحو السماء حامت فيه عقبان
 كقلعة نطقت والكرب ألوان
 وما استكانوا لطفيان وما لانوا
 قبل الجهاد وما بالدار سلوان
 إلى العلياء وشخص الموت ربان
 فهل تليق بجسم الأسد قمصان
 بعد الذي بذلوا والنفس غريان



المصادر والمراجع

※ القرآن الكريم.

※ عودة إلى السؤال: لماذا يكرهوننا؟ مقال منشور في جريدة آخر لحظة للكتاب
الصحفي تركي صقر بتاريخ ٢/١٢/٢٠٠٨م العدد (٨٣٨)
※ غوانتنامو المعتقل الرهيب - سامي الدهشان وأميرة فكري ط ١ ، ٢٠٠٦م دار
الأحمدي للنشر.

※ كيف يتم التعامل مع الأسرى من قنדרهار إلى مطار غوانتنامو أبو لجين
ابراهيم.

Abulojin@hotmail.com